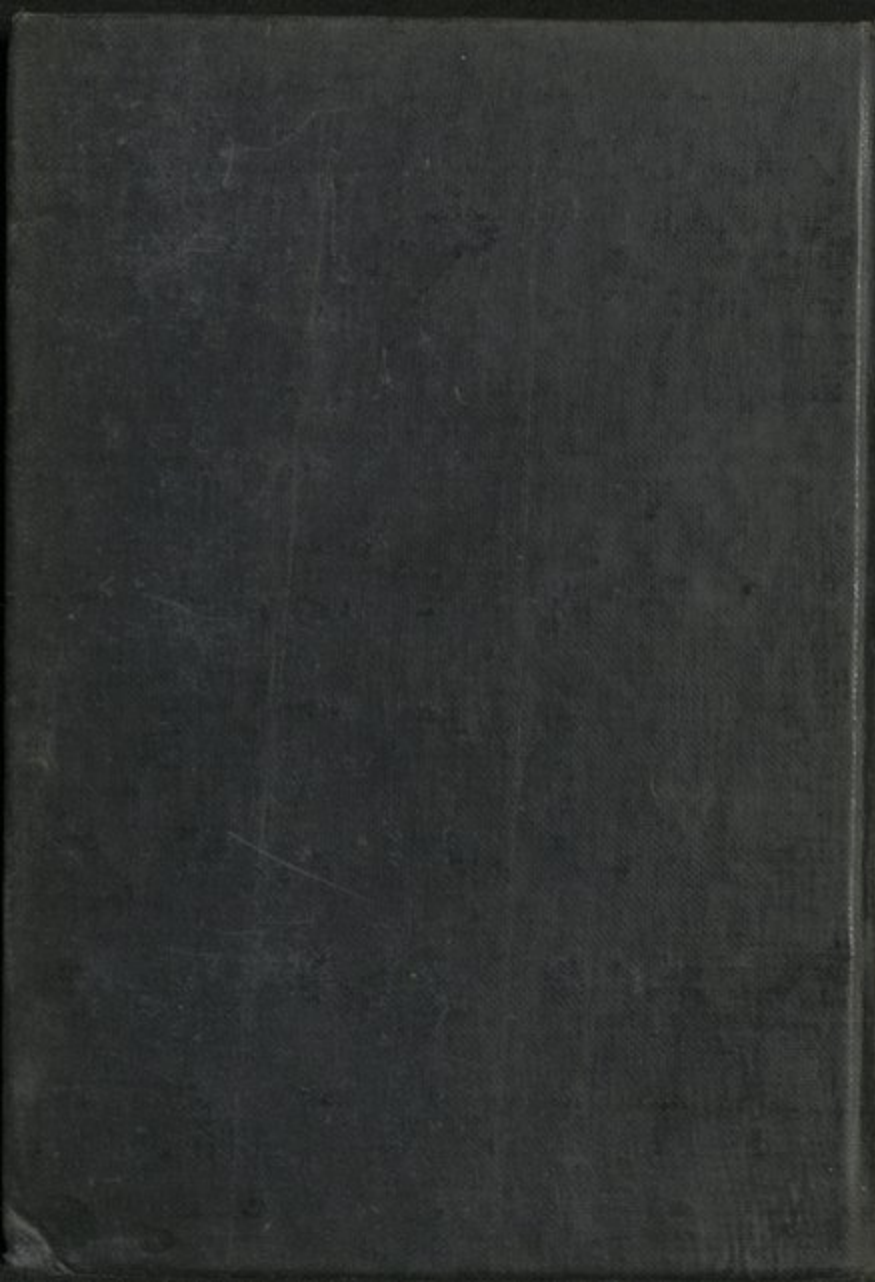
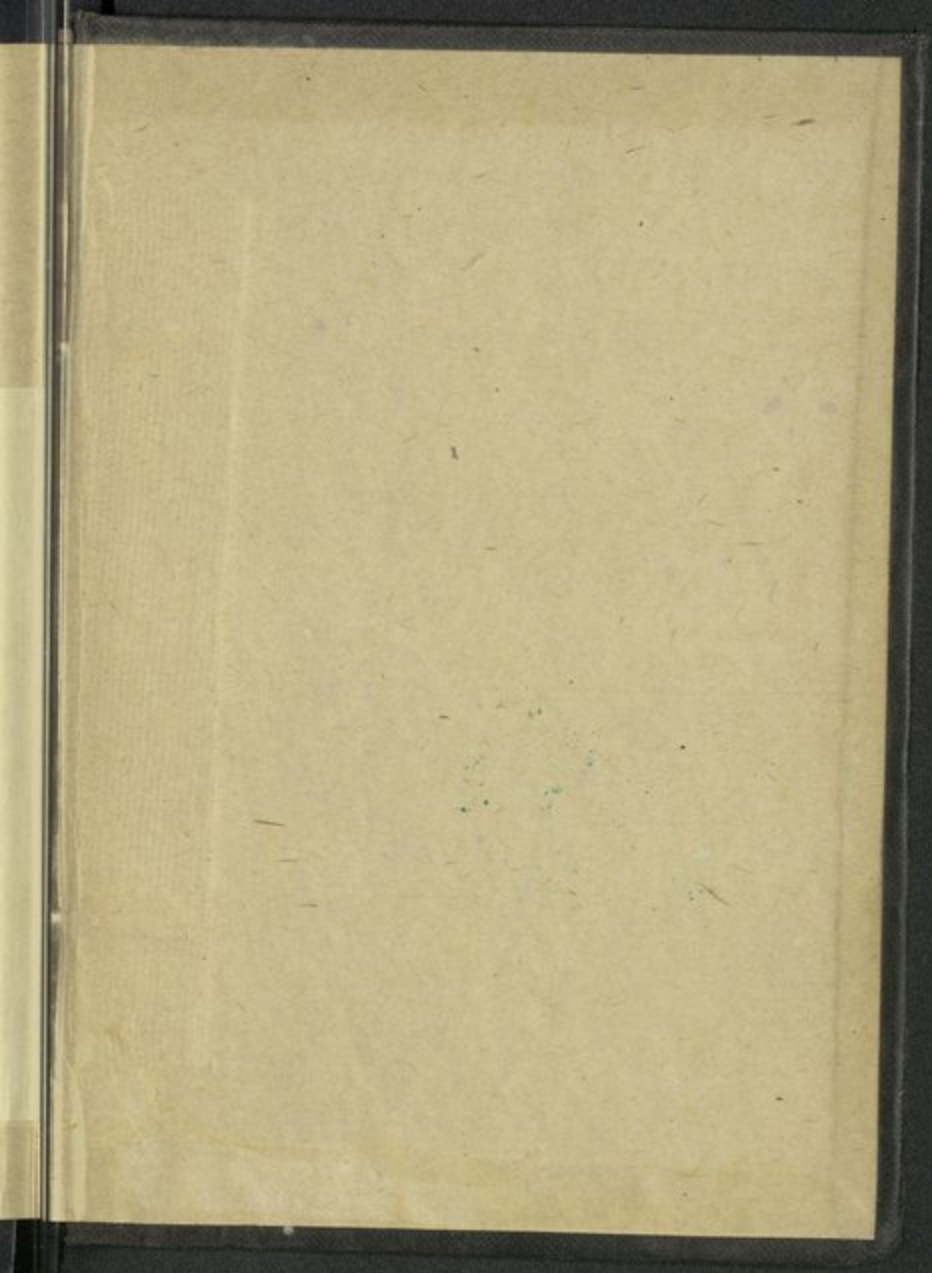






892.708:R56mA

V.3

رفاعي، أحمد فريد

كتبة القراءة والثقافة

892.708

R56mA

V.3



08
A

Col. May 1943

الدكتور أحمد فريد رفاعي

مدير إدارة المطبوعات المصرية



892.708

R 56mA

v. 3

C. 1

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية للجيب

التذليل

٣

58660

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

Cat. May 1943



إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا
فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ : لَوْ غَيْرَ هَذَا
لَكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زَيْدٌ كَذَا لَكَانَ خَيْرَ
وَلَوْ قَدَّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تَرَكَ
هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ ،
وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَاءِ النَّفْثِ عَلَى
جُمْلَةِ الْبَشَرِ .
الْعَمَادُ الْأَضْفَحَانِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّذْيِيلُ

بِسْمِ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
رُسُلِ اللَّهِ ، وَالِاسْتِمْسَاكُ بِعُرْوَةِ اللَّهِ ، وَالتَّيَمُّنُ
الْعَوْنِ مِنَ اللَّهِ ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ ،
« وَبَعْدُ » فَهَذَا كِتَابُنَا الثَّلَاثُ ، كِتَابُ التَّذْيِيلِ
عَلَى الْمُقَدِّمَةِ ، رَاجِينَ أَنْ تَضْرِبَ فِيهِ بِكَدِّكَ
وَوَكْدِكَ ، فِي أَبْوَابِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِسَمِّهِمْ
وَافِرٍ ، وَتُصِيبَ مِنْ وَرَاءِ أَفَافِيقِ زُعَمَائِهِ ، مِنْ
بُلْغَاءِ الْكُتَّابِ ، وَمَصَاقِعِ الْخُطْبَاءِ ، بِكِفْلِ زَاخِرٍ ،

وَتَذَوَّقَ مِنْ نِصَاحِ أَسَالِيبِ أَقْطَابِهِ ، وَغُيُونِ
 كَلَامِهِ ، بِشَمَرِ زَاهِرٍ ، وَوَجْهِ سَافِرٍ ، وَسَنَى نَاصِرٍ ،
 وَتَرْبِي بَعْدَ اسْتِعَابِكَ لِمُفْصَلِهِ وَمُجْمَلِهِ ، وَدُرِّهِ
 وَغُرِّهِ ، فِي حِذْقِ لُغَةٍ سَحْبَانَ عِنْدَ هَذَرِ الشَّقَاشِقِ ،
 وَأَنْ تَمْضِيَ بَعْدَ اسْتِرَادَتِكَ مِنْ أَسَالِيبِ الْأَوَّلِ ،
 ثَابِتَ الْقَدَمِ ، ضَلِيعَ الْمَادَّةِ ، ذَرِبَ اللِّسَانِ ،
 فَتُصِيبَ الْهَدَفَ بِالْكَلِمِ الرَّوَاشِقِ ، وَلَيْسَ لَنَا
 مِنْ نَصِيحَةٍ نَتَقَدَّمُ بِهَا إِلَيْكَ ، إِلَّا أَنْ تَتَدَرَّعَ
 بِالصَّبْرِ وَالْجَلَدِ ، فِيمَا أَخَذْتَ نَفْسَكَ بِهِ مِنْ طَوْلِ
 مَرَانِهَا عَلَى الْإِطْلَاعِ ، وَدُؤُوبِ إِكْبَابِكَ عَلَى مُسْتَدِيمِ
 رِيَاضَتِهَا ، وَإِذْمَانِكَ فِي مَغْدَاتِكَ وَمَرَا حَتِكَ تَنْمِيَةِ
 بِضَاعَتِهَا ، وَقَرَعِكَ الْحَازِمِ لِشِبَاةِ شَكِيمَتِهَا ،

وَمُتَطَلِّعَ شَهْوَتِهَا ، وَإِضْرَامِكَ الصَّادِقِ لِحِذْوَةِ
 حِمَاسَتِهَا ، وَأَوَارِ حَرَارَتِهَا ، وَتَغْذِيَتِكَ بِرَائِعِ الْأَدَبِ
 وَنَافِعِ الْعِلْمِ حِمَّةَ رَغْبَتِهَا ، وَنَأْمُلُ بِمَا رُكِبَ فِيكَ
 مِنْ كِيَاسَةِ الْمُسْتَزِيدِ ، وَحِزَامَةِ الْمُسْتَفِيدِ ، وَأَصَالَةِ
 الْمُرِيدِ ، أَنْ تَصِلَ إِلَى تَحْقِيقِ لُبَاتِكَ ، وَتُسَعَفَ
 بِذَبِيلِ أُمْنِيَّتِكَ . فِي حِمَاسَةِ الطَّالِبِ وَحِزَامَةِ الرَّاعِبِ .
 وَسَنُحَدِّثُكَ فِيهِ بِمَنْهُ وَفَضْلِهِ عَنِ الرِّسَالَةِ الْعِذْرَاءِ
 ثُمَّ نَعْرِجُ بِكَ كَمَا أُرْتَهَنَّا بِالْقَوْلِ مَعَكَ ، عَلَى مَا رَوَاهُ
 ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي أَبْوَابِ الْبَيَانِ ، وَكُتِبَ الْأَمَانِ ، ثُمَّ
 نُشْرِفُ بِكَ عَلَى شَتَاتٍ مِنْ أُمَشَاجٍ مَقْرُوءَاتِنَا عَلَى
 شَيْخِنَا حَمْزَةَ فَتَحَ اللَّهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَطَيْبَ
 ثَرَاهُ ، عَنِ الْأَدَبِ وَفِي الْأَدَبِ ، وَلِنُطْلِعَكَ عَلَى

نَشَارٍ فِي تَقْضِيلِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْأَدَبِ الْأَعْجَمِيِّ ،
فَنَصْقُلُ خَاطِرَكَ بِعُيُونِ الْأَدَبِ ، وَمُخْتَارَاتٍ مِنَ النَّقْدِ
وَالْخَطَبِ ، مِنْ نَفَائِثِ الْعَرَبِ ، لِتَوْعِنَ مَعَنَا أَنَّ
الْبَيَانَ الْخَطَابِيَّ قَدْ مَحَّصَهُ اللَّهُ ، وَالْقَى بِزُبْدَتِهِ عَلَى
السِّنَةِ النَّاطِقِينَ بِالضَّادِ مِنْ سَلَفِكَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ
مِنَ الْإِسْلَامِ ، الَّذِي آتَاهُمُ اللَّهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ،
وَسَوَاطِعَ الْحُكْمِ ، فَلَمْ يَدَعْ الْمُتَقَدِّمُ لِلْمُتَأَخِّرِ
خَصَاصَةً يَسْتَظْهِرُ عَلَى سَدِّهِ بِهَا ، وَلَا انْشُوطَةً
يَسْتَنْهِيهِ لِشَدِّهَا ، كَمَا يَقُولُ الزَّخْشَرِيُّ . وَكُلُّ
إِزَاءِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مُتَفَكِّكُ الرَّحْلِ ، فَارِغُ
السَّجْلِ ، بَاهِتُ الْمُبْنَى ، جَامِدُ الْمَعْنَى ، فِي غَيْرِ
جَرَسٍ أَخَازٍ ، وَلَا رَيْنٍ نَفَازٍ ، وَنَرْجُو أَنْ يُوفِّقَنَا

اللَّهُ فِي كِتَابِنَا الرَّابِعُ « التَّعْلِيقُ » عَلَى الْمُقَدِّمَةِ ،
 إِلَى اسْتِكْمَالِ قِصَّتِنَا مَعَكَ ، مِنْ مَوَاقِفِنَا مَعَ شَيْخِنَا
 رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَمِنْ تَلَامِيذِهِ الْأَجَلَاءِ مِنْ خَرِيَجِي
 دَارِ الْعُلُومِ ، فِي عَهْدِهَا النَّصِيرِ السَّالِفِ ، وَغَيْرِهِمْ ،
 أَيَّامَ كَانَ لِلْعَرَبِيَّةِ شَأْنٌ غَيْرُ الشَّأْنِ ، وَلِلْهِمَمِ وَثَبَاتٌ
 فِي غَيْرِ وَهْنٍ ، وَخِلَاشِ الْعَيْشِ ، وَفَهْرُ النَّفْسِ ،
 وَحَلَقَةُ الدَّرْسِ ، وَسَهَرُ اللَّيْلِ ، وَقَنَاعَةُ الشَّخْصِ ،
 وَحَيَاةِ الْعِلْمِ ، وَشُطْفِ الطَّلَبِ ، وَطُولِ الْجَلْدِ ،
 مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى وَحَالٌ غَيْرُ الْحَالِ . وَفَقَّكَ اللَّهُ
 وَسَدَّدَكَ ، وَهَذَاكَ وَأَمْتَعَكَ .

وَالآنَ هَلُمَّ بِنَا إِلَى قِرَاءَةِ الرِّسَالَةِ الْعُذْرَاءِ رَاجِينَ
مِنْكَ إِطَالََةَ التَّبَصُّرِ وَإِنْعَامَ النَّظَرِ ، وَفَقَّكَ اللَّهُ لِمَا
يُفِيدُ وَيَنْفَعُ . وَجَدَدَ فِيكَ هَذَا الْعَزَمَ الْمُتَّقِدَ ،
وَتِلْكَ الرَّغْبَةَ الصَّادِقَةَ ، بِحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ :

*
* *

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَتَقَّ اللَّهُ بِالْحِكْمَةِ
ذِهْنَكَ ، وَشَرَحَ بِهَا صَدْرَكَ ، وَأَنْطَقَ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ
وَشَرَّفَ بِهِ بَيَانَكَ ، وَصَلَ إِلَى كِتَابِكَ الْعَجِيبُ ،
الَّذِي اسْتَفْهَمْتَنِي فِيهِ بِجَوَامِعِ كَلِمِكَ ، جَوَامِعِ أَسْبَابِ
الْبَلَاغَةِ ، وَاسْتَكْشَفْتَنِي عَنْ غَوَامِضِ آدَابِ أَدَوَاتِ
الْكِتَابَةِ ، سَأَلْتَنِي أَنْ أَقِفَ بِكَ عَلَى وَزْنِ عُذُوبَةِ
اللَّفْظِ وَحَلَاوَتِهِ ، وَحُدُودِ فَخَامَةِ الْمَعْنَى وَجَزَالَتِهِ ،

وَرَشَاقَةٍ نَظَمَ الْكِتَابَ وَمُشَاكَلَةً سَرِدِهِ ، وَحُسْنِ
 افْتِتَاحِهِ وَخَتْمِهِ ، وَانْتِهَاءِ فُصُولِهِ ، وَاعْتِدَالِ وُصُولِهِ
 وَسَلَامَتِهِمَا مِنَ الزَّلَلِ ، وَبُعْدِهِمَا مِنَ الْخَطْلِ^(١) ،
 وَمَتَى يَكُونُ الْكَاتِبُ مُسْتَحِقًّا اُسْمَ الْكِتَابَةِ ،
 وَابْلِيغٌ مُسَلِّمًا لَهُ مَعَانِيَ الْبَلَاغَةِ فِي إِشَارَتِهِ وَعِبَارَتِهِ ،
 وَإِلَى أَىْ أَدَوَاتِهِ هُوَ أَحْوَجُ ، وَبِأَىْ آلَاتِهِ هُوَ
 أَعْمَلُ ، إِذَا حَصَحَصَ^(٢) الْحَقُّ ، وَدُعِيَ إِلَى السَّبْقِ
 وَفَهِمْتُهُ^(٣) ، وَأَنَا رَاسِمٌ لَكَ - أَيَّدَكَ اللَّهُ - مِنْ
 ذَلِكَ مَا يَجْمَعُ أَكْثَرَ شَرَائِطِكَ^(٤) ، وَيُعَبِّرُ عَنْ مُجْمَلَةِ
 سُؤَالِكَ ، وَإِنْ طَوَّلْتَ فِي الْكِتَابِ وَعَرَّضْتَ^(٥) ،

(١) الخطل : فساد الرأى (٢) حصحص : ظهر (٣) وفهمته : معطوفة على جملة وصلنى فى أول الكلام . (٤) شرائط : جمع شريطة
 (٥) عرّضت : جعلته عريضاً : أى واسعاً كبيراً وهو تعبير نادر الوقوع

وَأُطِنَّتْ فِي الْوَصْفِ وَأُسْهِبَتْ ، وَمُسْتَقْصٍ عَلَى نَفْسِي
 فِي الْجَوَابِ عَلَى قَدْرِ اسْتِقْصَائِكَ فِي السُّؤَالِ ، وَإِنْ
 أَخْلَّ بِهِ التِّيَابُ ^(١) الْحَالِ ، وَسُكُونُ الْحَرَكَةِ ،
 وَفُتُورُ النَّشَاطِ ، وَانْتِشَارُ ^(٢) الرُّوْيَةِ ، وَتَقَسُّمُ الْفِكْرِ ،
 وَاشْتِرَاكُ الْقَلْبِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .



حرم
 الكاتب
 على
 المحكمة
 إَعْلَمَ - أَيْدَكَ اللَّهُ - أَنَّ أَدَوَاتِ دِيَوَانِ جَمِيعِ
 الْمُحَاسِنِ وَآلَاتِ الْمَكَارِمِ طَائِعَةٌ مُنْقَادَةٌ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ
 الَّتِي خَطَبَتْهَا ، وَتَالِيَةٌ تَابِعَةٌ لَهَا ، وَغَيْرُ خَارِجَةٍ إِلَى
 جَحْدِ أَحْكَامِهَا ، وَلَا دَافِعَةٍ لِمَا يَلْزِمُهَا الْإِقْرَارُ بِهِ
 لَهَا ، إِضْرَارًا مِنْهَا إِلَيْهَا ، وَعَجْزًا عَنْهَا ، فَإِنْ تَقَاضَتْكَ

(١) التياب الحال : اضطراب الحال (٢) انتشار الروية : تشتت الفكر

نَفْسُكَ عِلْمَهَا ، وَنَازَعَتْكَ هِمَّتُكَ إِلَى طَلَبِهَا ، فَاتَّخِذِ
 الْبُرْهَانَ دَلِيلًا شَاهِدًا ، وَالْحَقَّ إِمَامًا قَائِدًا ، يُقَرِّبُ
 مَسَافَةَ ارْتِيَادِكَ ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْكَ سُبُلَ مَطَالِبِهَا ،
 وَاسْتَوْهَبِ اللَّهَ تَوْفِيقًا تَسْتَنْجِحُ بِهِ مَطَالِبَكَ ،
 وَاسْتَمْنَحْهُ رُشْدًا يُقْبِلُ إِلَيْكَ بِوَجْهِ مَذَاهِبِكَ ،
 فَاقْصِدْ^(١) فِي ارْتِيَادِكَ ، وَتَأَمَّلِ الصَّوَابَ فِي قَوْلِكَ
 وَفِعْلِكَ ، وَلَا تَسْكُنْ إِلَى جُحُودِ قَصْدِ السَّابِقِ
 بِاللَّجَاجِ ، وَلَا تَخْرُجْ إِلَى إِهْمَالِ حَقِّ الْمُصِيبِ
 بِالْمُعَانَدَةِ وَالْإِنْكَارِ ، وَلَا تَسْتَخِفَّ بِالْحُكْمَةِ وَلَا
 تُصَغِّرْهَا حَيْثُ وَجَدْتَهَا ، فَتَرْحَلَ نَافِرَةً عَنْ مَوَاطِنِهَا
 مِنْ قَلْبِكَ ، وَتَظْعَنَ^(٢) شَارِدَةً عَنْ مَكَانِهَا مِنْ بَالِكَ ،

(١) القصد : التوسط ومنه قوله تعالى « واقصد في مشيك » أى
 توسط فيه فلا تدب كديب النمل . ولا تسرع كهرولة اليهود
 (٢) الظعن : السفر ومنه قوله تعالى « ويوم ظعنكم »

وَتَتَعَقَّى^(١) بَعْدَ الْعِمَارَةِ مِنْ قَلْبِكَ آثَارُهَا ، وَتَنْطَمِسَ
بَعْدَ الْوُضُوحِ أَعْلَامُهَا .



تفاته

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْإِكْتِسَابَ بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّكْلُفِ وَطُولِ
الِاخْتِلَافِ^(٢) إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَمُدَارَسَةِ كُتُبِ الْحُكَمَاءِ ،
فَإِنْ أَرَدْتَ خَوْضَ بَحَارِ الْبَلَاغَةِ ، وَطَلَبْتَ أَدَوَاتِ
الْفَصَاحَةِ ، فَتَصَفَّحْ مِنْ رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا تَعْتَمِدُ
عَلَيْهِ ، وَمِنْ رَسَائِلِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ :
فِي تَلْقِيحِ ذَهْنِكَ ، وَاسْتِنْجَاحِ بَلَاغَتِكَ ، وَمِنْ نَوَادِرِ
كَلَامِ النَّاسِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ ، وَمِنْ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ

(١) تتعقّى : تخلو وتزول

(٢) المراد به التردد إلى العلماء

وَالسَّيْرِ وَالْأَسْمَارِ^(١) ، مَا يَتَّسِعُ بِهِ مَنْطِقُكَ ، وَيَعَذُّبُ
بِهِ لِسَانُكَ ، وَيَطُولُ بِهِ قَلَمُكَ .



وَانْظُرْ فِي كُتُبِ الْمَقَامَاتِ^(٢) وَالْخُطَبِ ، وَمُحَاوَرَاتِ
الْعَرَبِ ، وَمَعَانِي الْعَجَمِ ، وَحُدُودِ الْمَنْطِقِ ، وَأَمْثَالِ
الْفُرْسِ وَرَسَائِلِهِمْ ، وَعُهُودِهِمْ وَتَوْفِيعَاتِهِمْ ، وَسَيْرِهِمْ
وَمَكَائِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ تَتَوَسَّطَ فِي عِلْمِ
النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ ، وَاللُّغَةِ وَالْوَثَائِقِ وَالشَّرُوطِ ،
كَكُتُبِ السَّجَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ الْكَاتِبُ ، وَتَمَهَّرْ فِي نَزْعِ آيِ الْقُرْآنِ فِي

(١) الأسمار : جمع سمر والمراد هنا ما تحدث به أو يتحدث به

(٢) المقامات : جمع مقامة

تضمينه
للشعر
والأمثال

مَوَاضِعُهَا ، وَاجْتِلَابِ الْأَمْثَالِ فِي أَمَاكِنِهَا ، وَاخْتِرَاعِ
 الْأَلْفَافِ الْجَزَلَةِ ، وَقَرَضِ ^(١) الشَّعْرِ الْجَيِّدِ ، وَعِلْمِ الْعَرُوضِ
 فَإِنَّ تَضْمِينَ الْمَثَلِ السَّائِرِ ، وَالْبَيْتِ الْغَائِرِ ^(٢) ، مِمَّا
 يَزِينُ كِتَابَتَكَ ، مَا لَمْ تُخَاطِبْ خَلِيفَةً أَوْ مَلِكًا
 جَلِيلَ الْقَدْرِ ، فَإِنَّ اجْتِلَابَ الشَّعْرِ فِي كُتُبِ الْخُلَفَاءِ
 وَالْجَلَّةِ ^(٣) الرُّؤَسَاءِ ، عَيْبٌ وَاسْتِهْجَانٌ لِلْكَتُبِ ، إِلَّا
 أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ هُوَ الْقَارِضُ لِلشَّعْرِ وَالصَّانِعُ
 لَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي أَهْبَتِهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى
 بَرَاعَتِهِ ، وَإِنْ شَدَوْتَ مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ مَا لَا يَشْغُوكَ
 مَحَلَّهُ ، وَتَنْقَبْتَ مِنْ هَذِهِ الْفُنُونِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى
 إِطَالَةِ قَلَمِكَ ، وَتَقْوِيمِ أَوْدِ ^(٤) بَيَانِكَ .

(١) قرض الشعر : صَوَّغَهُ (٢) ما قيل في الأزمان الغابرة
 أعني الماضية (٣) جمع جليل وهو العظيم (٤) الأود : الأعوجاج

صفات
الكاتب

بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ صَاحِبَ الْقَرِيحَةِ ، حُلُوَ
الشَّمَائِلِ ^(١) ، عَذَبَ الْأَلْفَافِ ، دَقِيقَ الْفَهْمِ ، حَسَنَ
الْقَامَةِ ، بَعِيداً عَنِ الْفَدَامَةِ ^(٢) ، خَفِيفَ الرُّوحِ ،
حَازِقَ الْحُسِّ ، مُحَنَّكاً بِالتَّجَرُّبَةِ ، عَالِماً بِجَلَالِ ^(٣)
الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَحَرَائِمِهِمَا ، وَبِالْمُلُوكِ وَسَيَرِهَا
وَأَيَّامِهَا ، وَبِالدُّهُورِ فِي تَقْلِبِهَا وَتَدَاوُلِهَا ، مَعَ بَرَاعَةِ
الْأَدَبِ ، وَتَأْلِيفِ الْأَوْصَافِ ، وَمُشَاكَلَةِ الْإِسْتِعَارَةِ ،
وَحُسْنِ الْإِشَارَةِ ، وَشَرْحِ الْمَعْنَى بِمِثْلِهِ مِنَ الْقَوْلِ ،
حَتَّى تُنْصَبَ صُورًا مَنْطِقِيَّةً تُعَرِّبُ عَنْ أَنْفُسِهَا ،
وَتَدُلُّ عَلَى أَعْيَانِهَا ، لِأَنَّ الْحُكَمَاءَ قَدْ شَرَطُوا فِي
صِفَاتِ الْكِتَابِ طُولَ الْقَامَةِ ، وَصِغَرَ الْهَامَةِ ، وَخِفَةَ

(١) المراد بالشمائل الحُصَال (٢) الفدامة: العي (٣) أى ما ثبت
حله وحرمة من الكتاب وكذلك السنة

اللَّهَازِمُ^(١) ، وَكَثَافَةُ^(٢) اللَّحْيَةِ ، وَصِدْقَ الْحُسِّ ، وَلُطْفَ
الْمُذْهَبِ ، وَحَلَاوَةَ الشَّمَائِلِ ، وَمَلَاحَةَ الزُّيِّ ، حَتَّى
قَالَ بَعْضُ الْمَهَالِبَةِ لَوْلَدِهِ .

*
* *

تَزَيَّوْا بِزِيِّ الْكِتَابِ ، فَإِنَّ فِيهِمْ أَدَبَ الْمُتْلُوكِ ،
وَتَوَاضَعَ السُّوقَةِ ، وَمِنْ كَمَالِ آلَةِ الْكَاتِبِ ، أَنْ
يَكُونَ بَهْيَ الْمُتَلَبِّسِ ، نَظِيفَ الْمَجْلِسِ^(٣) ، ظَاهِرَ
الْمُرُوءَةِ ، عِطَرَ الرَّاحَةِ ، دَقِيقَ الذَّهْنِ ، صَادِقَ
الْحُسِّ ، حَسَنَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَاشِي اللِّسَانِ ، حُلُوَ
الْإِشَارَةِ ، مَلِيحَ الْإِسْتِعَارَةِ ، لَطِيفَ الْمُسْلَكِ ، مُسْتَفْرَهَ^(٤)
الْمُرَكَّبِ ، وَلَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ فَضْفَاضَ^(٥) الْجُبَّةِ ،

أزياه
الكتاب

(١) اللهازم : جمع لهزيمة وهي عظم ينشأ تحت الأذن (٢) الكثيف : الغزير
(٣) المجلس : المراد به مكان الجلوس (٤) مستفروه : أي يركب الجواد
المطهم أو البرذون الجميل (٥) فضفاض : الجثة كناية عن ضخامة الجسم

مُتَفَاوِتٌ^(١) الْأَجْزَاءُ ، طَوِيلَ اللَّحْيَةِ ، عَظِيمَ الْهَامَةِ ،
فَانَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ ، لَا يَلِيقُ بِصَاحِبِهَا
الذِّكَاةِ وَالْفِطْنَةُ ، فَخَاطِبُ كُلٍّ عَلَى قَدْرِ أَهْلِيَّتِهِ
وَجَلَالَتِهِ ، وَعُلُوُّهُ وَارْتِفَاعِهِ وَفِطْنَتِهِ وَانْتِبَاهِهِ .

وَأَجْعَلُ طَبَقَاتِ الْكَلَامِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ ،
وَالطَّبَقَاتُ الْأُخْرَى وَهِيَ دُونَهَا أَرْبَعٌ ، وَلِكُلِّ
طَبَقَةٍ مِنْهَا دَرَجَةٌ ، وَلِكُلِّ قِسْمَةٍ حَظٌّ ، لَا يَتَّسِعُ
لِلْكَاتِبِ الْبَلِیْغِ أَنْ يُقَصِّرَ بِأَهْلِهَا عَنْهَا ، وَيَقْلِبَ
مَعْنَاهَا إِلَى غَيْرِهَا ، فَالْحَدُّ الْأَوَّلُ ، الطَّبَقَاتُ الْعُلْيَا ،
وَوَعَايَتُهَا الْقُصُوَى اخِلَافَةُ ، الَّتِي أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَهَا
عَنْ مُسَاوَاتِهَا بِأَحَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فِي التَّعْظِيمِ

وَالْتَوْقِيرِ وَالْمُخَاصَبَةِ وَالتَّرْسُلِ ، وَالطَّبَقَةُ الثَّانِيَّةُ ،
 الْوُزَرَاءُ وَالْكُتَّابُ الَّذِينَ يُخَاطَبُونَ الْخُلَفَاءَ بِعُقُوبِهِمْ
 وَالسِّنَنِهِمْ ، وَيَرْتُقُونَ^(١) الْفُتُوحَ بَأْرَائِهِمْ ، وَيَتَجَمَّلُونَ
 بِأَدَائِهِمْ ، وَالطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ أُمَرَاءُ ثُعُورِهِمْ ، وَقَوَادُ
 جِيُوشِهِمْ ، يُخَاطَبُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدَرِهِ ،
 وَبِمَا حُمِّلَ مِنْ أَعْبَاءِ أُمُورِهِمْ ، وَجَلَائِلِ أَعْمَالِهِمْ ،
 وَالطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ الْقُضَاةُ ، فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ
 تَوَاضُعُ الْعُلَمَاءِ ، وَحِلْيَةُ الْفُضَلَاءِ ، فَتَعْمَهُمْ أَهْبَةُ
 السُّلْطَةِ وَهَيْبَةُ الْأُمَرَاءِ .

أَمَّا الطَّبَقَاتُ الْأَرْبَعُ الْأُخْرَى ، فَالْمُلُوكُ الَّذِينَ
 أَوْجِبَتْ نِعْمَتُهُمْ تَعْظِيمَهُمْ فِي الْكُتُبِ ، وَأَفْضَالُهُمْ

بقية
الطبقات

(١) الرتق : السد وهو ضد الفتق . والمراد هنا انسجام الكلام ووصله

تَقْضِيْلَهُمْ فِيهَا . وَالثَّانِيَةُ وُزَرَاؤُهُمْ وَكُتَّابُهُمْ ، وَاتِّبَاعُهُمْ
 الَّذِينَ بِهِمْ تُقَرَّعُ أَبْوَابُهُمْ ، وَبِعِنَايَتِهِمْ تُسْتَمَاحُ^(١)
 أَمْوَالُهُمْ ، وَالثَّلَاثَةُ هُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يَجِبُ تَوْقِيرُهُمْ
 فِي الْكُتُبِ لِشَرَفِ الْعِلْمِ وَعُلُوِّ دَرَجَةِ أَهْلِهِ . الرَّابِعَةُ
 أَهْلُ الْقَدْرِ وَالظَّرْفِ ، وَالْجَلَالَةِ وَالْحِلَاوَةِ وَالطَّلَاوَةِ ،
 وَالْأَدَبِ ، فَإِنَّهُمْ يَضْطَرُّونَكَ بِحِدَّةِ أَذْهَانِهِمْ ، وَشِدَّةِ
 تَمْيِيزِهِمْ وَانْتِقَادِهِمْ وَأَدَبِهِمْ ، إِلَى الْإِسْتِقْصَاءِ^(٢) عَلَى
 نَفْسِكَ فِي مُكَاتَبَتِهِمْ .

* *

وَاسْتَعْنَيْنَا عَنِ التَّرْتِيبِ لِلتُّجَّارِ وَالسُّوقَةِ وَالْعَوَامِّ سائر
 لِاسْتِعْنَائِهِمْ بِتِجَارَتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْأَلَاتِ ،
 وَاسْتِعْنَائِهِمْ بِمِهْمَاتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ ، وَلِكُلِّ

(١) استباحه : طلب نواله وعطاءه (٢) الاستقصاء : المبالغة

طَبَقَةٌ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ مَعَانٍ وَمَذَاهِبُ ، يَحِبُّ عَلَيْكَ
 أَنْ تَرَعَاهَا فِي مُرَاسَلَتِكَ إِيَّاهُمْ فِي كُتُبِكَ ، وَتَرِنَ
 كَلَامَكَ فِي مُخَاطَبَتِهِمْ بِمِيزَانِهِ ، وَتُعْطِيَهُ قِسْمَهُ ،
 وَتُوفِّيَهُ نَصِيبَهُ ، فَإِنَّكَ مَتَى أَهْمَلْتَ ذَلِكَ لَمْ آمَنْ
 عَلَيْكَ أَنْ تَعْدِلَ بِهِمْ عَنْ طَرِيقِهِمْ ، وَتَسْلُكَ بِهِمْ
 غَيْرَ مَسْلُكِهِمْ ، وَتُجْرِيَ شُعَاعَ بِلَاغَتِكَ فِي غَيْرِ
 نَجْرَاهُ ، وَتَنْظِمَ جَوْهَرَ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ سِلْكِهِ ،
 فَلَا يُفِيدُ الْمَعْنَى الْجَزْلَ^(١) مَا لَمْ تُلْبِسْهُ لَفْظًا جَزْلًا
 لَائِقًا بِمَنْ كَاتَبْتَهُ . وَمُشَابِهًا لِمَنْ رَاسَلْتَهُ ، وَإِنْ
 الْبَاسَكَ الْمَعْنَى وَإِنْ شَرُفَ وَصَلَحَ لَفْظًا مُخْتَلِفًا عَنْ
 قَدْرِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، لَمْ تَجْرِ بِهِ عَادَتَهُمْ تَهْجِينًا^(٢)

(١) الجزل : البليغ (٢) تهجين : تقييح

لَمَعْنَى ، وَإِخْلَالٌ بِقَدْرِهِ ، وَظُلْمٌ لِحَقِّ الْمَكْتُوبِ
إِلَيْهِ ، وَتَقْصُّنٌ مِمَّا يَحِبُّ لَهُ ، كَمَا أَنَّ فِي اتِّبَاعِ
تَعَارُفِهِمْ ، وَمَا انْتَشَرَتْ بِهِ عَادَاتُهُمْ ، وَجَرَتْ بِهِ
سُنَّتُهُمْ^(١) ، قِطْعًا لِعُذْرِهِمْ ، وَخُرُوجًا مِنْ حُقُوقِهِمْ ،
وَبُلُوغًا إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ ، وَإِسْقَاطًا لِحُجَّةِ أَدْبِهِمْ .



فَمِنْ الْأَلْفَافِ الْمُرْغُوبِ^(٢) عَنْهَا ، وَالصُّدُورِ^(٣) تغير
الألفاظ
الْمُسْتَوْحَشِ مِنْهَا فِي كُتُبِ السَّادَاتِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْمُلُوكِ
عَلَى اتِّفَاقِ الْمَعَانِي ، مِثْلُ : « أَبْقَاكَ اللَّهُ طَوِيلًا ، وَعَمَّرَكَ
مَلِيًّا » . وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَا فُرْقَانَ بَيْنَ قَوْلِهِمْ :
« أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ » وَبَيْنَ قَوْلِهِمْ : « أَبْقَاكَ اللَّهُ

(١) السنة الطريقة. والمراد هنا العادة (٢) رغب عن الشيء : كرهه.
ورغب فيه أحبه (٣) الصدور : فواتح الرسائل وما يسمى ببراعة المطلع .

طَوِيلًا « وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا هَذَا أَرْجَحَ وَزَنَّا ، وَأَنَّهُ
 قَدْرًا ، فِي مُخَاطَبَةِ الْمُلُوكِ ، كَمَا أَنَّهُمْ جَعَلُوا « أَكْرَمَكَ
 اللَّهُ وَأَبْقَاكَ » أَحْسَنَ مَنْزِلَةً فِي كُتُبِ الظُّرَفَاءِ
 وَالْأَدْبَاءِ ، مِنْ « جُعِلْتُ فِدَاكَ » عَلَى اشْتِرَاكِ مَعْنَاهُ
 وَاحْتِمَالِهِ أَنْ يَكُونَ فِدَاءً مِنَ الْخَيْرِ ، كَمَا يَكُونُ فِدَاءً
 لَهُ مِنَ الشَّرِّ ، وَلَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ قَالَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ : « إِزِمِ فِدَاكَ أَبِي
 وَأُمِّي » ، لَكَرِهْتُ أَنْ يَكْتُبَ بِهَا أَحَدٌ ، عَلَى أَنْ
 كُتِبَ الْعَسْكَرُ وَعَوَامُّهُمْ ، قَدْ أُولِعُوا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ ،
 حَتَّى اسْتَعْمَلُوهَا فِي جَمِيعِ مُحَاوَرَاتِهِمْ ، وَجَعَلُوهَا
 هِجِيرَانَهُمْ^(١) فِي مُخَاطَبَةِ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ ، وَالصَّغِيرِ
 وَالْكَبِيرِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ :

(١) هجيرام : أى دأبهم وشأنهم

كُلُّ مَنْ حَلَّ سُرَّ مَنْ رَأَى النَّاسَ
 سِوَى وَصْفٍ يُدْخِلُ الْأَمْلَاكَ
 لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مَائِلًا^(١) فِي طَرِيقٍ
 قَالَ لِلْكَلبِ يَا جُعِلْتُ فِدَاكَ
 وَكَذَلِكَ لَمْ يُجِزُوا أَنْ يَكْتُبُوا بِمِثْلِ « أَبْقَاكَ اللَّهُ
 وَأَمْتَعَكَ بِكَ » إِلَّا إِلَى الْحُرْمَةِ وَالْأَهْلِ وَالتَّابِعِ وَالْمُنْقَطِعِ
 إِلَيْكَ ، وَأَمَّا فِي كُتُبِ الْإِخْوَانِ فَعَبْرُ جَائِزٍ ، بَلْ
 مَذْمُومٌ مَرُغُوبٌ عَنْهُ ، وَلِذَلِكَ كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ
 إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ :
 أَحْلَتَ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ
 أَمْ نِلْتَ مُلْكًا قَهْتُ^(٢) فِي كُتُبِكَ

(١) المائل : الواقف (٢) التيه : العجب والخيلاء

أَمْ هَلْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةٍ أَلْ
 إِخْوَانٍ تَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ
 أَتَعَبْتَ كَفِّكَ فِي مُكَاتَبَتِي
 حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ فِي تَعَبِكَ
 أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَّةٍ^(١)
 يَكُونُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعَ بِكَ^(٢)

فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :
 أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَاعِلُهُ
 وَلَنْ تَرَاهُ يُخْطُ فِي كُتُبِكَ
 فَاعْفُ فَدَتِكَ النُّفُوسُ عَنْ رَجُلٍ
 يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ

(١) المقة : المحبة . من ومق بمعنى أحب (٢) أى هذه العبارة .

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءِ يَا أَمَلِي
وَكُلُّ خَيْرٍ أَنَاكُ مِنْ سَبَبِكَ
إِنْ يَكُ جَهْلًا أَتَاكَ مِنْ قَبَلِي
فَعُدْ بِفَضْلِ عَلَيٍّ مِنْ حَسَبِكَ



وَأَمَّا صُدُورُ^(١) كُتُبِ السَّلَفِ فَإِنَّهَا كَانَتْ : مِنْ فُلَانٍ
ابْنِ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ . كَذَلِكَ جَرَتْ كُتُبُ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ،
وَالِإِ أُقْيَالِ^(٢) الْيَمَنِ ، وَإِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَكُتُبُ
أَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ كَذَلِكَ ، حَتَّى اسْتَخْلَصَ الْكُتَّابُ
هَذِهِ الْمُحَدَّثَاتِ مِنْ بَدَائِعِ الصُّدُورِ ، وَاسْتَنْبَطُوا

صدور
كتب
السلف

(١) أى فواتحها : والسلف : المتقدمون (٢) الأقيال : الملوك .

لَطِيفَ الْكَلَامِ ، وَرَتَّبُوا لِكُلِّ رُتْبَةٍ ، وَجَرَوْا
عَلَى تِلْكَ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ إِلَى عَصْرِنَا هَذَا ، فِي كُتُبِ
الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَرَاءِ . وَثَبَّتُوا عَلَى ذَلِكَ الْمِنْهَاجِ ^(١) فِي كُتُبِ
الْفُتُوحَاتِ ، وَالْأَمَانَاتِ ، وَالسَّجَلَاتِ .



وَلِكُلِّ مَكْتُوبٍ إِلَيْهِ قَدْرٌ وَوَزْنٌ ، يَنْبَغِي
لِلْكَاتِبِ أَلَّا يَتَجَاوَزَ بِهِ عَنْهُ ، وَلَا يُقْصِرَ بِهِ
دُونَهُ ، وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ عَابُوا الْأَحْوَصَ حِينَ خَاطَبَ
الْمُلُوكَ بِمُخَاطَبَةِ الْعَوَامِّ فِي قَوْلِهِ :
وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ

العبارة
المنتقدة

مَذِقُ ^(٢) الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

(١) المنهاج : الطريق (٢) مذاق الحديث أى بغيضه

فَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٍ فِي الْمَدْحِ ، وَلَكِنَّهُمْ أَجَلُوا
 أَقْدَارَ الْمُلُوكِ ، أَنْ يُمدَّحُوا بِمَا يُمدَّحُ بِهِ الْعَوَامُ ،
 لِأَنَّ صِدْقَ الْحَدِيثِ وَإِنْجَازَ الْوَعْدِ ، وَإِنْ كَانَ
 مَدْحًا فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ ، وَالْمُلُوكُ لَا يُمدَّحُونَ
 بِالْفَرُوضِ الْوَاجِبَةِ ، وَإِنَّمَا يَحْسَنُ مَدْحُهُمْ بِالنَّوَافِلِ^(١) ،
 لِأَنَّ الْمَادِحَ لَوْ قَالَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ : إِنَّكَ لَا تَرْنِي
 بِحَلِيلَةِ جَارِكَ ، وَإِنَّكَ لَا تَخُونُ مَا اسْتَوْدَعْتَ ،
 وَإِنَّكَ تَصْدُقُ فِي وَعْدِكَ ، وَتَفِي بِعَهْدِكَ ، كَانَ
 قَدْ أَثْنَى بِمَا يَجِبُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصِلْ بِثَنَائِهِ إِلَى
 مَقْصِدِهِ ، وَقَالَ مَا لَا يُسْتَحْسَنُ مِثْلُهُ فِي الْمُلُوكِ .
 وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَمِيرٍ يَتَوَلَّى مِنْ أُمُورِ
 الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ

(١) النوافل : ما زاد عن الواجب من الكماليات

يُطْلِقُوا هَذِهِ اللَّفْظَةَ إِلَّا لِلْخُلَفَاءِ خَاصَّةً ، وَنَعْلَمُ أَنَّ
 الْكَيْسَ هُوَ الْعَقْلُ ، إِذَا عَنَوْنَا^(١) بِهِ ، ضِدَّ الْحَقِّقِ ،
 وَلَكِنَّكَ لَوْ وَصَفْتَ رَجُلًا فَقُلْتَ : إِنَّ فُلَانًا
 لَعَاقِلٌ ، كُنْتَ قَدْ مَدَحْتَهُ عِنْدَ النَّاسِ ، وَلَوْ قُلْتَ :
 إِنَّهُ كَيْسٌ ، كُنْتَ قَدْ قَصَّرْتَ فِي وَصْفِهِ ، وَصَغُرَتْ
 مِنْ قَدْرِهِ ، إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ ، إِذْ كَانَ
 اسْتِعْمَالُ الْعَامَّةِ ، لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعَ الْحَدَاثَةِ
 وَالْفِرَةِ^(٢) ، وَخَسَاسَةِ الْقَدْرِ ، وَصِغَرِ السِّنِّ ،
 فَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ اللَّهُ
 وَجْهَهُ : أَنَّهُ تَسَمَّى بِالْكَيْسِ ، حِينَ بَنَى سِجْنَ
 الْكُوفَةِ . وَقَالَ : —

(١) قصدوا وأرادوا (٢) الغرة الحدائة والسذاجة

أَمَّا تَرَانِي كَيْسًا مُكَيِّسًا بَنَيْتُ بَعْدَ نَافِعٍ مُخَيِّسًا^(١)
حِصْنًا حَصِينًا وَأَمِيرًا كَيْسًا

وَقَالَ آخَرُ : —

مَا يَصْنَعُ الْأَحْمَقُ^(٢) الْمَرْزُوقُ بِالْكَيْسِ

وَكَذَلِكَ نَعْلَمُ أَنَّ الصَّلَاةَ رَحْمَةً ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ
حَرَّمُوهَا إِلَّا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ، كَذَلِكَ رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسَمِعَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ابْنَ أَخِي لَهُ
يُلَبِّي وَيَقُولُ : يَا ذَا الْمَعَارِجِ ، فَقَالَ : نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ
ذُو الْمَعَارِجِ^(٣) ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَذَلِكَ كُنَّا نُلَبِّي^(٤)

(١) مخيساً : سجن بالكوفة بناء أمير المؤمنين على ابن أبي طالب

(٢) الأحمق : سريع الغضب (٣) المعارج جمع معرج وهو المصعد

والسلم ومنه قوله تعالى من الله ذي المعارج تعرج الملائكة (٤) أي

تقول ليك الخ

عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنَّمَا
كُنَّا نَقُولُ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .

وَكَانَ ابْرَهِيمُ الْمُزَنِيُّ قَالَ : فِي بَعْضِ مَا طَالَبَ
بِهِ دَاوُدُ بْنُ خَلْفِ الْأَصْبَهَانِيِّ وَإِنْ قَالَ كَذًا : فَقَدْ
خَرَجَ مِنَ الْمِلَّةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَتَقَضَّ (١) عَلَيْهِ ذَلِكَ
دَاوُدُ وَقَالَ : تَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى أَنْ يَخْرِجَ مُسْلِمٌ مِنَ
الْإِسْلَامِ ، هَذَا مَوْضِعُ اسْتِرْجَاعٍ ، وَلِلْحَمْدِ مَكَانٌ
يَلِيقُ بِهِ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ فِي الْمُصِيبَةِ « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاغِبُونَ » .

*
* *

(١) تقض عليه : أنكر عليه

رعاية
الالفاظ
والمعاني

فَامْتَثِلْ هَذِهِ الرُّسُومَ وَالْمَذَاهِبَ وَاجْرِ عَلَى آدَابِهِمْ ،
فَلِكُلِّ رُسُومٍ امْتَثِلُوهَا ، وَتَحَفَّظْ فِي صُدُورِ كُتُبِكَ
وَفُصُولِهَا ، وَافْتَتَحِهَا وَخَاتَمَهَا ، وَضَعْ كُلَّ مَعْنَى
فِي مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ ، وَتَخَيَّرْ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَعْنَى
يُشَاءُ كُلُّهَا ، وَلَيْكُنْ مَا تَخْتِمُ بِهِ فُصُولَكَ ، فِي مَوْضِعٍ
ذَكَرَ الشَّكْوَى بِمِثْلِ : وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَفِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ الْبَلْوَى : نَسْأَلُ
اللَّهَ دَفْعَ الْمَحْذُورِ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ صَرْفَ الشُّؤْءِ ، وَفِي
مَوْضِعٍ ذَكَرَ الْمُصِيبَةَ بِمِثْلِ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ،
وَفِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ النِّعَمَ بِمِثْلِ : وَالْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِصًا ،
وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَاجِبًا ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ يَجِبُ عَلَى
الكَاتِبِ أَنْ يَتَفَقَّهَهَا وَيَحْتَفِظَ بِهَا . فَإِنَّ الْكَاتِبَ

إِنَّمَا يَصِيرُ كَاتِبًا ، إِذَا وَضَعَ كُلَّ مَعْنَى فِي مَوْضِعِهِ ،
وَعَلَّقَ كُلَّ لَفْظَةٍ عَلَى طَبَقِهَا مِنَ الْمَعْنَى ، فَلَا يَجْعَلُ
أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكْتَبَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ ، وَلَا آخِرَهُ
فِي أَوَّلِهِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبَ
يَقُولُ : لَا يَكُونُ الْكَاتِبُ كَاتِبًا حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ
أَحَدٌ أَنْ يُؤَخِّرَ أَوَّلَ كِتَابِهِ ، وَلَا يُقَدِّمَ آخِرَهُ



وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَحُوزُ فِي الرِّسَائِلِ ، اسْتِعْمَالُ
مَا أَتَتْ بِهِ آيُ الْقُرْآنِ ، مِنْ الْاِقْتِصَارِ وَالْحَذْفِ ،
وَمُخَاطَبَةِ الْخَاصِّ بِالْعَامِّ ، وَالْعَامِّ بِالْخَاصِّ ، لِأَنَّ
اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، إِنَّمَا خَاطَبَ بِالْقُرْآنِ أَقْوَامًا
فُصَحَّاءَ فَهِمُوا عَنْهُ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ

محاكاة
القرآن

وَمُرَادُهُ ، وَالرَّسَائِلُ إِنَّمَا يُخَاطَبُ بِهَا قَوْمٌ دُخِلَ
 عَلَى اللُّغَةِ ، لَا عِلْمَ لَهُمْ بِلِسَانِ الْعَرَبِ ، وَكَذَلِكَ
 يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ ، أَنْ يَتَجَنَّبَ اللَّفْظَ الْمُشْتَرَكَ ، وَالْمَعْنَى
 الْمُتَّبَسُّ^(١) ، فَإِنَّهُ إِنْ ذَهَبَ عَلَى مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :
 « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا »
 وَقَوْلِهِ تَعَالَى : « بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » احتِجَاجُ
 أَنْ يُبَيَّنَّ أَنَّ مَعْنَاهُ : وَاسْأَلِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ وَأَهْلَ الْعِيرِ ،
 وَبَلْ مَكْرُكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ



كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ فِي الرِّسَائِلِ مَا يَجُوزُ فِي الشُّعْرِ ، مَا يَصُوغُ
 شِعْرًا لَا
 لِأَنَّ الشُّعْرَ مَوْضِعُ اضْطِرَارٍ ، فَاعْتَفَرُوا فِيهِ الْإِعْرَابَ
 كِتَابَةً

(١) اللبس : الشك . والمتبس : ما يقع في شك

وَسُوءَ النَّظْمِ ، وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، وَالْإِضْمَارَ فِي
مَوْضِعِ الْإِظْهَارِ .

كَمَا لَا يَجُوزُ أَيْضًا فِي الرَّسَائِلِ وَالْبَلَاغَاتِ
الْمَشْتُورَةِ . مَا يَجُوزُ فِي الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ ، لِأَنَّ
الشَّاعِرَ مُضْطَرٌّ ، وَالشَّعْرُ مَقْصُورٌ مُقَيَّدٌ بِالْوِزْنِ
وَالْقَوَافِي^(١) ، فَلِذَلِكَ أَجَازُوا لَهُمْ صَرْفَ مَا لَا يَنْصَرِفُ
مِنَ الْأَسْمَاءِ ، وَحَذَفَ مَا لَا يُحْذَفُ مِنْهَا ، وَذَلِكَ
كُلُّهُ غَيْرُ سَائِغٍ فِي الرَّسَائِلِ ، وَلَا جَائِزٍ فِي الْبَلَاغَاتِ .
فَمِنْ الْحَذَفِ قَوْلُ الْخَطِيبَةِ :

فِيهَا الرِّمَاحُ وَفِيهَا كُلُّ سَابِغَةٍ^(٢)

جَدَلَاءُ^(٣) مَسْرُودَةٍ مِنْ صُنْعِ سَلَامٍ

(١) القوافي جمع قافية : وهي آخر البيت من الشعر (٢) السابغة :
الدرع الفضفاضة (٣) جدلاء : محكمة السرد .

يُرِيدُ سُلَيْمَانَ بْنُ دَاوُدَ، وَكَقَوْلِ الْآخِرِ، وَالشَّيْخُ
عُمَانُ أَبُو عَفَّانَ . وَكَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَسَائِلَةٌ بِشَعْلَبَةَ بْنِ سَيْرٍ

وَقَدْ عَلِقَتْ بِشَعْلَبَةَ الْعُلُقُ^(١)

أَرَادَ بْنَ سَيَّارٍ ، وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَكُلُّ صَمُوتٍ ثَمَلَةٌ ثَعْلَبِيَّةٌ

وَنَسَجَ سُلَيْمٌ كُلَّ قَضَاءٍ^(٢) ذَائِلٍ^(٣)

يُرِيدُ سُلَيْمَانَ .

وَقَوْلِ الْآخِرِ :

قَوَاطِنًا^(٤) مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمَى يَعْنِي : الْحَمَامِ

وَقَوْلِ الْآخِرِ :

(١) الْعُلُقُ بِالْفَتْحِ : النِّهْيُ (٢) قَضَاءٌ : الدَّرْعُ الْمَحْكَمَةُ

(٣) ذَائِلٌ : طَوِيلَةٌ (٤) قَوَاطِنًا : سَاكِنَاتُ

صَفَرُ الْوَشَاحَيْنِ^١ صَمُوتُ الْخَلْخَلِ^٢ يُرِيدُ : الْخَلْخَالَ
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

دَارُ لِسَامَى إِذْهِ مِنْ هَوَاكَ يُرِيدُ : إِذْ هِيَ
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلَا أُسْتَطِيعُهُ

وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ

أَرَادَ وَلَكِنْ .

وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي فِي الرِّسَائِلِ أَلَّا يُصَغَّرَ الْإِسْمَ
مَوْضِعَ التَّعْظِيمِ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا عَلَى مِثْلِ
قَوْلِهِمْ : دُؤَيْهِيَّةٌ^(٣) فِي قَوْلِ لَبِيدٍ :

وَكُلُّ أَتَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ يَتَتَهُمُ

دُؤَيْهِيَّةٌ تَصَفَّرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

(١) الوشاحين مثنى وشاح وهو ما يتشح به الإنسان أى يلتفح به .
(٢) كناية عن سمن الساقين (٣) دؤيهية تصغير داهية . وهى الأمر العظيم

وَجُذَيْلٌ وَعُذَيْقٌ فِي قَوْلِ الْحَبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ
يَوْمَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ : أَنَا عُذَيْقُهَا ^(١) الْمَرْجَبُ ^(٢)
وَجُذَيْلُهَا ^(٣) الْمُحَكَّكُ ، وَمِمَّا لَا يَجُوزُ فِي الرَّسَائِلِ .
كَلَّمْتُ إِيَّاكَ وَأَعْنِي إِيَّاكَ ، وَهُوَ جَائِزٌ فِي الشَّعْرِ ،
قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَحْسِنْ وَأَجِلْ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ
ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْسِرْ كَأَيَّاكَ آسِرٌ
وَأِسَاءَةُ النَّظْمِ فِي الشَّعْرِ كَثِيرٌ .
وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ بَشَعَةً ، حَتَّى إِذَا وُضِعَتْ مَوْضِعَهَا ،

(١) عُذَيْقُهَا : تصغير عُذْق : وهي النخلة يحملها (٢) المرجب : من رجب
الشجرة إذا دعمها بما يمنعها من الانكسار (٣) جذيل تصغير جذل بالكسر
وهو عود ينتصب للجري من الأبل لتحتك به . يريد قائل ذلك أنه صاحب
الأمر المضروب فيه المثل . وهو زعيم لا يضعف عن احتماله والتهوض به .

وَقُرِنتْ مَعَ أَخَوَاتِهَا ، حَسُنَ حَالُهَا وَرَاقَتْ ، كَقَوْلِ
الْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ :

ذُو حُضْرٍ أَفْلَتَ مِنْ كَدِّ الْقُبَلِ

وَالْكَدُّ كَلِمَةٌ قَلِقَةٌ ، لَا سِيَّامًا فِي الْغَزَلِ وَالتَّشْبِيبِ ،
غَيْرَ أَنَّهَا لَمَّا وَقَعَتْ فِي مَوْضِعِهَا حَسُنَتْ ، كَمَا أَنَّ اللَّفْظَةَ
الْعَذْبَةَ إِذَا لَمْ تُوَضَّعْ مَوْضِعَهَا تَفَرَّتْ . قَالَ :

رَأَتْ عَارِضًا جَوْنًا فَقَامَتْ غَرِيرَةً

بِمَسْحَاتِهَا قَبْلَ الظَّلَامِ تُبَادِرُهُ

فَأَوْقَعَ الْجَلْفُ الْجَانِي هَذِهِ اللَّفْظَةَ غَيْرَ مَوْقِعِهَا ،
وَوَظَّامَهَا إِذْ جَعَلَهَا فِي غَيْرِ مَكَانِهَا ، لِأَنَّ الْمَسَاحِي
لَا تَكُونُ وَلَا تَصْلُحُ لِلْغَرَائِرِ . وَأَيْنَ كَانَ مِنْ
قَوْلِ الشَّاعِرِ :

غَرَائِرُ مَا حَدَّثَنَ يُهْدِينِ أُنْسَةً
لِمَا فَوْقَهُ مِنْهُنَّ غَيْرُ غَرَائِرٍ^(١)
حَدِيثٌ لَوْ أَنَّ الْعَصَمَ^(٢) تُدْعَى بِهِ أَتَتْ
وَدُونَ يَدِ الْفَحْشَاءِ^(٣) حَدُّ الْبَوَاتِرِ^(٤)
فَتَحْيِرٌ مِنَ الْأَلْفَافِ أَرْجَحَهَا وَزَنَّا ، وَأَجْزَلَهَا
مَعْنَى ، وَالْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا ، وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا .

*
* *

وَلَيْكُنْ فِي صَدْرِ كِتَابِكَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى
مُرَادِكَ ، وَفِي افْتِتَاحِ كَلَامِكَ بُرْهَانٌ شَاهِدٌ عَلَى
فَوَائِدِ
الرَّسَائِلِ
وِخَوَانِيهَا

(١) غرائر جمع غريرة . وهي الساذجة . والغريرة هي ذات الخلق الحسن والمراد أن أولئك الحسان تغلب عليهن الغرة والسذاجة حتى يكون الحديث لحض الأنس فإذا أريد بالحديث ما فوق ذلك من أمارات الرية . عدن غير غرائر . واعتصم بسوء الظن (٢) العصم جمع أعصم والوعول : تعصم برءوس الجبال (٣) جمع فاحشة وهي كل شيء يستحق فاعله العقاب عليه كالزنا (٤) البواتر جمع باتر وهو السيف القاطع

مَقْصِدِكَ ، حَيْثُمَا جَرَيْتَ فِيهِ مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ ،
وَنَزَعْتَ^(٥) نَحْوَهُ مِنْ مَذَاهِبِ الْخُطْبِ وَالْبَلَاغَاتِ ،
فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْزَلُ لِمَعْنَاكَ ، وَأَحْسَنُ لِاتِّسَاقِ كَلَامِكَ ،
وَلَا تُطِيلَنَّ صَدْرَ كَلَامِكَ إِطَالَةً تُخْرِجُهُ مِنْ حَدِّهِ ،
وَلَا تُقْصِّرْ بِهِ عَنْ حَقِّهِ .

وَلَوْ صُوِّرَ اللَّفْظُ وَكَانَ لَهُ حَدٌّ لَوَقَفْتُكَ عَلَيْهِ ،
غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي الْجُمْلَةِ كَرِهُوا أَنْ يَزِيدُوا سُطُورَ كُتُبِ
الْمُلُوكِ عَلَى سَطْرَيْنِ ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ لَا تُعْبَرُ إِلَّا
عَنِ الْجُمْلَةِ مِنَ الْمَقْصُودِ إِلَيْهِ ، لِأَنَّ الْأَسْطُرَ
غَيْرُ مَحْدُودَةٍ .



وَأَعْلَمَ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي لَكَ ، أَنْ تُصْلِحَ آلَتَكَ
 الَّتِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْهَا ، وَأَدَوَاتِكَ الَّتِي لَا تَتِمُّ
 صِنَاعَتُكَ إِلَّا بِهَا ، وَهِيَ دَوَاتُكَ ، فَأَبْدَأْ بِعِمَارَتِهَا
 وَإِصْلَاحِهَا ، وَتَخَيَّرْ لَهَا لَيْقَةً^(١) نَقِيَّةً مِنَ الشَّعْرِ
 وَالْوَذَحِ^(٢) ، لِئَلَّا يَخْرُجَ عَلَى حَرْفِ قَلَمِكَ مَا يُفْسِدُ
 كِتَابَكَ ، وَيَشْغَلَكَ بِتَنْقِيَّتِهِ .

وَاخُذْ مِنَ الْمِدَادِ الْفَارِسِيِّ خَمْسَةَ دِرْهَمٍ ، وَمِنْ
 الصَّمْغِ الْعَرَبِيِّ دِرْهَمًا ، وَعَصْفًا مَسْحُوقًا نِصْفَ دِرْهَمٍ ،
 وَرَمَادَ الْقِرْطَاسِ الْمُحْرَقِ دِرْهَمَيْنِ ، ثُمَّ تَسْحَقُهَا
 وَتُغْرِبِلُهَا وَتَجْمَعُهَا بِيَاضِ الْبَيْضِ ، ثُمَّ بِنْدِقِهَا وَاجْعَلْهَا
 فِي الظِّلِّ ، فَإِذَا احْتَجَبَتْ إِلَيْهَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِقْدَارَ

(١) اللبقة ما يوضع في الدواة من صوف أو خرقه (٢) ما تعلق بأصواف الغنم

حَاجَتِكَ ، فَكَسَّرَتْهُ وَحَشَوْتَ بِهِ دَوَاتَكَ ، وَإِذَا
 نَقَعْتَهُ فِي مَاءِ السَّلْقِ حَتَّى يَنْحَلَّ وَيَذُوبَ وَيَخْتَمِرَ ،
 ثُمَّ أَمَدَدْتَ مِنْ مَائِهِ دَوَاتَكَ ، كَانَ أَجُودَ وَأَنْقَى ،
 ثُمَّ اخْتَرْتَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَنْايِبِ ^(١) الْقَلَمِ ، الَّذِي
 يَصْلُحُ لِكِتَابَةِ الْقَرَّاطِيسِ ^(٢) ، أَقْلَهُ عُقْدًا ، وَأَكْثَفَهُ
 حِلْمًا ، وَأَصْلَبَهُ قِشْرًا ، وَأَعْدَلَهُ اسْتِوَاءً ، وَتَجَنَّبَ
 الْأَقْلَامَ الْفَارِسِيَّةَ مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّهَا مَا تَصْلُحُ
 إِلَّا لِلْكَوَاغِدِ ^(٣) وَالرُّقُوقِ ^(٤) .



وَأَجْعَلْ لِقَلَمِكَ بَرَاءَةً حَادَّةً ، فَإِنَّ تَعَثُّرَ يَدِ

الاقلام
والقراطيس

(١) أناييب جمع أنبوب : وهو من القصب والقنا : والمراد به «البوص
 والبسط» (٢) القراطيس جمع قرطاس وهو القطعة من الورق الرقيق
 (٣) الكواغد جمع كاغد وهو الورق السميك (٤) والرقوق جمع رق
 وهو الصحيفة من الجلد التي يكتب فيها

الْكَاتِبِ وَقْتَ قَطْعِ الْقِرْطَاسِ نَاقِصٌ مُرُوءَتُهُ، وَمُحِلٌّ
 بِظَرْفِهِ، وَإِنْ قَدَرْتَ إِلَّا تَقْطَعِ الْقِرْطَاسَ إِذَا
 فَرَعْتَ مِنْ كِتَابِكَ، إِلَّا بِخَرْطُومِ قَلَمِكَ فَافْعَلْ،
 فَإِنَّ ذَلِكَ أَكْمَلُ لِمُرُوءَتِكَ، وَأَبْدَعُ لِظَرْفِكَ
 وَقَطْعِكَ، وَاسْتَعْمِلْ لِبَرِي الْقَلَمِ سَكِينًا طَوَاوِيسِيًّا^(١)،
 مُذَلَّقَ^(٢) الْحَدَّ، وَمِيزَ^(٣) الطَّرْفَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ
 عَوْنًا لَكَ عَلَى بَرِي قَلَمِكَ، فَإِنَّ مَحَلَّ الْقَلَمِ مِنْ
 الْكَاتِبِ مَحَلُّ الرُّمَحِ مِنَ الْفَارِسِ، وَلَئِنْ قِيلَ كَأَنَّهُ
 الرُّمَحُ الرُّدَيْنِيُّ، فَقَدْ قَالَ الْكَاتِبُ: كَأَنَّهُ الْقَلَمُ
 الْبَحْرِيُّ، وَتَفَقَّدَ الْأَنْبُوبَةَ قَبْلَ بَرِيهَا، لِثَلَا تَجْعَلَهَا
 مَنكُوسَةً، وَأَبْرِهَا مِنْ نَاحِيَةِ نَبَاتِ الْقَصَبَةِ، وَأَرْهِفْ

(١) نسبة إلى الطاووس والمراد سكينه حسنة حادة (٢) مذلق

الحد: رقيقه (٣) وميز الطرف: براق الطرف.

مَا قَدَرْتَ جَانِبِي قَلَمِكَ ، لِيَرُدَّ مَا انْتَشَرَ مِنَ الْمِدَادِ ،
وَلَا تُطِلْ شِقَّهُ ، فَإِنَّ الْقَلَمَ لَا يَمُجُّ الْمِدَادَ مِنْ شِقِّهِ ،
إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا احْتَمَلَتْ سَبْتَاهُ ، فَارْفَعْ سَبْتِيهِ لِيَجْمَعَ
لَكَ حَوَاشِي تَحْضِيرِهِ ، وَأَمَّا قَطُّ الْقَلَمِ فَعَلَى قَدْرِ
الْقَلَمِ الَّذِي يَتَعَاطَاهُ الْكَاتِبُ مِنَ الْخَطِّ ، غَيْرَ أَنَّ
الْمُسْلَسَلَ لَا يَكَادُ يَتَسَلْسَلُ إِلَّا بِالْقَلَمِ الْمُرَبَّعِ الْقَطُّ ،
كَمَا أَنَّ كُتُبَ الْمُلُوكِ وَالسَّجَلَاتِ ، لَا تَحْسُنُ إِلَّا
بِالْقَلَمِ الْمُحَرَّفِ الْكُوفِيِّ ، وَأَمَّا قَلَمُ اللَّازَوْرْدِ ، فَهُوَ
الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ ، وَالْمَقْصُودُ إِلَيْهِ فِي النَّوَائِبِ وَالْمُهِمَّاتِ .
وَرَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الْكُتَّابِ يَخْتَارُونَ قَلَمَ الزَّرْجِسِ
لِتَجَعْدِهِ وَتَجَانْسِهِ ، وَاللَّازَوْرْدُ أَبْسَطُ مِنْهُ وَأَقْوَمُ
حُرُوفًا ، وَأَمَّا الْمَوْشَعُ وَالْمَوْلَعُ ، وَالْمُدْبِجُ وَالْمُنَمَّمُ

وَالْمُسَهَّمُ ، فَعَلَى قَدْرِ رَشَاقَةِ خَطِّ الْكَاتِبِ وَحَلَاوَةِ
 قَلَمِهِ ، وَأَمَّا حُسْنُ الْخَطِّ فَلَا حَدَّ لَهُ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ
 زَيْرٍ النَّصْرَانِيُّ الْكَاتِبُ : أَعْلَمُكَ الْخَطَّ فِي كَلِمَةٍ
 وَاحِدَةٍ ؛ لَا تَكْتُبَنَّ حَرْفًا حَتَّى تَسْتَفْرِغَ مَجْهُودَكَ
 فِي كِتَابَةِ الْحَرْفِ الْمَبْدُوءِ بِهِ ، وَتَجْعَلَ فِي نَفْسِكَ
 أَنَّكَ لَا تَكْتُبُ غَيْرَهُ ، حَتَّى لَا تَعْجَلَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ .



وَأَيَّاكَ وَالنَّقْطَ وَالشَّكْلَ فِي كِتَابِكَ ، إِلَّا أَنْ ^{النقط والشكل}
 تَمُرَّ بِالْحَرْفِ الْمُعْضِلِ ^(١) ، الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّ الْمَكْتُوبَ
 إِلَيْهِ يَعْجُزُ عَنْ اسْتِخْرَاجِهِ ، فَلَا يُشَكِّلُ عَلَى
 الْحَرْفِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُعَابَ بِالنَّقْطِ وَالْإِعْجَامِ ،

(١) المعضل : الصعب

وَقَالَ الْمُأْمُونُ لِكُتَّابِهِ : إِيَّايَ وَالشَّوْنِيزَ ^(١) فِي كُتُبِكُمْ
يَعْنِي النَّقْطَ . وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ هَانِي :
لَمْ تَرْضَ بِالْإِعْجَامِ حِينَ كَتَبْتَهُ
حَتَّى شَكَلَتْ عَلَيْهِ بِالْإِعْرَابِ



وَلَا تَغْفِلِ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،
فَقَدْ قَالَ أَبُو الْعِينَاءِ : إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا
أَمَرُوا كُتَّابَهُمْ فَطَرَحُوا ذَلِكَ مِنْ كُتُبِهِمْ ، فَجَرَتْ
عَادَةُ الْكُتَّابِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا عَلَى مَا سَنُوهُ . وَقَدْ
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ
الرَّايكِ ، وَلَكِنْ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطِهِ

الصلاة
على النبي
صلى الله
عليه
وسلم

(١) الشونيز : الحية السوداء . والكلام على التشبيه .

وَأَخِرِهِ « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، أَوَّلًا
وَأَوْسَطَ وَآخِرًا .

وَأَحِبُّ أَنْ تَجْعَلَ بَدَلَ الْأَشَارَةِ ^(١) الثَّرَابَ ، فَإِنَّ الثَّرَابَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَتَرِبُوا كُتُبَكُمْ
فَإِنَّهُ أَنْجَحُ ^(٢) لِلْحَاجَةِ » .



وَلَا تَدَعِ التَّارِيخَ ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَحْقِيقِ الْأَخْبَارِ النَّارِخِ
وَقُرْبِهَا وَبُعْدِهَا ، وَانْظُرْ إِلَى مَا مَضَى مِنَ الشَّهْرِ
وَمَا بَقِيَ مِنْهُ ، فَإِنْ كَانَ الْمَاضِي أَقَلَّ مِنْ نِصْفِ الشَّهْرِ ،
قُلْتَ لِكَذَا لَيْلَةٌ مَضَتْ مِنْ شَهْرٍ كَذَا ، وَإِنْ كَانَ
الْبَاقِي أَقَلَّ مِنَ النِّصْفِ ، قُلْتَ لِكَذَا أَيُّضًا بَقِيَتْ ،

(١) الإشارة : النشارة من الحشب (٢) أنجح : أفضى
التذليل (٤)

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : إِنَّ الْمَاضِيَ مِنَ الشَّهْرِ
تُحْصِيهِ ، وَالْبَاقِيَ لَا تُحْصِيهِ ، لِأَنَّكَ لَا تَدْرِي ، أَيُّ يَوْمٍ
الشَّهْرُ أَمْ يَنْقُصُ ؟ وَلَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ تَارِيخَ
الْكِتَابِ لَيْسَ مِنَ الْأَحْكَامِ فِي شَيْءٍ ، وَمَا عَلَى
الْكَاتِبِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَّا بِمَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ ، لَا بِمَا يَظُنُّ .



إِسْحَاءُ
الْكِتَابِ
وَحَتْمُهَا
وَلَا تَجْعَلْ سَحَاةً ^(١) كُتُبِكَ غَلِيظَةً ، إِلَّا فِي
الْعُهُودِ وَالسَّجَلَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى خَوَاتِمِهَا وَطَوَابِعِهَا ،
فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عِيْسَى الْكَاتِبَ ، كَاتِبَ آلِ طَاهِرٍ ،
أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ ، كَتَبَ إِلَى الْعِرَاقِ
فِي إِشْخَاصِ كَاتِبٍ ، كَانَ كَتَبَ إِلَيْهِ ، فَكَتَبَ

(١) السحاة : وهي ما شد به الكتاب من خيط ونحوه

وَعَلَّظَ سَحَاةَ كِتَابِهِ ، فَرَدَّ الْكِتَابَ إِلَيْهِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَاجِيًا لِبِرِّهِ وَجَانِزَتِهِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ :
 إِنْ كَانَ مَعَكَ مِسْحَاةٌ ^(١) فَأَقْطَعْ خَزْمَ ^(٢) كِتَابِكَ
 وَأَنْصَرِفْ وَرَاءَكَ . وَكَذَلِكَ لَا تُعْظِمُ الطِّينَةَ ^(٣) ، فِي
 الْمَثَلِ : مَنْ عَظَّمَ الطِّينَةَ فَإِنَّهُ مُلُومٌ ، وَلَا تَطْبَعُهَا
 إِلَّا بَعْدَ عُثْوَانَاتِهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُرَادٌ مِنْهُمْ .

وَقَدْ يَجِبُ عَلَيْكَ عِلْمُ إِيصَاقِ الْقَرَّاطِيسِ وَمَحْوِهَا ، <sup>الصاق
القراطيس</sup>
 وَلَمْ أَرِ شَيْئًا فِي إِيصَاقِهَا أَلْطَفَ مِنْ أَنْ يُنْقَعَ الصَّمْعُ
 الْعَرَبِيُّ فِي الْمَاءِ سَاعَةً حَتَّى يَذُوبَ ثُمَّ يُلْصَقَ بِهِ ،
 وَكَذَلِكَ مَاءُ الْكَثِيرِ ^(٤) ، أَوِ النَّشَاسِيجِ ، ثُمَّ تَطْوِيهِ

(١) المسحة : القوس (٢) خزم كتابك : أى منظومه

(٣) الطينة : هى الشمع الآن وأما قبل ذلك فكانت الطينة الطابع والصبك

(٤) الكثير : طلع النخل . وهو فى كتب اللغة الكثير بالفتح والتحرير

طَيًّا رَقِيقًا وَتَجْمَعُهُ فِي مِندِيلٍ نَظِيفٍ ، وَيُوضَعُ
تَحْتَ وَسَادَةٍ حَتَّى يَجِفَّ ، وَأَمَّا مَحْوُهَا فَعَلَى قَدْرِ
لُطْفِ الْكَاتِبِ وَتَأْنِيهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَلَّا
يَلْقُطَ السَّوَادَ مِنَ الْقِرْطَاسِ إِلَّا بِمِثْلِ السَّمْعِ
الْمُسَخَّنِ وَاللِّبَانِ الْمَمْضُوعِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا ، ثُمَّ يَكُونُ
لَقْطُهُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، كُلَّمَا لَقَطَ جَانِبًا حَوْلَهُ إِلَى
الْجَانِبِ الْآخِرِ

*
* *

وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْكُتُبِ الْمُخْتُومَةِ ، وَالتَّلَطُّفُ لِفَضٍّ^(١)
خَوَاتِيمِهَا ، فَمِمَّا لَا نَذْكُرُهُ خَوْفًا مِنْ سَفِيهِهِ .
وَأَمَّا تَضْمِينُ الْأَسْرَارِ حَتَّى لَا يَقْرَأَهَا غَيْرُ
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، فَفِيهِ أَدَبٌ ، وَقَدْ تَعَلَّقَتِ الْعَامَّةُ

قِرَاءَةُ
الْكَتُبِ
الْمُخْتُومَةِ

بِالْقُمَى وَالْأَصْبَهَانِي ، فَيَجِبُ أَنْ تُبَدَّلَ الْحُرُوفُ
تَبْدِيلًا يَخْفَى ، وَالطَّفُّ مِنْ ذَلِكَ ، أَنْ تَأْخُذَ كَبْنًا
حَلِيبًا ، فَتَكْتُبَ بِهِ فِي قِرطَاسٍ فَيَذَرُ الْمَكْتُوبُ
إِلَيْهِ عَلَيْهِ رَمَادًا حَارًّا ، مِنْ رَمَادِ الْقَرَاتِيسِ فَإِنَّهُ
يُظْهِرُ ، وَإِنْ كُتِبَ بِمَاءِ الزَّاجِ وَذَرَّ عَلَيْهِ الْعَفْصُ
الْمَدْفُوقُ بِزَاجٍ ، أَوْ بِمَاءِ الْعَفْصِ ، وَذَرَّ عَلَيْهِ شَيْئًا
مِنَ الزَّاجِ ، أَوْ يَنْقَعُ شَيْئًا مِنْ وَشَقٍ ^(١) ثُمَّ تَكْتُبُ
بِهِ ، ثُمَّ تَثَرَّتْ عَلَيْهِ الرَّمَادَ فَإِنَّهُ يُظْهِرُ ، وَإِنْ
أَحْبَبْتَهُ لَا يُقْرَأُ بِالنَّهَارِ وَيُقْرَأُ بِاللَّيْلِ ، فَاكْتُبْهُ
بِمَرَارَةِ السَّلْحَفَةِ



(١) الوشق : نوع من العشب . وكانت العروس تبخر به عند الجلوطة

تخير
الألفاظ

وَإِنْ حَاوَلْتَ صُنْعَةَ رِسَالَةٍ ، أَوْ إِنْشَاءَ كِتَابٍ ،
 فَرَنِ اللَّفْظَةَ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِمِيزَانِ التَّصْرِيفِ
 إِذَا عَرَضَتْ ، وَالْكَلِمَةَ بِعِيَارِهِ إِذَا سَنَحَتْ ، فَرَبَّمَا
 مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مُخْرِجُ الْكَلَامِ ، إِذَا حُسِبَ
 أَنَا فَاعِلٌ أَحْسَنَ مِنْ أَنَا أَفْعَلُ ، وَاسْتَفْعَلْتُ أَحَلَى
 مِنْ فَعَلْتُ ، وَأَدِرِ الْأَلْفَاظَ فِي أَمَاكِنِهَا ، وَاعْرِضْهَا
 عَلَى مَعَانِيهَا ، وَقَلِّبْهَا عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهَا ، حَتَّى تَقَعَ
 مَوْقِعَهَا ، وَلَا تَجْعَلْهَا قَلِقَةً نَافِرَةً^(١) ، فَتَنَى صَارَتْ
 كَذَلِكَ ، هَجَنْتَ^(٢) الْمَوْضِعَ الَّذِي أَرَدْتَ تَحْسِينَهُ ،
 وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ إِصْلَاحَهُ .

(١) أى غير منسجمة (٢) التهجين : التفتيح

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ فِي غَيْرِ أَمَاكِينَهَا ، وَالْقَصْدَ
بِهَا فِي غَيْرِ مَظَانِّهَا^(١) ، كَتَرَقِيعِ الثَّوْبِ الَّذِي إِذَا
لَمْ تَتَشَابَهْ رِقَاعُهُ ، وَلَمْ تَتَقَارَبْ أَجْزَاؤُهُ ، خَرَجَ
عَنْ حَدِّ الْجِدَّةِ ، وَتَغَيَّرَ حُسْنُهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ : —
إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقٍ^(٢)

تَبَيَّنَ النَّاسُ أَنَّ الثَّوْبَ مَرْقُوعٌ



وَارْتَصَدَّ^(٣) لِكِتَابِكَ فَرَاغَ قَلْبِكَ ، وَسَاعَةَ أَوْقَاتِ
النَّشَاطِ كَ ، فَتَجَدَّ مَا يَمْتَنِعُ عَلَيْكَ بِالْكَدِّ^(٤)
وَالْتَّكْلُفِ^(٥) . لِأَنَّ سَمَاحَةَ النَّفْسِ بِمَكْنُونِهَا ، وَجُودُ^(٦)

(١) المِظَان : المِرَاجِع (٢) الخُلُق : الثِيَاب البَالِيَة (٣) وارتصد :

ترقب (٤) الكد : التعب (٥) التكلّف : حمل المشقة (٦) الجود :

ضد البخل

الْأَذْهَانَ بِمَخْزُونِهَا ، إِنَّمَا هُوَ مَعَ الشَّهْوَةِ الْمُفْرِطَةِ
فِي الشَّيْءِ ، وَالْمَحَبَّةِ الْغَالِيَةِ فِيهِ ، أَوْ الْغَضَبِ
الْبَاعِثِ مِنْهُ ذَلِكَ ، قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لِمَ لَا تَقُولُ
الشَّعْرُ ؟ قَالَ : كَيْفَ أَقُولُهُ ! وَأَنَا لَا أَغْضَبُ
وَلَا أَطْرَبُ .

وَهَذَا كُلُّهُ إِنْ جَرَيْتَ مِنَ الْبَلَغَةِ عَلَى عِرْقٍ^(١) ،
وْظَهَرَتْ مِنْهَا عَلَى حَظٍّ ، فَأَمَّا إِنْ كَانَتْ غَيْرَ
مُنَاسِبَةٍ لِطَبْعِكَ ، وَلَا وَاقِعَةٍ شَهْوَتِكَ عَلَيْهَا ، فَلَا
تُنْضِ^(٢) مَطِيَّتَكَ فِي التَّمَاسِيهَا ، وَلَا تُثْعِبُ بَدَنَكَ
فِي ابْتِغَائِهَا ، وَاصْرِفْ عِنَانَكَ عَنْهَا ، وَلَا تَطْمَعْ فِيهَا
بِاسْتِعَارَتِكَ الْفَاطَ النَّاسِ وَكَلَامِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ

(١) العرق : الاصل (٢) أى لا تتعب

مُشْمِرٍ لَكَ ، وَلَا مُجِدٍّ ^(١) عَلَيْكَ . وَمَنْ كَانَ مَرْجِعُهُ
فِيهَا إِلَى اغْتِصَابِ الْفَاطِ مَنْ تَقَدَّمَ ، وَالِاسْتِضَاءِ
بِكَوْكَبٍ مَنْ سَبَقَهُ ، وَسَحَبِ ذَيْلِ حُلَّةٍ غَيْرِهِ ،
وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَدَاةٌ تُؤَلِّدُ لَهُ مِنْ بَنَاتِ قَلْبِهِ وَنَتَائِجِ
ذَهْنِهِ ، الْكَلَامَ الْحَرَّ ^(٢) ، وَالْمَعْنَى الْجَزَلَ ^(٣) ، فَلَمْ
يَكُنْ مِنَ الصَّنَاعَةِ فِي عَيْرٍ ^(٤) وَلَا نَفِيرٍ ^(٥) .



عَلَى أَنْ كَلَامَ الْعُظَمَاءِ الْمَطْبُوعِينَ ، وَدَرَسَ رَسَائِلِ
الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، مِمَّا يَفْتَقُ ^(٦) اللِّسَانَ ،
وَيُوسِّعُ الْمَنْطِقَ ، وَيُسْحِذُ الطَّبْعَ ، وَيَسْتَشِيرُ

(١) ولا مجد : أى ولا راجع عليه بالفائدة المنشودة (٢) الحر :
الطليق (٣) الجزل : البليغ (٤) العير : الابل التى تحمل الميرة
أى الطعام والمؤونة (٥) النفير : القوم الناهبون للعمل . والمراد هنا
أن من كان هذا شأنه لم يصل الى هذا ولا ذاك (ضائع لا عمل له) ويكون
عالة على غيره (٦) يفتق : يحدد

كَوَامِنَهُ ، إِنَّ كَانَتْ فِيهِ سَجِيَّةٌ .

قَالَ الْعَتَابِيُّ : مَا رَأَيْنَا فِيهَا تَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ
فُنُونِ الْعِلْمِ ، وَجَرَيْنَا فِيهِ مِنْ صُنُوفِ الْأَدَابِ ،
شَيْئًا أَصْعَبَ مَرَامًا وَلَا أَوْعَرَ^(١) مَسْلَكًا ، وَلَا أَدَلَّ
عَلَى تَقْصِ الرِّجَالِ وَرَجَاحَتِهِمْ ، وَأَصَالَةِ الرَّأْيِ ،
وَحُسْنِ التَّمْيِيزِ مِنْهُ وَاخْتِيَارِهِ ، مِنَ الصَّنَاعَةِ الَّتِي
خَطَبْتُهَا ، وَالْمَعْنَى الَّتِي طَلَبْتُهَا ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَصْعَبَ
مِنْ اخْتِيَارِ الْأَلْفَاطِ ، وَقَصْدِكَ بِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا ،
لِأَنَّ اللَّفْظَةَ تَكُونُ أُخْتِ اللَّفْظَةِ وَقَسِيمَتَهَا ، فِي
الْفَصَاحَةِ وَالْحُسْنِ ، وَلَا تَحْسُنُ فِي مَكَانٍ غَيْرِهَا ،
وَبِتَّمْيِيزِ هَذِهِ الْمَعَانِي ، وَمُنَاسَبَةِ طِبَاطِيعِ جِهَابِذَتِهَا^(٢)

(١) أَوْعَرَ : أَصْعَبَ (٢) الْجِهَابِذَةُ : جَمْعُ جِهَابِذٍ . وَهُوَ
النَّقَادُ الْكَبِيرُ

وَمُشَاكَلَةَ أَرْوَاحِهِمْ ، جَعَلُوا الْكِتَابَةَ نَسْبًا وَقَرَابَةً ،
وَأَوْجَبُوا عَلَى أَهْلِهَا حِفْظَهَا .

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ : الْكِتَابَةُ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ ،
تَجَزَّأَتْ فِي أَبْدَانٍ مُفْتَرَقَةٍ ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ فَضْلَهَا
وَجَهْلَ أَهْلِهَا ، وَتَعَدَّى بِهِمْ رُبَّتَهُمْ ، الَّتِي وَضَعَهُمُ
اللَّهُ بِهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي شَيْءٍ .

قَالَتِ الْبَرَامِكَةُ : رَسَائِلُ الْمَرْءِ فِي كُتُبِهِ ، دَلِيلٌ^(١)
عَلَى عَقْلِهِ ، وَشَاهِدٌ عَلَى غَيْبِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
وَتُنْكِرُ وَدَّ الْمَرْءِ فِي لَحْظِ عَيْنِهِ
وَتَعْرِفُ عَقْلَ الْمَرْءِ حِينَ تُكَاتِبُهُ

آخِرُ :

وَشِعْرُ الْفَتَى يُبْدِي ^(١) غَرِيزَةَ طَبْعِهِ

وَبِالْكُتُبِ يَبْدُو عَقْلُهُ وَبَلَاغَتُهُ

قَالَ الشَّعْبِيُّ : يُعْرِفُ عَقْلُ الرَّجُلِ إِذَا كَتَبَ
أَوْ أَجَابَ .

قَالَ الْمُعْتَمِدِيُّ : عُقُولُ النَّاسِ مُدَوَّنَةٌ فِي كُتُبِهِمْ .

قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَلَامُ الرَّجُلِ وَافِدٌ عَقْلِهِ .

*
* *

وَشَبَّهَتْ الْحُكَمَاءُ الْمَعَانِيَ بِالْعَوَانِي ^(٢) ، وَالْأَلْفَافَ

المعاني
والألفاظ

بِالْمَعَارِضِ ^(٣) ، فَإِذَا كَسَا الْكَاتِبُ الْبَلِغُ الْمَعْنَى

(١) يُبْدِي : يُظْهِرُ (٢) العوانى : جمع غانية . وهى المرأة

الحسنة (٣) المعارض : جمع معرض . وهو الثوب الذى تجلى فيه
الجارية ليلة العرس .

الْجَزَلَ لَفْظًا رَائِقًا^(١) ، وَأَعَارَهُ مَخْرَجًا سَهْلًا ، كَانَ
 لِلْقَلْبِ أَحْلَى ، وَلِلصَّدْرِ أَمْلًا ، وَلَكِنَّهُ بَقِيَ عَلَيْهِ
 أَنْ يَنْظِمَهُ فِي سِلْكِهِ مَعَ شَقَائِقِهِ ، كَاللَّوْلُوِ الْمَنْشُورِ^(٢)
 الَّذِي يَتَوَلَّى نَظْمَهُ الْحَازِقُ^(٣) ، وَالْجَوْهَرِيُّ الْعَالِمُ ،
 يُظْهِرُ بِإِحْكَامِ الصَّنْعَةِ لَهُ حُسْنًا هُوَ فِيهِ ، وَيَمْنَحُهُ
 بِهِجَةً هِيَ لَهُ ، كَمَا أَنَّ الْجَاهِلَ إِذَا وَضَعَ يَيْنَ
 الْجَوْهَرَتَيْنِ خَرَزَةً ، هَجَنَ نَظْمَهُ وَأُطْفَأَ نُورُهُ . كَانَ
 حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ ، رُبَّمَا وَقَعَ عَلَى جَوْهَرَةٍ ، فَجَعَلَهَا
 يَيْنَ بَعْرَتَيْنِ^(٤) ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَوْ قَرَنْتَ بِدُرٍّ فَآخِرِ خَرَزَا
 مِنَ الزُّجَاجِ لَقُلْنَا بِئْسَ مَا نَظَمَا

(١) الرائق : الصافي (٢) المنشور : غير المنظوم

(٣) الحاذق : الماهر (٤) البعرة : رجيع ذوات الحف والظلف

وَالْيَأْقُوتُ حَسَنٌ ، وَهُوَ فِي جَيْدٍ ^(١) الْحُسْنَاءُ أَحْسَنُ ،
 وَكَذَلِكَ الشَّعْرُ الْجَيِّدُ مُوْتَقٌ ^(٢) ، وَلَكِنَّهُ مِنْ أَفْوَاهِ
 الْعُظَمَاءِ آتَقُ ، وَالتَّاجُ الشَّرِيفُ بَهِيُّ الْمَنْظَرِ ، وَهُوَ
 عَلَى الْمَلِكِ أَبْهَى ، كَمَا قَالَ ابْنُ قَيْسٍ الرُّقِيَّاتِ
 عَبِيدُ اللَّهِ :

يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ ^(٣)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ لِابْنِ مُنَازِرٍ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَقُولُ
 الشَّعْرُ فِي الدَّهْرِ ، وَالْقَصِيدَةُ فِي الشَّهْرِ ، فَقَالَ :
 نَعَمْ ، لَوْ رَضِيتُ لِنَفْسِي أَنْ أُؤَلِّفَ تَأْلِيفَكَ ، وَأَقُولَ :

يَا عُتْبُ يَا دُرَّةَ الْغَوَاصِ

لَقُلْتُ : فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، أَلْفَ قَصِيدَةٍ .

(١) الجيد : العنق والرقبة (٢) الموتق : الحسن المعجب

(٣) مفرقه : أى رأسه

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ لُجَا لِشَاعِرٍ : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ ؛
قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ :

لَأَنَّكَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَابْنَ عَمِّهِ ، وَأَنَا أَقُولُ
الْبَيْتَ وَأَخَاهُ .

فَإِنْ مُنِيتَ^(١) بِحُبِّ الْكِتَابَةِ وَصِنَاعَتِهَا ، وَالْبَلَاغَةِ ^{عرض}
وَتَأْلِيفِهَا ، وَجَاشَ^(٢) صَدْرُكَ بِشِعْرِ مَعْقُودٍ^(٣) ، أَوْ ^{الكتابة}
دَعَيْتَ نَفْسَكَ إِلَى تَأْلِيفِ الْكَلَامِ الْمُسْتَوْرِ ، وَتَهَيَّأَ ^{على}
لَكَ نَظْمٌ هُوَ عِنْدَكَ مُعْتَدِلٌ ، وَكَلَامٌ لَدَيْكَ مُتَّسِقٌ^(٤) ، ^{العلماء}
فَلَا تَدْعُونَكَ الثَّقَّةَ بِنَفْسِكَ ، وَالْعُجْبُ بِتَأْلِيفِكَ ،
أَنْ تَهْجُمَ بِهِ عَلَى أَهْلِ الصَّنَاعَةِ ، فَإِنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى

(١) وقعت — بليت (٢) جاش : أى اضطرب

(٣) أى غير ظاهر الدلالة . ولا واضح المعنى (٤) منسجم

تَأْلِيْفِكَ بِعَيْنِ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ ^(١) ، وَالْعَاشِقِ إِلَى عَشِيقِهِ ^(٢)
 كَمَا قَالَ حَبِيبٌ هُوَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي :
 وَيُسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنَ

هُوَ بِابْنِهِ وَبِشَعْرِهِ مَفْتُونٌ
 وَلَكِنْ أَعْرِضْهُ عَلَى الْبُلْغَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ ،
 مَمْزُوجًا ^(٣) بغيره ، فَإِنْ أَصْغَوْا ^(٤) إِلَيْهِ ، وَأَذِنُوا لَهُ ،
 وَشَخَّصُوا بِالْأَبْصَارِ وَاسْتَعَادَوْهُ ، وَصَلَبُوهُ مِنْكَ
 وَامْتَرَجَ ^(٥) ، فَاكْشِفْ مِنْ تِلْكَ الرُّسَالَةِ وَالْخُطْبَةِ
 وَالشُّعْرِ اسْمَهُ ، وَأَنْسِبْهُ إِلَى نَفْسِكَ ، وَإِنْ رَأَيْتَ
 عَنْهُ الْأَسْمَاعَ مُنْصَرِفَةً ، وَالْقُلُوبَ عَنْهُ لَا هِيَةَ ، فَاسْتَدِلَّ

(١) أى بالشفقة والرأفة (٢) أى بالحب والرضا والعطف . والمراد
 النفاذ عن العيوب (٣) ممزوجاً : مخلوطاً بغيره
 (٤) الاصغاء : الانصات (٥) اختلط بغيره من الجيد

بِهِ ، عَلَى تَخْلُفِكَ عَنِ الصَّنَاعَةِ ، وَتَقَاصُرِكَ عَنْهَا ،
 وَاسْتَرْبَ (١) رَأْيِكَ عِنْدَ رَأْيِ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ
 وَالْبَلَاغَةِ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ دَعَا إِنْسَانًا
 إِلَى مُوَأْنَسَتِهِ ، حَتَّى ارْتَفَعَتِ الْحِشْمَةُ (٢) بَيْنَهُمَا ،
 فَأَخْرَجَ لَهُ كِتَابًا قَدْ غَشَاهُ (٣) بِالْجُلُودِ ، وَجَمَعَ أَطْرَافَهُ
 بِالْأَبْرِيسَمِ (٤) ، وَسَوَّى وَرَقَهُ ، وَزَخَرَفَ كِتَابَتَهُ ،
 وَجَعَلَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ كَلَامًا قَدْ حَبَّرَهُ (٥) فِيهِ ، وَنَمَقَهُ
 عِنْدَ نَفْسِهِ ، وَجَعَلَ يَسْتَحْسِنُ مَا لَا يَحْسُنُ ، وَيَقِفُ
 عَلَى مَا لَا يَسْتَثْقِلُ قِرَاءَتَهُ ، حَتَّى أَتَى عَلَى الْكِتَابِ ؛
 فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مَا قَرَأْتُ عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ :

(١) استرب رأيك : شك فيه (٢) الحشمة : أى الكلفة

(٣) غشاه : أى غطاه (٤) الأبريسم : الحرير الخالص (٥) حبره :

كتبه بالمداد

أَرَى عَقْلَ صَانِعِ هَذَا الْكَلَامِ أَكْثَرَ مِنْ كَلَامِهِ ،
فَقَطِنَ لَهُ وَلَمْ يُعَاوِدْهُ ، إِلَى أَنْ وَقَفَ بِهِ عَلَى تَنُورِ
مَسْجُورٍ ^(١) ثُمَّ قَذَفَ بِالْكِتَابِ فِي النَّارِ . وَهَذَا رَجُلٌ
فِي عَقْلِهِ فَضْلَةٌ ^(٢) ، وَفِيهِ تَمَيُّزٌ .

وَإِنَّمَا الْبَلِيَّةُ ، فِيمَنْ إِذَا يَلَنَتْ لَهُ سُوءَ نَظْمِهِ
وَاخْتِيَارِهِ ، وَوَقَفَتْهُ عَلَى سَخَافَةٍ لَفْظِهِ ، هَجَرَكَ وَعَادَاكَ .



فَاجْعَلْ هَذَا الْأَصْلَ مِيزَانًا تَزِنُ بِهِ مَذْهَبَكَ ،
فِي رَسَائِلِكَ وَبَلَاغَتِكَ ، وَلَا تُخَاطِبَنَّ خَاصًّا بِكَلَامٍ
عَامٍّ ، وَلَا عَامًّا بِكَلَامٍ خَاصٍّ ، فَتَيَّ خَاطَبْتَ أَحَدًا
بِغَيْرِ مَا يُشَاكِلُهُ ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ الْكَلَامَ غَيْرَ مَجْرَاهُ

تعرف
أفكار
المخاطبين

(١) المسجور : الموقد (٢) فضلة : أى قوة وزيادة .

وَكَشَفْتَهُ ، وَقَصْدُكَ بِالْكَلَامِ الشَّرِيفِ ، لِلرَّجُلِ
الشَّرِيفِ ، تَنْبِيهُهُ لِقَدْرِ كَلَامِكَ ، وَرَفْعُ لِدَرَجَتِهِ ، قَالَ :
فَلَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيماً لِسِعْرِي

وَلَكِنِّي مَدَحْتُ بِكَ الْمَدِيحَا
فَلَا تُخْرِجَنَّ كَلِمَةً حَتَّى تَرِنَهَا بِمِيزَانِهَا ، فَتَعْرِفَ
تَمَامَهَا وَنِظَامَهَا ، وَمَوَارِدَهَا وَمَصَادِرَهَا ، وَتَجَنَّبَ
مَا قَدَرْتَ الْأَلْفَاظَ الْوَحْشِيَّةَ ، وَأُرْتَفِعَ عَنِ الْأَلْفَاظِ
السَّخِيفَةِ ، وَاقْتَضِبْ^(١) كَلَاماً بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ .

*
* *

قَالَ الْجَاهِظُ : مَا رَأَيْتُ قَوْماً أُمَثَلَ طَرِيقَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ ، فَإِنَّهُمْ التَّمَسُّوا مِنْ

(١) اقتضب : اقتطع واختصر

الْأَلْفَافِ ، مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعَّرًا^(١) وَخَشِيًّا ، وَلَا سَاقِطًا
 سُوقِيًّا^(٢) ، وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ ،
 مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى كَلَامٍ ، وَأَحْسَنُهُ مَا لَمْ يَكُنْ
 بِالْبَدْوِيِّ الْمُغْرِبِ^(٣) ، وَلَا الْقَرْوِيِّ الْمُخْدِجِ^(٤) ،
 الَّذِي صَحَّتْ مَبَانِيهِ ، وَحَسُنَتْ مَعَانِيهِ ، وَدَارَ عَلَى أَلْسِنِ
 الْقَائِلِينَ ، وَخَفَّ عَلَى آذَانِ السَّامِعِينَ ، وَيَزْدَادُ
 حُسْنًا عَلَى مَرِّ السِّنِّينَ ، بِتَجْلِيَةِ الرُّوَاةِ ، وَتَنْقِيَةِ السَّرَاةِ^(٥) .
 وَالكَاتِبُ الْمُسْتَحِقُّ اسْمَ الْكِتَابَةِ ، وَالْبَلِغُ
 الْمُحْكَمُ لَهُ بِالْبَلَاغَةِ ، مَنْ إِذَا حَاوَلَ صَنْعَةَ كِتَابٍ ،

(١) المتوعر : الثقل على السمع الذي يمجج الذوق (٢) سوقياً نسبة
 الى السوق وهم العامة والمراد ألا يكون الكلام شبيهاً بكلامهم .
 (٣) المغرب اسم فاعل من أغرب : وهو الكلام الغريب (٤) المخدج :
 الناقص (٥) سراة القوم : سادتهم ورؤساؤهم

سَالَتْ عَلَى قَلَمِهِ عُيُونُ الْكَلَامِ مِنْ يَنَابِيعِهَا ، وَظَهَرَتْ
مِنْ مَعَادِنِهَا ، وَبَدَرَتْ ^(١) مِنْ مَوَاطِنِهَا ، عَنْ غَيْرِ
اسْتِكْرَاهٍ وَلَا اغْتِصَابٍ .

*
* *

حَدَّثَنَا صَدِيقُ الْعَتَابِيِّ ، قَالَ لَهُ : اَعْمَلْ لِي ^{تقدير} ^{المعاني}
رِسَالَةً ، فَاسْتَمَدَّهُ ^(٢) مُدَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَقَالَ لَهُ :
مَا أَرَى بَلَغْتَكَ إِلَّا شَارِدَةً ، فَقَالَ لَهُ الْعَتَابِيُّ :
لَمَّا تَنَاوَلْتُ الْقَلَمَ ، تَدَاعَتْ ^(٣) عَلَى الْمَعَانِي مِنْ كُلِّ
جِهَةٍ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتْرُكَ كُلَّ مَعْنَى يَرْجِعُ إِلَى
مَوْضِعِهِ ، ثُمَّ أَجْتَنَيْ ^(٤) لَكَ أَحْسَنَهَا .

(١) بدرت : أسرع (٢) استمده : طلب منه طول المدة

(٣) تداعت : تساقطت : والمراد تواترت (٤) أجتني : أقتطف

أَمَلَى يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخُو زَيْنَانَ عَلَى كَاتِبٍ لَهُ ،
وَأَعْجَلَ عَلَيْهِ الْإِمْلَالَ^(١) ، فَتَعَثَّرَ قَلَمُ الْكَاتِبِ عَنْ
تَقْيِيدِ إِمْلَالِهِ ، فَقَالَ مُتَحَرِّشًا^(٢) : اكْتُبْ يَا حِمَارُ !
فَقَالَ الْكَاتِبُ : - أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ - ! إِنَّهُ لَمَّا
هَظَلَتْ شَايِبُ^(٣) الْكَلَامِ ، وَتَدَاقَقَتْ سُيُولُهُ ،
عَلَى حَرْفِ الْقَلَمِ ، كُلِّ^(٤) الْقَلَمِ عَنْ إِذْرَاكِ مَا وَجَبَ
عَلَيْهِ تَقْيِيدُهُ ، فَلَيْتَ ذَكَرَ الْأَمِيرُ عُذْرِي ، فَكَانَ
جَوَابُهُ أَبْلَغَ مِنْ بَلَاغَةِ يَزِيدَ .



وَكُلَّمَا أَحْلَوَى الْكَلَامَ ، وَعَذَبَ وَرَقًا ،

الرفقة
والجزالة

(١) الاملال : ما يعلى (٢) المتحرش : المتخشن (٣) شاييب :

مطر الكلام (٤) كل : تعب

وَسَهَّلَتْ مَخَارِجُهُ ، كَانَ أَسْهَلَ وَلَوْجًا^(١) فِي الْأَسْمَاعِ
وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ ، وَأَخَفَّ عَلَى الْأَفْوَاهِ ،
وَلَا سِيَّيَا إِذَا كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ ، مُتَرَجِّمًا بِلَفْظِ
مُؤْنِقٍ شَرِيفٍ ، وَمُعَبَّرًا بِكَلَامٍ مُؤَلَّفٍ رَشِيقٍ^(٢) ،
لَمْ يَسِمَهُ التَّكَلُّفُ بِمِيسَمِهِ ، وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعَقُّدُ
بِاسْتِهْلَاكِهِ ، كَقَوْلِ ابْنِ أَبِي كَرِيمَةَ :

قَفَاؤُهُ وَجْهُهُ حُسْنٍ وَالَّذِي قَفَاؤُهُ وَجْهُهُ يُشْبِهُ الشَّمْسَا
فَهَجَّنَ الْمَعْنَى بِتَوَعُّرِ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ ، وَأَخَذَهُ
الْحُسْنُ بْنُ هَانِيٍّ فَسَهَّلَهُ وَقَالَ :

بَدَّ حُسْنُ الْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَاكَ

وَكِلَاهُمَا مِنْ حَسَّانٍ حَيْثُ يَقُولُ :

قَفَاؤُكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَأَمُّكَ خَيْرٌ مِنَ الْمُنْذِرِ

(١) الولوج : الدخول (٢) رشيق : حسن منسجم .

وَانْظُرْ إِلَى سَلَاسَةِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ حَيْثُ قَالَ :
شَرِسْتُ^(١) بَلْ لَنْتَ بَلْ قَابَلْتَ ذَاكَ بِذَا

فَأَنْتَ لَا شَكَّ فِيكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ^(٢)
وَكَتَبَ عَيْسَى بْنُ هَيْعَةَ كِتَابًا إِلَى أَخِيهِ
أَبِي الْحَسَنِ ، فَعَقَّدَ كَلَامَهُ ، وَجَازَ الْمِقْدَارَ فِي
التَّنْطِيعِ ، فَوَقَعَ لَهُ :

أَنْتَى يَكُونُ بَلِيغًا مَنِ اسْمُهُ كَانَ عِيًّا
وَتَالِثُ الْحَرْفِ مِنْهُ إِذَا كَتَبْتَ مُسِيًّا



وَدَخَلَ كَاتِبٌ عَلَى مَرِيضٍ فَوَجَدَهُ يَبْنُ ، فَخَرَجَ
مِنْ عِنْدِهِ ، فَوَجَدَ طَائِرًا يُقَالُ لَهُ الشَّفَانِينُ

تنقطع
الكتاب

(١) الشرس : السوء الخلق الشديد الخلاف (٢) الجبل : ما ارتفع
من الصخور : والمراد به الصعب .

« يَبَابِ الطَّاقِ » فَاشْتَرَاهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ
 كِتَابًا يَتَنَطَّعُ فِيهِ ، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُ الشَّفَانِينُ ،
 شِفَاءٌ مِنَ الْأَنِينِ ، فَأَجَابَهُ : لَوْ عَطَسْتَ ضَبًّا ، لَمْ
 تَكُنْ عِنْدِي إِلَّا نَبْطِيًّا^(١) ، فَأَقْصِرْ عَنِ بَعْضِكَ ،
 وَسَهِّلْ كَلَامَكَ ، وَتَمَثَّلْ بِقَوْلِ مُخَلِّدِ الْمُوصِلِيِّ ،
 يَهْجُو حَبِيبَ بْنِ أَوْسٍ الطَّائِي :

أَنْتَ عِنْدِي عَرَبِيٌّ لَيْسَ فِي ذَاكَ كَلَامٌ
 شَعْرُ سَاقِيكَ وَفَخْ ذِيكَ خُرَامِي وَمُتَمَامٌ
 أَنَا مَا ذَنْبِي إِنْ كَذَّ بَنِي فِيكَ الْأَنَامُ
 وَفَقًّا يَخْلِفُ مَا إِنْ أَعْرَقْتَ فِيهِ الْكَرَامُ
 وَسَأَلَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنْ أَكْتُبَ لَهُ قِصَّةً ،

(١) النبطي : غير العربي . من قوم ينزلون بالبطائح بين العراقيين .

إِلَى جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْقَاضِي ، وَقَالَ : أَكْتُبْ
لِي قِصَّةً سَهْلَةً ، بَلِيغَةً الْأَلْفَاظِ . فَقُلْتُ لَهُ : دَعْنِي
أَكْتُبْ لَكَ مَا يَصْلُحُ لِلْقُضَاةِ ، فغَضِبَ وَقَالَ : مَا
أَسْأَلُ أَنْ تُعْطِيَنِي شَيْئًا ، إِنَّمَا أَسْأَلُكَ هَذَا الْمَعْنَى
الرَّخِيسَ ، فَاحْتَمَلْتُ عَتْبَهُ لِذِمَامٍ ^(١) فَكَتَبْتُ لَهُ
قِصَّةً ، لَا تَصْلُحُ أَنْ تُدْفَعَ ، إِلَّا لِرُوَّةِ بْنِ الْعَجَّاجِ
يَقْرُؤُهَا ، أَوْ الطَّرِمَّاحِ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ يَدِ الْقَاضِي
أَرَادَ قِرَاءَتَهَا ، فَإِذَا هِيَ مُغْلَقَةٌ ^(٢) عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ :
أَنْتَ كَتَبْتَ هَذِهِ الْقِصَّةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِذَا
فَاقْرَأُهَا ، فَذَهَبَ لِيَقْرَأَهَا ، فَإِذَا هِيَ أَشْبَهُ بِالسُّودَانِيَّةِ
اسْتَعْجَامًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : — أَصْلَحَ اللَّهُ الْقَاضِي —

(١) لَذِمَام : لَعَهْد (٢) مُغْلَقَةٌ : صَعِبَ فَهْمُهَا .

إِنَّمَا أَقْرَأُهَا فِي يَدَيَّ ، فَقَالَ لَهُ : فَاطْلُبْ حَاجَتَكَ إِذَنْ
 فِي يَدَيْكَ ! فَرَجَعَ إِلَى غَضْبَانَ أَسِفًا يَشْتُمُ وَيُوذِي ،
 وَسَأَلَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَهُ قِصَّةَ عَلَى مَا أَرَى ، فَكَتَبْتُ
 لَهُ كِتَابًا ، يُشَبِّهُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مِثْلِهِ إِلَى الْقُضَاةِ ،
 فَقَرَأَهَا وَقَضَى حَاجَتَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ
 وَاحِدَةً مِنْهُمَا !

وَالكِتَابُ إِذَا لَمْ يَكُنْ شَبِيهَا بِحَاجَةِ صَاحِبِهِ
 كَانَ أَحَدَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ .

*
* *

وَالْمَعَانِي كُلُّهَا مُمَاثِلَةٌ ، وَالْكَلَامُ مُشَعَّبٌ ،
 وَلَكِنْ سِيَاسَتُهُ صَعْبَةٌ ، وَتَأْلِيفُهُ شَدِيدٌ ، إِلَّا عَلَى
 جَهَابِذَتِهِ وَفُرْسَانِهِ ، أَمْرَاءُ الْكَلَامِ ، يُصَرِّفُونَهُ

المعاني
والالفاظ

كَيْفَ شَاءُوا ، وَلَا يَسْتَحِقُّ أَسْمَ الْبَلَاغَةِ ، حَتَّى
يُسَابِقَ مَعْنَاهُ لَفْظُهُ ، وَلَفْظُهُ مَعْنَاهُ ، وَيَكُونُ اللَّفْظُ
أَسْبَقَ إِلَى الْأَسْمَاعِ ، مِنْ مَعْنَاهُ إِلَى الْقُلُوبِ .

الْجَاحِظُ : كَانَ لَفْظُهُ فِي وَزْنٍ إِشَارَتِهِ ، وَطَبَعُهُ
فِي مَعْنَاهُ ، فِي مُطَابَقَةِ مَعْنَاهُ .

ذَكَرَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ ، أَحْمَدَ ابْنَ يُوسُفَ
فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَدْرِي الْفَظُّ آتَى أَمْ مَعْنَاهُ ؟
وَمَعْنَاهُ أَجْزَلُ أَمْ لَفْظُهُ ؟ .

وَالْمَعَانِي وَإِنْ كَانَتْ كَامِنَةً فِي الصُّدُورِ ، فَإِنَّهَا
مُصَوَّرَةٌ فِيهَا ، وَمُتَّصِلَةٌ بِهَا ، وَهِيَ كَاللَّائِي الْمَنْظُومَةِ
فِي أَصْدَافِهَا ، وَالنَّارِ الْمَحْبُوءَةِ فِي أَحْجَارِهَا ، فَإِنْ
أَظْهَرْتَهُ مِنْ أَكْنَانِهِ وَأَصْدَافِهِ ، تَبَيَّنَ حُسْنُهُ ،

وَإِنْ قَدَحَتِ النَّارَ مِنْ مَكَامِنِهَا وَأَخْجَارِهَا انْتَفَعَتْ
بِهَا ، وَإِلَّا بَقِيَتْ مَحْجُوبَةً مَسْتُورَةً ، وَرُبَّمَا يُسْتَشَارُ
الْكَامِنُ مِنْهَا ، وَيُسْتَخْرَجُ الْمُسْتَسِرُّ^(١) مِنْ جَوَاهِرِهَا ،
بِقَدْرِ حِذْقِ الْمُسْتَنْبِطِ ، وَصَوَابِ حَرَكَاتِ الْمُسْتَخْرِجِ
وَقَصْدِ إِشَارَتِهِ ، وَلُطْفِ مَذَاهِبِهِ ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ
كُلُّ نَاطِقٍ وَلَا كَاتِبٍ ، يُوضِّحُ عَنِ الْمَعْنَى ، وَلَا
يُصِيبُ إِشَارَتَهُ ، وَكُلَّمَا كَانَ الْكَلَامُ أَفْصَحَ ،
وَالْبَيَانُ أَوْضَحَ ، كَانَ أَدَلَّ عَلَى حُسْنِ وَجْهِ الْمَعْنَى .
وَقَدْ شَبَّهُوا الْمَعْنَى الْخَفِيَّ بِالرُّوحِ الْخَفِيِّ ، وَاللَّفْظَ
الظَّاهِرَ بِالْجُثْمَانِ الظَّاهِرِ ، وَإِذَا لَمْ يَنْهَضْ بِالْمَعْنَى
الشَّرِيفِ ، لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزَلٌ ، لَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ
وَاضِحَةً ، وَلَا النِّظَامُ مُتَّسِقًا .

(١) المستسر : المستر .



وَالدَّالُّ عَلَى الْمَعْنَى أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ : لَفْظٌ ، وَإِشَارَةٌ ،
وَعَقْدٌ ، وَخَطٌّ ، وَذَكَرَ أَرِسْطَاطَالِسُ خَامِسًا ،
وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى النَّصَبَةِ ، وَهِيَ الْحَالَةُ الدَّالَّةُ ،
الَّتِي تَقُومُ مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ ، النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ
لَفْظٍ ، وَالْمُشِيرَةُ إِلَيْهِ بِغَيْرِ يَدٍ ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَفِي كُلِّ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ ،
وَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي جُمْلَةِ هَذِهِ الْمَعَانِي الْأَرْبَعَةِ ، وَخَارِجَةٌ
مِنْهَا بِالْحِلْيَةِ .

الدال
على
المعنى

وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الدَّلَائِلِ ، صُورَةٌ
مُخَالَفَةٌ لِصُورَةِ صَاحِبِهَا ، وَحِلْيَةٌ غَيْرُ مُشَاكَلَةٍ
لِحِلْيَةِ أُخْتِهَا ؛ غَيْرَ أَنَّهَا فِي الْجُمْلَةِ ، كَاشِفَةٌ عَنْ أَعْيَانِ

الْمَعَانِي ، وَأَوْضَحَ هَذِهِ الدَّلَائِلَ صِنْفَانِ : وَهُمَا اللِّسَانُ
وَالْقَلَمُ ، وَكِلَاهُمَا يُتَرَجَّحَانِ وَيُدَّلَّانِ عَلَى الْقَلْبِ ،
وَيَسْتَمْلِيَانِ مِنْهُ ، وَيُؤَدِّيَانِ عَنْهُ مَا لَا تُؤَدِّي هَذِهِ
الْأَصْنَافُ الْبَاقِيَةُ .

وَأَمَّا اللِّسَانُ ، فَهُوَ الْآلَةُ الَّتِي يَخْرُجُ الْإِنْسَانُ
بِهَا مِنْ حَدِّ الْإِسْتِبْهَامِ^(١) ، إِلَى حَدِّ الْإِنْسَانِيَّةِ ،
وَلِذَلِكَ قَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ : حَدُّ الْإِنْسَانِ ، الْحَيُّ
النَّاطِقُ (وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ) : إِنَّمَا يُبَيِّنُ^(٢)
عَنِ الْإِنْسَانِ ، اللِّسَانُ وَعَنِ الْمَوَدَّةِ ، الْعَيْنَانِ .
(وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ) : وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ

(١) الاستبهام : الاستغلاق وأرتج عليه فلم يقدر على الكلام

(٢) يبين : يظهر ويخبر

رَفَعَ دَرَجَةَ اللِّسَانِ ، فَأَنْطَقَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَوَارِحِ ^(١)
 بِتَوْحِيدِهِ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ عَبْرٍ عَنْ شَيْءٍ ، مِثْلَ
 مَنْ لَمْ يُعْبَرْ عَنْهُ .

وَقَالَ آخَرُ : الرَّجُلُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَقَالُوا :
 الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ ، قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ لِسَانُهُ
 وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرٌ

فَإِنْ تَرَهَا رَاقَتَكَ يَوْمًا فَرُبَّمَا
 أَمَرَ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ

(١) الجوارح : جمع جارحة . والمراد جميع الاعضاء .

وَقَالَ الْأَعْوَرُ التَّيْمِيُّ :

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

ويروى البيت لزهير

وَقَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا

جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

وَقَالَ الطَّائِيُّ :

وَمِمَّا كَانَتْ الْحِكْمَاءُ قَالَتْ

لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ

فضيلة
الخط
والكتابة

وَاللِّخَطُ صُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَحِلْيَةٌ مَوْصُوفَةٌ ،

وَفَضِيلَةٌ بَارِعَةٌ ، لَيْسَتْ لِهَذِهِ الْأَوْصَافِ ، لِأَنَّهُ يُنَوَّبُ

عَنْهَا فِي الْإِيضَاحِ عِنْدَ الْمَشْهَدِ ، وَيَفْضُلُهَا فِي الْمَغِيبِ ،
 « وَلَآنَ الْكُتُبَ تُقْرَأُ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُتَبَايِنَةِ ،
 وَالْبُلْدَانِ الْمُتَفَرِّقَةِ ، وَتُدْرَسُ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ ،
 وَبِكُلِّ لِسَانٍ ، وَاللِّسَانُ وَإِنْ كَانَ زَلِقًا فَصِيحًا ،
 لَا يَعْدُو سَامِعَهُ ، وَلَا يُجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ »

✱

وَكَفَى بِفَضِيلَةِ الْقَلَمِ وَأَخْلَطَّ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :
 « الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .
 وَأَقْسَمَ بِهِ كَمَا أَقْسَمَ بِغَيْرِهِ ، ثُمَّ أَقْسَمَ بِمَا يَكْتُبُهُ
 الْقَلَمُ إِفْصَاحًا عَنْ حَالِهِ ، وَإِعْظَامًا لِشَأْنِهِ ، وَتَنْبِيهًا
 لِدِكْرِهِ ، فَقَالَ : « نَ — وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » .
 وَمِنْ فَضِيلَةِ الْخَطِّ أَنَّهُ لِسَانُ الْيَدِ ، وَبَهْجَةُ الضَّمِيرِ ،
 وَدَلِيلُ الْإِرَادَةِ ، وَالنَّاطِقُ عَنِ الْخَوَاطِرِ ، وَسَفِيرُ

فضيلة
الخط
والقلم

الْعُقُولِ ، وَوَحْيُ الْفِكْرِ ، وَسِلَاحُ الْمَعْرِفَةِ ، وَمُحَادَثَةُ
 الْأَخِلَاءِ عَلَى التَّنَائِي ، وَأَنْسُ الْإِخْوَانِ عِنْدَ الْفُرْقَةِ ،
 وَمُسْتَوْدَعُ الْأَسْرَارِ ، وَدِيْوَانُ الْأُمُورِ ، وَتَرْجُمَانُ
 الْقُلُوبِ ، وَالْمُعَبِّرُ عَنِ النُّفُوسِ ، وَالْمُخْبِرُ عَنِ الْخَوَاطِرِ ،
 وَمُورِثُ الْآخِرِ مَكَارِمِ الْأَوَّلِ ، وَالنَّاقِلُ إِلَيْهِ مَآثِرَ
 الْمَاضِي ، وَالْمُخَلِّدُ لَهُ حِكْمَتَهُ وَعِلْمَهُ ، وَالْمُسَامِرُ لِلْعَيْنِ
 بِسِرِّ الْقَلْبِ ، وَالْمُخَاطَبُ عَنِ النَّاصِتِ ، وَالْمُجَادِلُ
 عَنِ السَّائِكِ ، وَالْمُفْصِحُ عَنِ الْأَبْكَمِ ، وَالْمُتَكَلِّمُ
 عَنِ الْأَخْرَسِ ، الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ آثَارُهُ بِفَضَائِلِهِ ،
 وَأَخْبَارُهُ بِمَنَاقِبِهِ .



وَقَدْ وَضَعَتِ الْبَلَاغَةُ مِنَ الْقَلَمِ عَلَى الْقَدْرِ ،
 فضيلة
 البلاغة

وَبَاذِخَ^(١) الْعِزَّ ، كَأَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ، فَرَقَتْ
شَمْلَهُ ، وَبَدَّدَتْ جَمْعَهُ ، وَتَقَضَّتْ^(٢) بَرْمَهُ ، وَأَفْسَدَتْ
صَلَاحَهُ ، وَضَعُضَتْ^(٣) بُنْيَانَهُ مَعَ ذِكَايِهِ وَتَقَطُّنِهِ ،
وَمَكَائِدِهِ وَدَهَائِهِ ، وَأَصَالَةَ رَأْيِهِ ، وَشِدَّةَ شَكِيمَتِهِ^(٤) ،
وَأَمْتِنَاعِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَنِفَارِهِ عَنْهُ ، كَيْفَ اسْتَفْرَزَهُ
ابْنُ الْمُقَفَّعِ ، وَصَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ، وَجَبَلُ بْنُ يَزِيدَ ،
وَاسْتَمَالُوهُ بِسِحْرِ أَلْفَاظِهِمْ ، وَبَلَاغَةِ أَقْلَامِهِمْ ، حَتَّى
نَزَلَ مِنْ بَاذِخِ عِزِّهِ وَجَاءَ مُبَادِرًا^(٥) ، حَتَّى وَقَعَ فِي
الشَّرَكِ^(٦) الْمَنْصُوبِ لَهُ ، فَتَفَرَّقَ جَمْعُهُ وَأَنْطَفَأَ نُورُهُ ،
وَصَارَ خَبْرًا سَائِرًا ، وَرَسْمًا دَائِرًا^(٧) ، وَرَفَعَ الْقَلَمُ ،

(١) الباذخ : العالى الشأن (٢) تقضت : فكت وحلت

(٣) ضعضت : هدمت (٤) الشكيمة : الأنفة والشم

(٥) مبادراً : مسارعاً (٦) الشراك : حبال الصيد

(٧) الدثر : البالى : والمراد أنه صار أثراً بعد عين

خَاشِعَ الظَّرْفِ ، صَغِيرَ الْخَطَرِ ، لَثِيمَ الْجَنْسِ ، دَرَجَ
 مِنْ عَشِّ الثُّجَّارِ ، وَنَشَأَ بَيْنَ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ ،
 كَيْفَ أَشَالَتْ ^(١) الْبَلَاغَةُ بِضَبْعِيهِ ، وَرَفَعَتْ مِنْ
 نَاطِرِيهِ ، حَتَّى شَافَتْ ^(٢) بِهِ عَنَانَ السَّمَاءِ ، وَرَفَعَتْ
 بِنَاءَهُ فَوْقَ الْبِنَاءِ ، حَتَّى طَلَبَهُ الرَّاكِبُ ، وَقَصَدَهُ
 الطَّالِبُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الرِّجَالُ ، وَلَحَظَتْهُ الْعُيُونُ
 بِالْوَقَارِ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الصَّنَائِعِ ، وَمُدَّتْ نَحْوَهُ
 الْأَصَابِعُ ، فَشُكِرَتْ مِنْهُ اللَّفْظَةُ ، وَرُجِيَتْ مِنْهُ
 اللَّحْظَةُ ، كَمَحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الزِّيَّاتِ ، وَفِيهِ
 يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ :

أَحْسَنُ مِنْ عِشْرِينَ يَنْتَا سُدِّي

جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي يَنْتِ .

(١) أَشَالَتْ : رَفَعَتْ (٢) شَافَتْ : قَارَبَتْ

مَا أَحْوَجَ الْمُلْكَ إِلَى مَطْرَةٍ^(١)

تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ^(٢) الزَّيْتِ

فَأَجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

رَقِيتَ فِي الْقَوْلِ إِلَى خُطَّةٍ

قَدَرَكَ فِيهَا قَدْ تَعَدَّيْتَ

قَيْرَتُمُ^(٣) الْمُلْكَ فَلَمْ تُنْقِهِ

حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ

وَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ يَمْدَحُهُ وَيَصِفُ قَلَمَهُ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ^(٤)

تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّي وَالْمَفَاصِلِ

(١) المطرة : المرة من المطر (٢) وضر الزيت : وسخه

(٣) قيرتم الملك : سودتموه حتى غسلناه بالزيت فلم تنقه

(٤) في المقد الفريد بسنانه

وَكَانَ مُحَمَّدٌ مِنَ أَلْطَفِ النَّاسِ ذَهْنًا ، وَأَرْقَاهُمْ
طَبْعًا ، وَأَصْدَقَهُمْ حِسًّا ، وَأَرْشَقَهُمْ قَلَمًا ، وَأَمْلَحَهُمْ
إِشَارَةً ، إِذَا قَالَ أَصَابَ ، وَإِذَا كَتَبَ أَبْلَغَ ، وَإِذَا
شَعَرَ أَحْسَنَ ، وَإِذَا اخْتَصَرَ أَغْنَى عَنِ الْإِطَالَةِ :
أَمْرُهُ الْوَاقِعُ أَنْ يَتَلَطَّفَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ،
وَيُعَلِّمَهُ أَنَّهُ صَرَفَهُ عَنْ أَمْرِ الْجَزَائِرِ وَالْعَوَاصِمِ ،
وَفَوَّضَ ذَلِكَ لِابْنِ عَمِّهِ ، اسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؛
فَكَتَبَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَى
أَنْ يَخْلَعَ مَا فِي يَمِينِكَ مِنْ أَمْرِ الْجَزَائِرِ
وَالْعَوَاصِمِ ، فَيَجْعَلُهُ فِي شِمَالِكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

سَهْلُ بْنُ بَرَكَةَ يَهْجُو أَبَا نُوحَ النَّصْرَانِيَّ
الْكَاتِبَ فَقَالَ :

بَابِي وَأُمِّي ضَاعَتِ الْأَحْلَامُ^(١) ؟
أَمْ ضَاعَتِ الْأَذْهَانُ وَالْأَفْهَامُ ؟

مَنْ صَدَّ عَنْ دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَلَهُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ قِيَامُ ؟
إِلَّا تَكُنْ أَسْيَافُهُمْ مَشْهُورَةً^(٢)

فِينَا فَتِلْكَ سُيُوفُهُمْ أَقْلَامُ ؟

✱
✱ ✱

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَيْسَانَ : اسْتِعْمَالُ الْقَلَمِ
أَجْدَرُ بِإِحْضَارِ الذَّهْنِ عِنْدَ تَصْحِيحِ الْكِتَابِ ، مِنْ
اسْتِعْمَالِ اللِّسَانِ عَلَى تَصْحِيحِ الْكَلَامِ .

البلاغة

(١) الأحلام : العقول (٢) مشهورة : مسلوطة

وَلَمْ يُخْتَلَفْ فِي شَرَفِ الْقَلَمِ ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ
 فِي كَيْفِيَّةِ الْبَلَاغَةِ وَمَاهِيَّتِهَا ، وَقَدْ مَدَحَهَا كُلُّ قَوْمٍ
 بِأَوْضَحِ عِبَارَتِهِمْ ، وَأَحْسَنِ بَيَانِهِمْ ، فَقَالَ صَاحِبُ
 الْيُونَانِيِّينَ : الْبَلَاغَةُ تَصَحِيحُ الْأَقْسَامِ ، وَاخْتِيَارُ
 الْكَلَامِ .

الرَّوْمِيُّ : الْبَلَاغَةُ وُضُوحُ الدَّلَالَةِ ، وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ ،
 وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ .

الْفَارِسِيُّ : هِيَ مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ .
 الْهِنْدِيُّ : هِيَ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاضِعِ
 الْفُرْصَةِ ، ثُمَّ أَنَّ يَدْعَ الْإِفْصَاحَ بِهَا ، إِلَى الْكِنَايَةِ
 عَنْهَا ، إِذَا كَانَ الْإِفْصَاحُ أَوْعَرَ طَرِيقًا ، وَرُبَّمَا كَانَ
 الْإِطْرَاقُ عَنْهَا ، أَبْلَغَ فِي الدَّرَكِ ، وَأَحَقَّ بِالظَّفَرِ .

غَيْرُهُ : جَمَاعُ الْبَلَاغَةِ ، التِّمَاسُ حُسْنُ الْمَوْقِعِ ،
وَالْمَعْرِفَةُ بِسَاعَاتِ الْقَوْلِ ، وَقِلَّةُ الْحَذَقِ بِمَا التَّبَسُّ
مِنَ الْمَعَانِي وَغَمْضُ ، وَبِمَا شَرَدَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّفْظِ
وَتَعَذَّرَ ، ثُمَّ قَالَ : وَزَيْنُ ذَلِكَ كُلُّهُ وَبَهَاؤُهُ ،
وَحَلَاوَتُهُ وَسَنَاؤُهُ ، أَنْ تَكُونَ الشَّمَائِلُ مُعْتَدِلَةً ،
وَالْأَلْفَاظُ مَوْزُونَةً ، وَاللَّهَجَةُ نَقِيَّةً ، فَإِنْ جَامَعَ ذَلِكَ
السَّنَّ وَالسَّمْتَ وَالْجَمَالَ وَطُولَ الصَّمْتِ ، فَقَدْ
تَمَّ كُلُّ التَّامِّ ، وَكَمُلَ كُلُّ الْكَمَالِ .

وَقِيلَ لِهِنْدِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً
مَكْتُوبَةً عَنْدهُمْ فِيهَا : أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ ، اجْتِمَاعُ آلَةِ
الْبَلَاغَةِ ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْبَلِيغُ ، رَابِطَ الْجُلُوسِ ،

سَاكِنَ الْجَوَارِحِ ، قَلِيلَ اللَّحْظِ ، مُتَخَيِّرَ اللَّفْظِ ،
 لَا يُكَلِّمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ ، وَلَا الْمُلُوكَ
 بِكَلَامِ السُّوْقَةِ ، وَيَكُونُ فِي قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ
 فِي كُلِّ طَبَقَةٍ ، وَلَا يُدَقِّقُ الْمَعَانِيَ كُلَّ التَّدْقِيقِ ،
 وَلَا يُنْقَحُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّنْقِيحِ ، وَيُصَفِّيهَا كُلَّ
 التَّصْفِيَةِ ، وَيَهْذِبُهَا غَايَةَ التَّهْذِيبِ ، وَلَا يَكُونُ
 كَذَلِكَ ، حَتَّى يُصَادِفَ فَيَلْسُوفًا ، حَكِيمًا عَلِيمًا ،
 وَمَنْ قَدْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ ، وَإِسْقَاطَ
 مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ .

أَنُوشِرَوَانُ لِبُزْرَجْمَهَرٍ : مَتَى يَكُونُ الْعَمِيُّ بَلِيغًا ؟
 فَقَالَ إِذَا وَصَفَ بَلِيغًا .

أَرِسْطَاطَالِيْسُ : الْبَلَاغَةُ حُسْنُ الْإِسْتِعَارَةِ .

بِشْرِ بْنِ جَعْفَرٍ : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى
الْبَعِيدِ ، وَالتَّبَاعُدُ عَنْ خَسِيسِ الْكَلَامِ ، وَالِدَّلَالَةُ
بِالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ .

خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : لَيْسَ الْبَلَاغَةُ بِخَفَةِ اللِّسَانِ ،
وَلَا بِكَثْرَةِ الْهَذْيَانِ ، وَلَكِنَّمَا إِصَابَةُ الْمَعْنَى ،
وَالْقَصْدُ لِلْحُجَّةِ .

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : الْبَلِيغُ مَنْ إِذَا وَجَدَ كَثِيرًا
مَلَأَهُ ، وَإِذَا وَجَدَ قَلِيلًا كَفَّاهُ .

ابْنُ عُثْبَةَ : الْبَلَاغَةُ دُنُوُّ الْمَأْخَذِ ، وَقَرَعُ الْحُجَّةِ ،
وَالِاسْتِعْنَاءُ بِالْقَلِيلِ عَنِ الْكَثِيرِ .

بَعْضُهُمْ : إِنِّي لَا أَكْرَهُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مِقْدَارُ
لِسَانِهِ ، فَاضِلًا عَنْ مِقْدَارِ عَقْلِهِ ، كَمَا أَكْرَهُ أَنْ

يَكُونُ مِقْدَارُ عَقْلِهِ ، فَاضِلًا عَنْ مِقْدَارِ لِسَانِهِ وَعِلْمِهِ .
يَكْفِي مِنْ حَظِّ الْبَلَاغَةِ ، أَلَّا يُؤْتَى ^(١) السَّامِعُ
مِنْ سُوءِ إِفْهَامِ النَّاطِقِ ، وَلَا يُؤْتَى النَّاطِقُ مِنْ سُوءِ
فَهْمِ السَّامِعِ .

قِيلَ لِعَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ :
مَا بَلَغَكَ الْجَنَّةَ ، وَعَدَلَ بِكَ عَنِ النَّارِ ، وَمَا بَصَّرَكَ
بِمَوَاقِعِ رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبِ غِيِّكَ ، فَقَالَ السَّائِلُ
« حَفْصُ بْنُ سَالِمٍ » : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ . فَقَالَ :
مَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْكُتَ ، لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْتَمِعَ ،
وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ الْإِسْتِمَاعَ ، لَمْ يُحْسِنْ الْقَوْلَ ؛
قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ . « قَالَ » : قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ بَكَاءُونَ ^(١) »
وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَنْ عَقْلِهِ .
فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ . قَالَ : كَانُوا
يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ ، وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ ،
مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ السُّكُوتِ ، وَمِنْ سَقَطَاتِ
الصَّمْتِ ، فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ . فَقَالَ :
فَكَأَنَّكَ إِنَّمَا تُرِيدُ تَخْيِيرَ اللَّفْظِ فِي حُسْنِ إِفْهَامِ
« قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « إِنَّكَ » إِنْ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ
حُجَّةِ اللَّهِ فِي عُقُولِ الْمُكَلَّفِينَ ، وَتَخْفِيفِ الْمُؤُونَةِ ^(٢)
عَنِ الْمُسْتَمْعِينَ ، وَتَرْيِينَ تِلْكَ الْمَعَانِي فِي قُلُوبِ
الْمُرِيدِينَ ، بِالْأَلْفَافِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فِي الْأَذَانِ ، الْمَقْبُولَةِ

(١) بكؤت العين : قل ماؤها : وألسنة بكاء : قل كلامها . وفيما
معاشر الأنبياء بكاء : أى قلة كلام (٢) تخفيف المؤونة : تحمل المؤونة

عِنْدَ الْأَذْهَانِ ، رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ ، وَتَفِي
الشَّوَاغِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، عَلَى
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ فَصْلَ الْخُطَابِ ،
وَاسْتَوْجَبْتَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ جَزِيلَ الثَّوَابِ .

الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : كُلُّ مَا أَدَّى إِلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ
فَهُوَ بِلَاغَةٌ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ لِمَعْنَاكَ
طَبَقًا ، وَلِتِلْكَ الْحَالِ وَفَقًا ، وَآخِرُ كَلَامِكَ لِأَوَّلِهِ
مُشَابِهًا ، وَمَوْرِدُهُ لِمَصْدَرِهِ مُوَازِنًا ، فَافْعَلْ . وَقِيلَ
لِلْخَلِيلِ ابْنِ أَحْمَدَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَا قَرُبَ
طَرَفَاهُ ، وَبَعْدَ مُنْتَهَاهُ ، وَاحْرِصْ أَنْ تَكُونَ
لِكَلَامِكَ مَتْنًا وَإِنْ ظَرُفَ ، وَلِنِظَامِكَ مُسْتَرِيًّا

وَإِنْ لَطُفَ ، بِمَوَاتَاةِ آلَتِكَ لَكَ ، وَتَصَرَّفِ إِرَادَتِكَ
مَعَكَ ، فَافْعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

✱
✱

وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ عِزْرَاءُ ، لِأَنَّهَا بِكُرِّ مَعَانٍ ،
لَمْ تَقْتَرِعْهَا بِلَاغَةِ النَّاطِقِينَ ، وَلَا لَمَسَتْهَا أَكْفُ
الْمُقَوِّهِينَ ، وَلَا غَاصَتْ عَلَيْهَا فِطْنُ الْمُتَكَلِّمِينَ ،
وَلَا سَبَقَ إِلَى أَلْفَظِهَا أَذْهَانُ النَّاطِقِينَ ؛ فَاجْعَلْهَا مِثَالًا
بَيْنَ عَيْنَيْكَ ، وَمُصَوَّرَةً بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَمُسَامِرَةً لَكَ
فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، تَهْطِلُ عَلَيْكَ شَايِبَ مَنَافِعِهَا ،
وَيُظِلُّكَ مِنْهَا بَرَكَاتُهَا ، وَتُورِدُكَ مَنَاهِلَ بِلَاغَتِهَا ،
وَتَدُلُّ عَلَى مَهْيَعٍ ^(١) رُشْدِهَا ، وَتُصَدِّرُكَ ^(٢) وَقَدْ نُقِعَ
ظَمُوكَ يِنْيَابِيعَ بَحْرِ إِحْسَانِهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

ختام
الرسالة

(١) المهيح : الطريق الواسع (٢) وتصدرك : تصرفك

*
* *

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

*
* *

وَالْآنَ وَقَدْ وَفَّقَنَا اللَّهُ إِلَى إِتْمَامِ الرِّسَالَةِ الْعُذْرَاءِ الْحَسَنَةِ
لِابْنِ الْمُذْبِرِ ، وَوَقَفْتَ مِنْهَا عَلَى وَجْهَاتٍ نَظَرَ
شُيُوخَ الْأَدَبِ ، وَاسْتَفَدْتَ مِنْهَا الْكَثِيرَ ، مِمَّا
يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ عُدَّةٌ فِيهَا أَنْتَ رَاغِبٌ فِيهِ
حَقًّا ، مِنْ عَدَمِ جُرْمَانِكَ - وَأَنْتَ مَاضٍ فِي
تَقَافَتِكَ الْحَدِيثَةِ - مِنْ قِسْطٍ وَافٍ مِنَ الْأَدَبِ
الْعَرَبِيِّ الصَّحِيحِ مَعْنَى وَمَبْنَى ، لَفْظًا وَرُوحًا ،
سِيَاقًا وَأُسْلُوبًا ، سَلَاسَةً وَفَرَاهَةً - الْآنَ وَقَدْ

وَقَفْتَ عَلَى ذَلِكَ وَأَشْبَاهِهِ فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي لِمَ إِذَا تَصِرُ
عَلَى الشَّكْلِ وَالضَّبْطِ وَالتَّرْقِيمِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، وَقَدْ
نَهَانَا عَنْ مِثْلِهِ ابْنُ الْمُذَبِّرِ ، وَإِنِّي مَعَ فَارِطٍ إِعْجَابِي
بِيقْظَتِكَ وَتَوْقُودِكَ ، أَبْصَرْتُكَ بِأَمْرِ لَا إِخَالُكَ ذَاكَرُهُ
وَمُقَدَّرُهُ : ذَلِكَ أَنَّ الْعَصْرَ غَيْرُ الْعَصْرِ ، وَالزَّمَانَ
غَيْرُ الزَّمَانِ ، وَاللُّغَةَ غَيْرُ اللُّغَةِ ، وَحَاشَى أَنْ أَقُولَ
لَكَ بِالْغَا إِنَّ لُغَةً كُلُّ رُقْعَةٍ عَرَبِيَّةٍ فِي التَّقْسِيمِ
الْجُغْرَافِيِّ ، لَيْسَتْ بِخَالِصَةِ اللِّسَانِ فِي الْأُسْلُوبِ
الْعَرَبِيِّ ، وَهُنَاكَ أَمْرٌ حَرِيٌّ بِلَفْتِكَ : ذَلِكَ أَنَّ
اللُّغَاتِ الْعَرَبِيَّةَ لَهَا حُرُوفٌ مُخْتَلِفِ الْحَرَكَاتِ
وَالسَّكَنَاتِ وَالْمُخَفَّفَاتِ مِنْهَا وَالثَّقِيلَاتِ ، وَذَوَاتِ
الْأَصْوَاتِ الْكَامِلَاتِ ، وَالْمُخْطُوفَاتِ وَنَحْنُ

سِيَّامًا فِي عَصْرِنَا وَجِيلِنَا وَزَمَانِنَا بِحَاجَةٍ إِلَى الْمُعْجَمِ
مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَإِلَى الشَّكْلِ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَإِلَى
التَّرْقِيمِ مِنْ نَاحِيَةٍ ثَالِثَةٍ . . . « وَلِشُكْلِ وَجْهَةٍ
هُوَ مُوَلِّيًا » .



وَلْنَنْتَقِلْ بِكَ الْآنَ إِلَى مَقْرُوءَاتِنَا فِي ابْنِ قُتَيْبَةَ
وَإِنَّا بِحَمْدِ اللَّهِ قَدْ اخْتَرْنَا لَكَ مَا يَتَّصِلُ وَالسِّيَاقَ
وَالْغَايَةَ مِنْ تَفْهَمِ الْأَدَبِ وَالْبَيَانِ وَبَلِيغِ الْأَقْوَالِ
وَالْأَشْعَارِ وَالْعُهُودِ « الْأَمَانِ » وَمَا إِلَى ذَلِكَ ؛
مُبْتَهَلِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حُسْنِ إِفَادَتِكَ : إِنَّهُ
بِمَجْمَعٍ مُجِيبٍ .

البيان^(١) حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ عَنْ قَيْسٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عِمَارَةَ بْنِ مُهْمِرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » فَأَطِيعُوا الصَّلَاةَ . وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَ .

وَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فِيمَ الْجَمَالُ ؟ قَالَ : « فِي اللِّسَانِ » .

وَكَانَ يُقَالُ : عَقْلُ الرَّجُلِ مَدْفُونٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ : أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ عَقْلُ الرَّجُلِ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ . يُرِيدُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ عَقْلُهُ إِلَّا فِي الْكَلَامِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

(١) راجع صفحة ١٦٨ من كتاب عيون الأخبار ج ٢

كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ تَرَاهُ

لَهُ وَجْهُ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانُ

وَمَا حُسْنُ الرَّجَالِ لَهُمْ بِزَيْنِ

إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْحُسْنَ الْبَيَانَ

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِرَجُلٍ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ ،

فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرِي الْعَيْنَ جَمَالًا ، وَالْأُذُنَ بَيَانًا . وَقَالَ

النَّمِرُ بْنُ تَوَلَبٍ :

أَعِذْنِي رَبِّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ

وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالِجُهَا عِلَاجًا

وَمِنْ حَاجَاتِ نَفْسِي فَأَعْصِمَنِي

فَإِنَّ لِمُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجَا

وَصَفَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ فَيَحْسِنُ ، فَقَالَ :
يَضَعُ الْهِنَاءَ ^(١) مَوَاضِعَ النُّقَبِ ^(٢) .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ : فَلَانٌ يُجِيدُ الْحَزَّ ، وَيُصِيبُ
الْمِفْصَلَ ، وَرُبَّمَا قَالُوا : يُقِلُّ ^(٣) الْحَزَّ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ
فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ

لِعِيٍّ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ ^(٤)

يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى

وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ

(١) الهيناء : الفطران (٢) النقب جمع نقبة . وهي أول ما يبدو

من الجرب . (٣) من الامثال التي تضرب في البلاغة قولهم : فلان يقل

الكلام ويصيب المعاني (٤) الهجر : الفحش من القول .

وَقَالَ حَسَّانُ فِيهِ :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلِ

بِمُلْتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلًا

شَفَى وَكَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ

لِذِي إِزْبَةِ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلًا

سَمَوْتَ إِلَى الْعُلْيَا بَغَيْرِ مَشَقَّةٍ

فَنِلْتَ ذُرَاهَا^(١) لَا دَنِيًّا وَلَا وَغْلًا^(٢)

وَيُقَالُ : الصَّمْتُ مَنَامٌ وَالْكَلَامُ يَقْطَعُ . وَيُقَالُ :

خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يَحْتَاجْ بَعْدَهُ إِلَى الْكَلَامِ .

ذَكَرَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحَسَنِ الطَّالِبِيُّ رَجُلًا فَقَالَ :

أَفَاطَهُ قَوَالِبُ مَعَانِيهِ .

(١) الذروة : السنام ومن كل شيء أعلاه (٢) الوغل : النذل الضعيف

وَمَدَحَ أَعْرَابِيٍّ رَجُلًا فَقَالَ : كَلَامُهُ الْوَبِيلُ^(١) عَلَى
الْمَحَلِّ^(٢) ، وَالْعَذْبُ الْبَارِدُ عَلَى الظَّمَاءِ .
وَقَالَ الْخَطِيبَةُ :

وَأَخَذْتُ أَفْطَارَ^(٣) الْكَلَامِ فَلَمْ أَدْعِ
ذِمًّا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ
وَكَانَ الْخَطِيبَةُ يَقُولُ : إِنَّمَا شِعْرِي حَسْبُ مَوْضُوعٍ ،
فَسَمِعَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ : كَذَبَ ، تَرَّحَهُ^(٤)
اللَّهُ ، إِنَّمَا ذَلِكَ التَّقْوَى .

قِيلَ لِعَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ :
مَا بَلَغَكَ الْجَنَّةَ ، وَعَدَلَ بِكَ عَنِ النَّارِ . قَالَ

(١) الويل : المطر الشديد (٢) المحل : الجذب (٣) أفتار
الكلام : نواحيه (٤) ترحه الله : أحزنه ونقصه

السَّائِلُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ؛ قَالَ : فَمَا بَصَرَكَ مَوَاقِعَ
 رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبَ غَيِّكَ ^(١) ؛ قَالَ السَّائِلُ : لَيْسَ
 هَذَا أُرِيدُ ؛ قَالَ : مَنْ لَمْ يُحْسِنْ الإِسْتِمَاعَ لَمْ يُحْسِنْ
 الْقَوْلَ ؛ قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ بِكَا ^(٢) »
 وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى
 عَقْلِهِ ؛ قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ؛ قَالَ : كَانُوا يَخَافُونَ
 مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ ، وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ مَا لَا يَخَافُونَ
 مِنْ فِتْنَةِ السُّكُوتِ . وَمِنْ سَقَطَاتِ الصَّمْتِ ؛
 قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ؛ قَالَ : فَكَأَنَّكَ إِنَّمَا تُرِيدُ
 تَخْيِيرَ اللَّفْظِ ، فِي حُسْنِ إِفْهَامٍ . قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ :

(١) النفي : الضلال (٢) بكاء : جمع بكى : وهو قليل الكلام

إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ فِي عُقُولِ الْمُكَلَّفِينَ
وَتَخْفِيفِ الْمُؤَوَّنَةِ^(١) عَلَى الْمُسْتَمِعِينَ ، وَتَرْيِينَ تِلْكَ
الْمَعَانِي فِي قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ ، بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ
فِي الْأَذَانِ ، الْمَقْبُولَةِ عِنْدَ الْأَذْهَانِ ، رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ
اسْتِجَابَتِهِمْ ، وَتَفْنِي الشَّوَاغِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، بِالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ
فَصَلَ الْخُطَابِ ، وَاسْتَوْجَبْتَ عَلَى اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ .
قَالَ بَعْضُهُمْ : مَا رَأَيْتُ زِيَادًا كَاسِرًا إِحْدَى عَيْنَيْهِ ،
وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، يُخَاطَبُ رَجُلًا
إِلَّا رَحِمْتُ الْمُخَاطَبَ . وَقَالَ آخَرُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا
يَتَكَلَّمُ فَيُحْسِنُ ، إِلَّا أُحْيِيَتْ أَنْ يَصْمُتَ خَوْفًا

(١) المؤونة : العدة للأمر والقوت

مِنْ أَنْ يُسَيَّ إِلَّا زِيَادًا ، فَإِنَّهُ كَلَّمَ زَادَ ، زَادَ حُسْنًا ،
وَقَالَ :

وَقَبْلَكَ مَا أُعِينْتُ كَأَسْرَ عَيْنِهِ

زِيَادًا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى حَبَائِلِهِ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
إِذَا رَأَى رَجُلًا يُجَلِّجُ^(١) فِي كَلَامِهِ قَالَ : خَالِقُ هَذَا
وَخَالِقُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَاحِدٌ !

وَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الْأَشْدَقِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :
لَقَدْ رَجَوْتُ عَثْرَتَهُ^(٢) لَمَّا تَكَلَّمَ ، فَأَحْسَنَ حَتَّى
خَشِيتُ عَثْرَتَهُ إِنْ سَكَتَ .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : قَالَ مُعَاوِيَةُ لِصُحَّارِ الْعَبْدِيِّ :

(١) يلجلج في الأمر : يتردد فيه (٢) عثرته : زلته

مَا هَذِهِ الْبَلَاغَةُ الَّتِي فِيكُمْ ؟ فَقَالَ : شَيْءٌ تَجِيشُ
 بِهِ صُدُورُنَا ، ثُمَّ تَقْذِفُهُ عَلَى أَلْسِنَتِنَا ؛ فَقَالَ رَجُلٌ
 مِنَ الْقَوْمِ : هَؤُلَاءِ بِالْبُسْرِ ^(١) أَبْصَرُ ؛ فَقَالَ صُحَّارٌ :
 أَجَلٌ ، وَاللَّهِ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ الرِّيحَ تُلْقِيهِ ، وَأَنَّ الْبَرْدَ
 يُقْعِدُهُ ، وَأَنَّ الْقَمَرَ يَصْبُغُهُ ، وَأَنَّ الْحَرَّ يَنْضِجُهُ ؛
 فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : مَا تَعْدُونَ الْبَلَاغَةَ فِيكُمْ ؟ فَقَالَ :
 الْإِيحَازُ ؛ قَالَ : وَمَا الْإِيحَازُ ؟ قَالَ : أَنْ تُجِيبَ
 فَلَا تُبْطِئَ ، وَتَقُولَ فَلَا تُخْطِئَ ، ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حُسْنُ الْإِيحَازِ إِلَّا تُبْطِئَ وَلَا تُخْطِئَ
 أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : وَفَدَ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ عَلَى
 مُعَاوِيَةَ الشَّامَ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : إِنَّ الْحَسَنَ

(١) البسر : البلع قبل إنضاجه

رَجُلٌ أَفْهٌ^(١) ، فَلَوْ حَمَلَتْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَتَكَلَّمَ ، فَسَمِعَ
النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ عَابُوهُ ؛ فَأَمَرَهُ ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ،
فَتَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ ؛ وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنْ قَالَ : أَيُّهَا
النَّاسُ ، لَوْ طَلَبْتُمْ ابْنًا لِنَيْسِكُمْ مَا يَبْنَ جَابِرُسَ^(٢)
إِلَى جَابَلِقَ ، لَمْ تَجِدُوهُ غَيْرِي وَغَيْرَ أَخِي ، « وَإِنْ أَدْرَى
لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ » . فَسَاءَ ذَلِكَ عَمْرًا
وَأَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ كَلَامَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ،
هَلْ تَنْعَتُ الرُّطْبَا ؟ فَقَالَ : أَجَلْ ، تُلْقِيهِ الشَّمَالُ ،
وَتُخْرِجُهُ الْجَنُوبُ ، وَيُنْضِجُهُ بَرْدُ اللَّيْلِ بِحَرِّ النَّهَارِ ؛
قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، هَلْ تَنْعَتُ الْخِرَاءَ^(٣) ؟ قَالَ :

(١) الالفه العبي في المنطق (٢) جابرُس: مدينة بأقصى المشرق : وجابلق :

مدينة بأقصى المغرب (٣) الخراءة : التخلي والعودة لفضاء الحاجة

نَعَمْ ، تُبْعِدُ الْمَشَى فِي الْأَرْضِ الصَّحَصَحَ ^(١) ، حَتَّى
تَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ ، وَلَا تَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ وَلَا
تَسْتَدْبِرَهَا ، وَلَا تَسْتَنْجِي بِالرَّوْثَةِ وَلَا الْعَظْمِ ،
وَلَا تَبُولَ فِي الْمَاءِ الرَّكِدِ ؛ وَأَخَذَ فِي كَلَامِهِ
وَكَانَ يُقَالُ : كُلُّ شَيْءٍ ثِنْتَهُ يَقْصُرُ مَا خَلَا
الْكَلَامَ ، فَإِنَّكَ كُلَّمَا ثِنْتَهُ طَالَ . قَالَ الْحَسَنُ :
الرَّجُلُ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ بِنَفْسِهِ ، وَرَجُلٌ بِلِسَانِهِ ،
وَرَجُلٌ بِمَالِهِ .

تَكَلَّمَ صَعْصَعَةُ بْنُ صَوْحَانَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ؛
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : بَهْرُكَ ^(٢) الْقَوْلُ ؟ فَقَالَ صَعْصَعَةُ :

(١) الصحصح : ما استوى من الأرض واسع

(٢) بهرك القول : غلبك

إِنَّ الْجِيَادَ نَضَّاحَةٌ لِمَاءٍ . وَيُقَالُ : أُبْلَغُ الْكَلَامَ
مَا سَابَقَ مَعْنَاهُ لَفْظُهُ .

وَفِي كِتَابِ لِلْهِنْدِيِّ : أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ ، اجْتِمَاعُ آلَةٍ
الْبَلَاغَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ يَكُونُ الْخَطِيبُ رَابِطَ الْجَأْشِ ^(١) ،
سَاكِنَ الْجَوَارِحِ ، قَلِيلَ اللَّحْظِ ، مُتَخَيِّرًا لِلْفِظِ ،
لَا يُكَلِّمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ ، وَلَا الْمُلُوكَ
بِكَلَامِ السُّوْقَةِ ، وَيَكُونُ فِي قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ
فِي كُلِّ طَبَقَةٍ ، وَلَا يُدَقِّقُ الْمَعَانِي كُلَّ التَّدْقِيقِ ،
وَلَا يُلَقِّحُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّلْقِيحِ ^(٢) ، وَلَا يُصَفِّهَا
كُلَّ التَّصْفِيَةِ (وَلَا يُهْذِبُهَا غَايَةَ التَّهْذِيبِ ، وَلَا يَفْعَلُ
ذَلِكَ حَتَّى يُصَادِفَ حَكِيمًا أَوْ فَيْلَسُوفًا عَلِيمًا) .

(١) الجأش : القلب . (٢) التلقيح : وضع طلع الذكور في الاناث

وَيَكُونُ قَدْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ ،
وِاسْتِقَاطَ مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَافِ ، قَدْ نَظَرَ فِي صِنَاعَةِ
الْمَنْطِقِ ، عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ وَالْمُبَالَغَةِ ، لَا عَلَى
جِهَةِ الْإِعْتِرَاضِ وَالتَّصْفِيحِ .

وَنَحْوُ هَذَا قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ
وَقِيلَ لَهُ : مَا الْبَيَانُ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَكُونَ الْإِسْمُ
يُحِيطُ بِمَعْنَاكَ ، وَيُحْكِي عَنْ مَعْنَاكَ ، وَيُخْرِجُهُ
مِنَ الشَّرِكَةِ ، وَلَا تَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِالْفِكْرَةِ ، وَالَّذِي
لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ ، أَنْ يَكُونَ سَلِيماً مِنَ التَّكْلُفِ ،
بَعِيداً مِنَ الصَّنْعَةِ ، بَرِيئاً مِنَ التَّعَقُّدِ ، غَنِيّاً
عَنِ التَّأْوِيلِ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْبَلِغُ مَنْ طَبَقَ الْمَفْصِلَ ،
 وَأَغْنَاكَ عَنِ الْمُفْسِّرِ . قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : كَتَبَ
 قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى الْحَجَّاجِ يَشْكُو قِلَّةَ مَرْزُئَتِهِ ^(١)
 مِنَ الطَّعَامِ ، وَقِلَّةَ غِشْيَانِهِ النِّسَاءِ ، وَحَصْرَهُ عَلَى
 الْمَنْبَرِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : اسْتَكَثِرْ مِنَ الْأَلْوَانِ
 لِتُصِيبَ مِنْ كُلِّ صَحْفَةٍ شَيْئًا ، وَاسْتَكَثِرْ مِنَ
 الطَّرُوقَةِ ^(٢) ، تَجِدْ بِذَلِكَ قُوَّةً عَلَى مَا تُرِيدُ ، وَأَنْزِلِ
 النَّاسَ مَنَزِلَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ وَخَاصَّتِكَ ،
 وَارْزُقْ بِبَصَرِكَ أَمَامَكَ ، تَبْلُغُ حَاجَتَكَ .

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنْ كَانَ فِي الْعِيِّ آفَاتٌ مُقَدَّرَةٌ

فَفِي الْبَلَاغَةِ آفَاتٌ تُسَاوِيهَا

(١) المَرْزُوءَةُ مِنَ الطَّعَامِ : الْإِصَابَةُ مِنْهُ (٢) الطَّرُوقَةُ : زَوْجَةُ الْفَعْلِ

تَكَلَّمَ رَجُلٌ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَهَذَرَ^(١) ، فَلَمَّا أَطَالَ
قَالَ : أَأَسْكُتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ :
وَهَلْ تَكَلَّمْتَ ؟ .

وَيُقَالُ أَغْيَا الْعِيَّ ، بِلَاغَةٍ بَعِيٍّ ، وَأَقْبَحُ اللَّحْنِ ،
لَحْنٌ بِإِعْرَابٍ . وَقَالَ أَغْرَابِيُّ : الْحُظُّ لِلْمَرْءِ فِي
أُذُنِهِ ، وَالْحُظُّ لِغَيْرِهِ فِي لِسَانِهِ . وَيُقَالُ : رُبَّ
كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْنِي .

وَيُقَالُ : الصَّمْتُ أَبْلَغُ مِنْ عِيٍّ بِلَاغَةٍ .
وَنَحْوُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَرَى الصَّمْتَ أَدْنَى لِبَعْضِ الصَّوَابِ
وَبَعْضَ التَّكَلُّمِ أَدْنَى لِعِيٍّ

(١) هذر في كلامه : خلط وتكلم بما لا ينبغي

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ بَرْمَكِيٍّ : إِذَا كَانَ الْإِيحَاظُ أَكْبَرَ ،
كَانَ الْإِيحَاظُ تَقْصِيرًا ، وَإِذَا كَانَ الْإِيحَاظُ كَافِيًا ،
كَانَ الْإِيحَاظُ عِيًّا .

قَالَ ابْنُ السَّمَّالِ : الْعَرَبُ تَقُولُ : الْعِيُّ النَّاطِقُ ،
أَعْيَا مِنَ الْعِيِّ الصَّامِتِ .

قَالَ أَنُوشِرَوَانُ لِابْنِ رُجْمَهَرٍ : مَتَى يَكُونُ الْعِيُّ
بَلِيغًا ؟ فَقَالَ : إِذَا وَصَفَ حَبِيبًا .

قَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ : لَيْسَ لِعِيٍّ مَرْوَةٌ ،
وَلَا لِنَقُوصِ الْبَيَافِ بَهَاءٌ ، وَلَوْ بَلَغَ يَأْفُوخُهُ^(١)
أَعْنَانُ^(٢) السَّمَاءِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ .

(١) اليافوخ : هو الموضع الذي يلتقي فيه عظم مقدم الرأس مع عظم
مؤخره (٢) أعنان السماء : نواحيها

عَجِبْتُ لِإِذْلالِ الْعِيِّ بِنَفْسِهِ

وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ أَعْلَمًا

وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعِيِّ وَإِنَّمَا

صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : مَوْطِنَانِ لَا أُسْتَحْيِي مِنْ

الْعِيِّ فِيهِمَا : إِذَا أَنَا خَاطَبْتُ جَاهِلًا ، وَإِذَا أَنَا سَأَلْتُ
حَاجَةً لِنَفْسِي .

ذَكَرَ أَعرابِي رَجُلًا يَمِيًّا فَقَالَ : رَأَيْتُ عَوْرَاتِ

النَّاسِ بَيْنَ أَرْجُلِهِمْ ، وَعَوْرَةَ فُلَانٍ بَيْنَ فَكِّهِ .

وَعَابَ آخَرُ رَجُلًا فَقَالَ : ذَاكَ مِنْ يَتَامَى الْمَجْلِسِ

أَبْلَغُ مَا يَكُونُ فِي نَفْسِهِ أَعْيَى مَا يَكُونُ عِنْدَ جُلْسَانِهِ .

قَالَ رَيْعَةُ الرَّأْيِ : السَّائِكُ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْأَخْرَسِ .

تَذَاكَرَ قَوْمٌ فَضَلَ الْكَلَامَ عَلَى الصَّمْتِ ، وَفَضَلَ
الصَّمْتِ عَلَى الْكَلَامِ ، فَقَالَ أَبُو مُسْهِرٍ : كَلًّا !
إِنَّ النَّجْمَ لَيْسَ كَالْقَمَرِ ، إِنَّكَ تَصِفُ الصَّمْتَ
بِالْكَلَامِ ، وَلَا تَصِفُ الْكَلَامَ بِالصَّمْتِ .

وَذَمَّ قَوْمٌ فِي مَجْلِسِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَلَامَ
فَقَالَ سُلَيْمَانُ : اللَّهُمَّ غَفِرًا ، إِنَّ مَنْ تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ ،
قَدَرَ أَنْ يَصْمْتَ فَيُحْسِنَ ، وَلَيْسَ مَنْ صَمْتَ فَأَحْسَنَ ،
قَادِرًا عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ فَيُحْسِنَ .

قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : طُولُ الصَّمْتِ جُبْسَةٌ ^(١)
وَنَحْوُهُ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : تَرَكُ الْحَرَكَةَ عُقْلَةً .
وَكَانَ نَوْفَلُ بْنُ مُسَاحِقٍ ، إِذَا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ

(١) الحبسة : تعذر الكلام عند إرادته

صَمَتَ ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا تَكَلَّمَ ؛ فَقَالَتْ لَهُ :
أَمَّا عِنْدِي فَتُطْرَقُ ، وَأَمَّا عِنْدَ النَّاسِ فَتَنْطِقُ ، فَقَالَ :
أَدِقُّ^(١) عَنْ جَلِيلِكَ ، وَتَجَلِّينَ عَنْ دَقِيقِي .

وَفِي حِكْمَةِ لُقْمَانَ : — يَا بُنَيَّ — قَدْ نَدِمْتُ عَلَى
الْكَلَامِ ، وَلَمْ أُنْدَمْ عَلَى السُّكُوتِ .

قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ : النَّسْنَسُ خَلْقٌ بِالْيَمَنِ ، لِأَحَدِهِمْ
عَيْنٌ وَيَدٌ وَرِجْلٌ يَقْفِزُ بِهَا ، وَأَهْلُ الْيَمَنِ يَصْطَادُونَهُمْ ،
فَخَرَجَ قَوْمٌ فِي صَيْدِهِمْ ، فَرَأَوْا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ ،
فَأَذْرَكُوا وَاحِدًا فَعَقَرُوهُ وَذَبَحُوهُ ، وَتَوَارَى اثْنَانِ فِي
الشَّجَرِ . فَقَالَ الَّذِي ذَبَحَهُ : إِنَّهُ لَسَمِينٌ ، فَقَالَ
أَحَدُ الْإِثْنَيْنِ : إِنَّهُ أَكَلَ ضِرْوًا^(٢) فَأَخَذُوهُ فَذَبَحُوهُ

(١) أدق عن جليلك : أمتنع عن كلامك . وتجلين : تمتنعين عن كلامي

(٢) الضرو : حبة الخضراء

فَقَالَ الَّذِي ذَبَحَهُ : مَا أَنْفَعَ الصَّمْتَ ؟ قَالَ الثَّالِثُ :
فَهَإِنَّا الصَّمِيتُ ، فَأَخَذُوهُ وَذَبَحُوهُ .

كَانَ يُقَالُ : إِذَا فَاتَكَ الْأَدَبُ ، فَالْزِمِ الصَّمْتَ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا يَجْتَرِئُ عَلَى الْكَلَامِ إِلَّا فَائِقٌ^(١)
أَوْ مَائِقٌ^(٢) .

وَقَالَ الشَّاعِرُ يَمْدَحُ رَجُلًا :

صَمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ

وَفَتَّاقٌ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِ

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : أَنْصِفْ أُذُنَيْكَ مِنْ فَيْكِ ،

فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذُنَانِ (اِثْنَتَانِ) وَفَمٌ وَاحِدٌ ، لِتَسْمَعَ
أَكْثَرَ مِمَّا تَقُولُ .

(١) الفائق : الأديب العالم . (٢) المائق : الهالك حمقاً وغباوة

حَضَرَ قُشَيْرِيٌّ مُجْلِسًا مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ فَأَطَالَ
الصَّمْتَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : بِحَقِّ سُمَيْثٍ خُرْسَ
الْعَرَبِ ؛ فَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ : يَا أَخِي ، إِنَّ حَظَّ الرَّجُلِ
فِي أُذُنِهِ لِنَفْسِهِ ، وَحَظُّهُ فِي لِسَانِهِ لِغَيْرِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَكْثَرُ الصَّمْتِ مَا لَمْ
تَكُنْ مَسْئُولًا ، فَإِنَّ فَوْتَ الصَّوَابِ أَيْسَرُ مِنْ
خَطْلِ^(١) الْقَوْلِ ؛ وَإِذَا نَازَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى مَرَاتِبِ
الْقَائِلِينَ الْمُصِيبِينَ ، فَادْكُرْ مَا دُونَ الصَّوَابِ مِنْ
وَجَلِ الْخَطَا ، وَفَضَائِحِ الْمُقْصَرِينَ .

تَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِ الْهَيْثَمِ بْنِ صَالِحٍ بِخَطَا ،
فَقَالَ لَهُ الْهَيْثَمُ : يَا هَذَا ، بِكَلَامٍ مِثْلِكَ رُزِقَ

(١) الخطل من الكلام : ما ليس صوابا

أَهْلُ الصَّمْتِ الْمُحَبَّةَ ، وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

خَلَّ جَنْبَيْكَ لِزَامٍ وَأَمْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ
مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرُكَ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلْجَمَ فَاهُ بِلِجَامٍ
وَقَالَ آخَرُ :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
صَاحِبُ لَنَا عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ ، أَنَّهُ قَالَ :

« لَوْ كَانَتْ الصُّحُفُ مِنْ عِنْدِنَا لَأَقْلَلْنَا الْكَلَامَ »

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِذَا تَطَرَّفَ الْعَرَبِيُّ كَثُرَ

كَلَامُهُ ، وَإِذَا تَطَرَّفَ الْفَارِسِيُّ كَثُرَ سُكُوتُهُ .

قَالَ حَاتِمٌ طَيِّبٌ : إِذَا كَانَ الشَّيْءُ يَكْفِيكَهُ
التَّوَكُّلُ ، فَاتْرُكْهُ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ لِابْنِهِ : اسْتَعِنْ عَلَى
الْكَلَامِ بِطُولِ الْفِكْرِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَدْعُوكَ
فِيهَا نَفْسُكَ إِلَى الْقَوْلِ ، فَإِنَّ لِلْقَوْلِ سَاعَاتٍ يَضُرُّ
فِيهَا الْخَطَأُ ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوَابُ .

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ قَتَادَةَ :

تُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا

وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

تَكَلَّمَ ابْنُ السَّمَّاكِ يَوْمًا ، وَجَارِيَةٌ لَهُ تَسْمَعُ
كَلَامَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهَا قَالَ : كَيْفَ رَأَيْتِ كَلَامِي ؟
قَالَتْ : مَا أَحْسَنَهُ لَوْلَا أَنَّكَ تُكَبِّرُ تَرْدَادَهُ ؟

قَالَ : أَرَدَدَهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ ؛ قَالَتْ :
إِلَى أَنْ يَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ ، قَدْ مَلَّهٗ ^(١) مَنْ فَمِهَهُ !
قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ : مَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ فِي غَيْرِ
ذِكْرٍ فَقَدْ لَعَا ، وَمَنْ كَانَ نَظَرُهُ فِي غَيْرِ اعْتِبَارٍ
فَقَدْ سَهَا ، وَمَنْ كَانَ صَمْتُهُ فِي غَيْرِ ذِكْرٍ فَقَدْ لَهَا .
كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ زُفَرٍ ، لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا حَتَّى تَنْبَسِطَ
الشَّمْسُ ، فَإِذَا انْقَلَبَ عَنْ صَلَاتِهِ ، ضَرَبَ الْأَعْنَاقَ
وَقَطَعَ الْأَيْدِيَ وَالْأَرْجُلَ . وَكَانَ جَرِيرٌ لَا يَتَكَلَّمُ
حَتَّى تَبْزُغَ ^(٢) الشَّمْسُ ، فَإِذَا بَزَغَتْ ، قَذَفَ
الْمُحْصَنَاتِ . قَالَ قَتَادَةُ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ ،
لَا يُعَادُ الْحَدِيثُ مَرَّتَيْنِ . قَالَ : الزُّهْرِيُّ : إِعَادَةُ
الْحَدِيثِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الصَّخْرِ .

(١) ملَّه : سئمهُ
(٢) تبزغ : تطلع

وَفِي كُتُبِ الْعَجَمِ ، أَنَّ أَرْبَعَةً مِنَ الْمُلُوكِ
اجْتَمَعُوا ، فَقَالُوا كُلُّهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً ، كَانَتْهَا رَمِيَّةٌ
بِسَهْمٍ : مَلِكُ فَارِسَ ، وَمَلِكُ الْهِنْدِ ، وَمَلِكُ الرُّومِ ،
وَمَلِكُ الصِّينِ .

قَالَ أَحَدُهُمْ : إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتَنِي
وَلَمْ أَمْلِكْهَا ، وَقَالَ آخَرُ :

قَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا قُلْتُ ، وَلَمْ أُنْذَمْ عَلَى مَا لَمْ
أَقُلْ . وَقَالَ آخَرُ : أَنَا عَلَى رَدِّ مَا لَمْ أَقُلْ ، أَقْدَرُ
مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ آخَرُ : مَا حَاجَتِي إِلَى
أَنْ أَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ ، إِنْ وَقَعْتُ عَلَى ضَرَّتَنِي ، وَإِنْ
لَمْ تَقَعْ عَلَى لَمْ تَنْفَعْنِي .

• قَالَ زَيْدُ الْيَمِيِّ : أَسْكَتَنِي كَلِمَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ

عِشْرِينَ سَنَةً ؛ مَنْ كَانَ كَلَامُهُ لَا يُوَافِقُ فِعْلَهُ ،
فَإِنَّمَا يُؤَبِّحُ نَفْسَهُ .

« وَفِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةِ » : ثَلَاثَةٌ يُؤْمَرُونَ
بِالشُّكُوتِ ، الرَّاقِي فِي جَبَلٍ طَوِيلٍ ، وَآكِلُ السَّمَكِ ،
وَالْمُرَوِّى فِي الْأَمْرِ الْجَسِيمِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :
قَدْ أَفْلَحَ السَّالِمُ الصَّمُوتُ

كَلَامٌ وَاعٍ الْكَلَامِ قُوْتُ
مَا كُلُّ نُطْقٍ لَهُ جَوَابُ

جَوَابُ مَا يُكْرَهُ الشُّكُوتُ
يَا عَجَبًا لِأَمْرِي ظُلُومُ

مُسْتَيْقِرٌ أَنَّهُ يَمُوتُ

بَلَّغَنِي عَنِ ابْنِ أُسَامَةَ عَنِ ابْنِ عَوْنٍ عَنِ الْحُسَيْنِ

قَالَ: جَلَسُوا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَتَكَلَّمُوا، وَصَمَتَ الْأَخْنَفُ.
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا أَبَا بَجْرٍ، مَا بِأَنَّكَ لَا تَتَكَلَّمُ؟
قَالَ: أَخَافُكُمْ إِنْ صَدَقْتُمْ، وَأَخَافُ اللَّهَ إِنْ كَذَبْتُ.
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ، حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ قَالَ،
حَدَّثَنَا أَبُو الْحَكَمِ مَرْوَانُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ مُوسَى
عَنْ أَبِي دِرْهَمٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبَهٍ قَالَ: قَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ: «كَفَى بِكَ ظَالِمًا إِلَّا تَزَالَ مُخَاصِمًا،
وَكَفَى بِكَ آثِمًا إِلَّا تَزَالَ مُمَارِيًا، وَكَفَى بِكَ كَاذِبًا،
إِلَّا تَزَالَ مُحَدِّثًا بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.»
وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ

وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ

فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ

وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

سُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ عَنِ الْبَلَاغَةِ ، فَقَالَ : مَنْ

أَخَذَ مَعَانِيَ كَثِيرَةً ، فَأَدَّاهَا بِالْفَاطِ قَلِيلَةً ، أَوْ أَخَذَ
مَعَانِيَ قَلِيلَةً ، فَوَلَّدَ فِيهَا أَفْظَا كَثِيرَةً .

بَلَغَنِي عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ قَالَ : كَانَ

إِبْرَاهِيمُ يُطِيلُ الشُّكُوتَ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ انْبَسَطَ ،

فَقُلْتُ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ : لَوْ تَكَلَّمْتَ ؟ فَقَالَ : الْكَلَامُ

عَلَى أَرْبَعَةٍ وَجُوهٍ : فَمِنْهُ كَلَامٌ تَرْجُو مَنَفَعَتَهُ ،

وَتَخْشَى عَاقِبَتَهُ ، فَالْفَضْلُ مِنْهُ السَّلَامَةُ . وَمِنْهُ كَلَامٌ

لَا تَرْجُو مَنَفَعَتَهُ ، وَلَا تَخْشَى عَاقِبَتَهُ ، فَأَقْلُ مَا لَكَ

فِي تَرْكِهِ ، خِفَّةُ الْمُثُونَةِ عَلَى بَدَنِكَ وَلِسَانِكَ ، وَمِنْهُ

كَلَامٌ لَا تَرْجُو مَنَفَعَتَهُ ، وَتَحْشَى عَاقِبَتَهُ ، وَهَذَا هُوَ
الدَّاءُ الْعُضَالُ ؛ وَمِنَ الْكَلَامِ كَلَامٌ تَرْجُو مَنَفَعَتَهُ ،
وَتَأْمَنُ عَاقِبَتَهُ ، فَهَذَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ نَشْرُهُ ؛
قَالَ : فَإِذَا هُوَ قَدْ أُسْقِطَ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْكَلَامِ .

*
* *

يُقَالُ : رَبَّ طَرَفٍ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانٍ . قَالَ أَعْرَابِيٌّ :
الاستدلال
بالعين
والإشارة
والنصبة

إِنْ كَاتَمْتُمُنَا الْقَلْبَى نَمَتْ عُيُونُهُمْ

وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا قُلُوبُ أَظْهَرَتْ غَيْرَ مَا

تُضْمِرُهُ أَثْبَتَكَ عَنْهَا الْعُيُونُ

وَقَالَ آخَرُ :

أَمَا تُبْصِرُ فِي عَيْنِي عُنْوَانَ الَّذِي أَبْدَى

وَقَالَ ذُو الرُّمَّة :

نَعَمْ هَاجَتْ الْأَطْلَالُ شَوْقًا كَفَى بِهِ
مِنْ الشَّوْقِ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ
فَمَا زِلْتُ أَطْوِي النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّهَا

بَذَى الرُّمْتُ ^(١) لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ ذَاكَ
حَيَاءً وَإِشْفَاقًا مِنَ الرَّكْبِ أَنْ يَرَوْا

دَلِيلًا عَلَى مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّمَائِرِ
وَقَالَ الْحَارِثِيُّ يَذْكُرُ مِيتًا :

أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأُجِدْنَا ^(٢) قَرَى

مِنْ الْبَثِّ ^(٣) وَالْدَّاءِ الدَّخِيلِ الْمُحَامِرِ

وَأَوْسَعَنَا عِلْمًا بَرَدَ جَوَابِنَا

فَأَعْجَبَ بِهِ مِنْ نَاطِقٍ لَمْ يُحَاوِرِ

(١) اسم واد لبنى أسد الغم والحزن . وقيل أشده
(٢) أجدنا : أشبعنا (٣) البث :

وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ : سَلِ الْأَرْضَ فَقُلْ
لَهَا ، مَنْ شَقَّ أَنْهَارِكِ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكِ ، وَجَنَى
ثِمَارَكِ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكِ حِوَارًا ، أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا .
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِيسٌ وَأَشْبَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ غِنًى لِلْعَيْنِ أَنْ تَنْطِقَ أَفْوَاهُ



الشعر يُقَالُ : خَيْرُ الشَّعْرِ مَا رَوَّاكَ نَفْسَهُ . وَيُقَالُ :
خَيْرُ الشَّعْرِ الْخَوَلِيُّ ، الْمُنْقَحُ الْمُحَكَّكُ . سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ
رَجُلًا يُنْشِدُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟

قَالَ : سُكَّرُ لَا حَلَاوَةَ لَهُ . قِيلَ لِبَعْضِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ :
 أَرَأَيْتَ الشَّاعِرَيْنِ يَجْتَمِعَانِ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ ،
 فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ؟ . فَقَالَ : عُقُولُ رِجَالٍ تَوَافَتْ ^(١)
 عَلَى السِّنَّتِهَا .

قَالَ بَشَارٌ يَصِفُ نَفْسَهُ :
 زَوْرُ ^(٢) مُلُوكٍ عَلَيْهِ أُبْهَةٌ
 يُعْرِفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ خُطْبِهِ
 لِلَّهِ مَا رَاحَ فِي جَوَانِحِهِ
 مِنْ لَوْلُو لَا يَنَامُ عَنْ طَلَبِهِ
 يَخْرُجَنَّ مِنْ فِيهِ فِي النَّدَى كَمَا
 يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاجِ مِنْ لَهَبِهِ

(١) توافت : اجتمعت (٢) الزور : الزائر

تَرْنُو إِلَيْهِ الْخُدَّاتُ غَادِيَةً
 وَلَا تَمَلُّ الْحَدِيثَ مِنْ عَجَبِهِ
 تِلْعَابَةٌ^(١) تَعْكُفُ الْمُلُوكُ بِهِ
 تَأْخُذُ مِنْ جِدِّهِ وَمِنْ لَعِبِهِ
 يَزْدَحِمُ النَّاسُ كُلَّ شَارِقَةٍ
 بِيَابِهِ مُسْرِعِينَ فِي أَدْبِهِ
 وَقَالَ الطَّائِيُّ يَذْكُرُ الشَّعْرَ :
 إِنَّ الْقَوَافِي وَالْمَسَاعِي لَمْ تَزَلْ
 مِثْلَ النُّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيدًا
 هِيَ جَوْهَرٌ نَثْرٌ فَإِنْ أَلْفَتْهُ
 بِالشَّعْرِ صَارَ قَلَائِدًا وَعُقُودًا

(١) رجل تلعبه : كثير المزح والمداعبة

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ الْأَلَى
يَدْعُونَ هَذَا سُودْدًا مَجْدُودًا
وَتَنْدُّ عَنْدهُمْ الْعَلَى إِلَّا عُلَا
جُعِلَتْ لَهَا مِرْرٌ^(١) الْقَرِيضُ قِيُودًا
وَقَالَ أَيْضًا :

وَلَمْ أَرْ كَالْمَعْرُوفِ تُدْعَى حُقُوقُهُ
مَغَارِمَ فِي الْأَقْوَامِ وَهِيَ مَغَانِمُ
وَإِنَّ الْعُلَا مَا لَمْ تَرَ الشُّعْرَ يَنْبَهَا
لَكَ لَا أَرْضٍ غُفْلًا^(٢) لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسْرِي فَيَغْتَدِي
لَهُ غُرْرٌ فِي أَوْجِهِ وَمَوَاسِمُ

(١) مِرْر : جمع مرة : وهي طاقة الجبل والمراد القرية المحكم

(٢) الغُفْل من الأرض ما لا علامة فيه

يُرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ مُفَكَّهَةٌ

وَيُقْضَى بِمَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمٌ

وَلَوْ لَا خِلَالُ سَنَنِ الشَّعْرِ مَا دَرَى

بُغَاةَ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْجَلِّ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ : أَنَا أَشْعَرُ

مِنْكَ ؛ قَالَ : وَلِمَ ذَاكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَقُولُ الْبَيْتَ

وَأَخَاهُ ، وَلِأَنَّكَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَابْنَ عَمِّهِ . قِيلَ

لِعَقِيلِ بْنِ عُفَّةَ : أَلَا تُطِيلُ الْهَجَاءَ ؟ فَقَالَ : يَكْفِيكَ

مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الشَّعْرِ الْمُطْمَعُ .

قِيلَ لِكَثِيرٍ : يَا أَبَا صَخْرٍ ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا

عَسَرَ عَلَيْكَ قَوْلُ الشَّعْرِ ؟ قَالَ : أَطُوفُ بِالرُّبَاعِ

الْمُخْلِيةُ^(١) ، وَالرِّيَاضِ الْمُعْشِبَةِ ، فَيَسْهُلُ عَلَى
أَرْضِنَهُ^(٢) ، وَيُسْرِعُ إِلَى أَحْسَنِهِ .

وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يُسْتَدْعَ شَارِدُ الشَّعْرِ بِمِثْلِ الْمَاءِ
الْجَارِي ، وَالشَّرَفِ الْعَالِي ، وَالْمَسْكَنِ الْخَصْرِ الْخَالِي^(٣)
أَوْ الْخَالِي .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِأَرْطَاةَ بْنِ سُهَيْبَةَ :
هَلْ تَقُولُ الْآنَ شِعْرًا ؟ قَالَ : مَا أَشْرَبُ ، وَلَا
أَطْرَبُ ، وَلَا أَغْضَبُ ؛ وَإِنَّمَا يَكُونُ الشَّعْرُ بِوَاحِدَةٍ
مِنْ هَذِهِ .

وَقِيلَ لِكَثِيرٍ : مَا بَقِيَ مِنْ شِعْرِكَ ؟ فَقَالَ :
مَاتَتْ عَزَّةٌ فَمَا أَطْرَبُ ، وَذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا

(١) المخلية : الخالية من السكان (٢) الأرضن من الشعر الجيد

(٣) الخالي : هو الخالي من الضوضاء

أَعْجَبُ ، وَمَاتَ ابْنُ لَيْلَى فَمَا أَرْغَبُ - يَعْنِي
عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ - وَإِنَّمَا الشَّعْرُ بِهِذِهِ الْخِلَالِ .
وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ :
امْرُؤُ الْقَيْسِ إِذَا رَكِبَ ، وَالتَّابِغَةُ إِذَا رَهَبَ ، وَزُهَيْرٌ
إِذَا رَغِبَ ، وَالْأَعَشَى إِذَا طَرِبَ .

وَقِيلَ لِلْعَجَّاجِ : إِنَّكَ لَا تُحْسِنُ الْهِجَاءَ ، فَقَالَ :
إِنَّ لَنَا أَحْلَامًا تَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نَظْلِمَ ، وَأَحْسَابًا تَمْنَعُنَا
مِنْ أَنْ نُظْلَمَ ، وَهَلْ رَأَيْتَ بَانِيًّا لَا يُحْسِنُ أَنْ يَهْدِمَ !
وَقُلْتُ فِي وَصْفِ الشَّعْرِ : الشَّعْرُ مَعْدِنُ عِلْمِ
الْعَرَبِ ، وَسِفْرُ حِكْمَتِهَا ، وَدِيْوَانُ أَخْبَارِهَا ، وَمُسْتَوْدَعُ
أَيَّامِهَا ، وَالسُّورُ الْمَضْرُوبُ عَلَى مَآثِرِهَا ، وَالْخُنْدَقُ
الْمَحْجُوزُ عَلَى مَفَاخِرِهَا ، وَالشَّاهِدُ الْعَدْلُ يَوْمَ النِّفَارِ ،

وَالْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ عِنْدَ اخْتِصَامٍ ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ عِنْدَهُمْ
 عَلَى شَرَفِهِ ، وَمَا يَدَّعِيهِ لِسَلَفِهِ مِنَ الْمَنَاقِبِ الْكَرِيمَةِ
 وَالْفَعَالِ الْحَمِيدِ يَبْتَئُ مِنْهُ ، شَذَّتْ مَسَاعِيهِ وَإِنْ كَانَتْ
 مَشْهُورَةً ، وَدَرَسَتْ عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ وَإِنْ كَانَتْ
 جَسَامًا ؛ وَمَنْ قَيَّدَهَا بِقَوَافِي الشَّعْرِ ، وَأَوْثَقَهَا بِأَوْزَانِهِ ،
 وَأَشْهَرَهَا بِالْبَيْتِ النَّادِرِ ، وَالْمَثَلِ السَّائِرِ ، وَالْمَعْنَى
 اللَّطِيفِ ، أَخْلَدَهَا عَلَى الدَّهْرِ ، وَأَخْلَصَهَا مِنَ الْجَحْدِ
 وَرَفَعَ عَنْهَا كَيْدَ الْعَدُوِّ ، وَغَضَّ عَيْنَ الْحُسُودِ .

وَمَا جَاءَ فِي الشَّعْرِ كَثِيرٌ . وَقَدْ أَفْرَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ
 كِتَابًا ، وَلِلشَّعْرِ بَابًا طَوِيلًا فِي كِتَابِ الْعَرَبِ ،
 وَذَكَرْتُ هَذِهِ النُّشْطَةَ فِي هَذَا الْكِتَابِ كَرَاهِيَةً أَنْ
 أُخْلِيَهُ مِنْ فَنِّ مِنَ الْفُنُونِ .

*
* *

حَسَنُ
التَّشْبِيهِ
فِي
الشَّعْرِ
مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الزَّبِيرِ الْأَسَدِيِّ فِي الثُّرَيَّا :
وَقَدْ لَاحَ فِي الْغَوْرِ الثُّرَيَّا كَأَنَّهَا

بِهِ رَايَةٌ بَيَضَاءُ تَخْفِقُ لِلطَّعْنِ
شَبَّهَ الثُّرَيَّا حِينَ تَدَلَّتْ لِلْمَغِيبِ بِرَايَةٍ بَيَضَاءُ
خَفَقَتْ لِلطَّعْنِ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَنَتَرَةَ فِي الذُّبَابِ :
وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِنَازِحِ
هَزَجًا^(١) كِفْعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ
غَرْدًا^(٢) يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ
فِعْلَ الْمِكْبِ^(٣) عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ^(٤)
شَبَّهَ حَكَّهُ يَدَهُ بِيَدِهِ ، بِرَجُلٍ مَقْطُوعِ الْكَفَيْنِ
يَقْدَحُ النَّارَ بِمُودِنِ .

(١) هَزَجًا : مصبوتاً (٢) غَرْدًا : من غرد الطائر إذا رفع صوته في غنائه
وطرب (٣) المِكْب : المِقْبَل على الشيء (٤) الْأَجْذَم : المَقْطُوع اليدصفة للمِكْب

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِ أَعْرَابِيٍّ فِي الْعِنَبِ :
يَحْمِلُنَ أَوْعِيَةَ السَّلَافِ كَأَنَّمَا

يَحْمِلْنَهَا بِأَكَارِعِ النَّغْرَانِ
أَوْعِيَةُ السَّلَافِ : الْعِنَبُ ، جَعَلَهُ ظَرْفًا لِلْخَمْرِ
وَسَبَّهَ شُعْبَ الْعَنَاقِيدِ الَّتِي تَحْمِلُ الْحَبَّ بِأَرْجُلِ النَّغْرَانِ .
وَالنَّغْرُ طَائِرٌ مِثْلُ الْعُصْفُورِ أَحْمَرُ الْمِنْقَارِ
وَقَالَ الْآخَرُ ، وَكَانَ غَشِيَ عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ ، أَوْ تَزَلَّ
فِيهِمَا مَاءٌ :

يَقُولُونَ مَاءٌ طَيِّبٌ خَانَ عَيْنَهُ
وَمَا مَاءٌ سُوءٌ خَانَ عَيْنِي بِطَيِّبٍ
وَلَكِنَّهُ أَزْمَانٌ أَنْظَرُ طَيِّبٌ
بِعَيْنِي غُدَافِي^(١) عَلَا فَوْقَ مَرْقَبٍ

(١) الغدافي : الشديد السواد . نسبة إلى الغداف : وهو الغراب

كَأَنَّ ابْنَ حَجَلٍ مَدَّ فَضْلَ جَنَاحِهِ
 عَلَى مَاءٍ إِنْسَانِيهِمَا الْمُتَغَيَّبِ
 شَبَّهَ مَا عَلَا الْحُدُقَةَ ، بِجَنَاحِ فَرَّخٍ مِنْ فِرَاحِ
 الزَّنَائِيرِ ، قَدْ مُدَّ عَلَى نَاطِرِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ وَذَكَرَ الْعُقَابَ :
 كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا
 لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
 شَبَّهَ الرُّطْبَ بِالْعُنَابِ^(١) ، وَالْيَابِسَ بِالْحَشَفِ^(٢) .
 وَشَبَّهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فِي يَنْتِ .

(١) العناب : شجر معروف حبه كحب الزيتون (٢) الحشف :
 ما يبس من التمر ولم يكن له طعم ولا نوى

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ . وَذَكَرَ السَّيْفُ :
 كَانَ مَدَبَّ النَّمْلِ يَلْتَمِسُ الرُّبَا
 وَمَدْرَجَ ذَرٍّ خَافَ بَرْدًا فَاسْهَلَا
 شَبَهَ فِرْنَدَ^(١) السَّيْفِ بِمَدْرَجِ الذَّرِّ^(٢) وَمَدَبِ النَّمْلِ .
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي الْبَازِي :
 وَمَنْسِرٌ أَكْلَفُ فِيهِ شَغَا^(٣)
 كَأَنَّهُ عَقْدُ ثَمَانِينَ^(٤)
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَعْرَابِيٍّ فِي امْرَأَةٍ .
 قَامَتْ تَصَدَّى لَهُ عَمْدًا لَتَقْتَلَهُ
 فَلَمْ يَرَ النَّاسُ وَجْدًا مِثْلَ مَا وَجَدَا

(١) فرند السيف : جوهره ووشيه (٢) الذر : صغار النمل

(٣) الشغا : زيادة في المتقار الأعلى على الأسفل مع تعقف وانعطاف

(٤) الثمانين : أن يجعل رأس السبابة على ظفر الابهام

يُحْيِدِ آدَمَ لَمْ تُعْقَدْ قَلَائِدُهُ
وَنَاهِدِ مِثْلَ قَلْبِ الظَّبِّيِّ مَا نَهَدَا
فَظَلَّ كَالْحَائِمِ ^(١) الْهَيَّامِ لَيْسَ لَهُ
صَبْرٌ وَلَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ إِنْ وَرَدَا
شَبَّهَ ثَدْيَهَا فِي نُحُودِهِ بِقَلْبِ الظَّبِّيِّ فِي صَلَابَتِهِ ،
وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا شَبَّهَ الثَّدْيَ بِقَلْبِ الظَّبِّيِّ غَيْرَهُ .
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ جَحْدَرِ الْمُكَلِّيِّ فِي امْرَأَةٍ :
عَلَى قَدَمٍ مَكْنُونَةٍ اللَّوْنِ رَخْصَةٍ
وَكَعْبٍ كَذْفَرَى جَوْذَرِ الرَّمْلِ أَدْرَمَا
شَبَّهَ كَعْبَهَا بِأَصْلِ أُذُنِ الْجَوْذَرِ ، وَهُوَ الصَّغِيرُ
مِنْ أَوْلَادِ الْبَقَرِ .
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ يَصِفُ فَرْخَ الْقَطَاةِ :

(١) الحائم : العطشان الذي يحوم حول الماء

كَأَنَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنَوَةٍ^(١)
 إِذَا هُوَ مَدَّ الْجِدَّ مِنْهُ لِيَطْعَمَا
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ دِعْبِلٍ يَهْجُو امْرَأَةً :
 كَانَ الثَّالِيلُ^(٢) فِي وَجْهِهَا
 إِذَا سَفَرَتْ بِدَدُ الْكِشْمِشِ^(٣)
 لَهَا شَعْرُ قِرْدٍ إِذَا أَزَيْتَ
 وَوَجْهُهُ كَبَيْضِ الْقَطَا الْأَبْرَشِ^(٤)
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ فِي وَصْفِ الْبَطِّ :
 كَأَنَّمَا يَصْفِرُنْ مِنْ مَلَاعِقِ
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الرُّجَّازِ ، فِي جَارِيَةٍ سَوْدَاءَ :

(١) الحنوة : نبات طيب الريح (٢) الثَّالِيل : جمع ثُلُول وهو
 الحبة تظهر في الجلد قدر الحمصة (٣) الكشمش : العنب الصغير
 (٤) الأبرش : كالأبرص وزناً ومعنى .

كَانَهَا وَالْكُحْلُ فِي مِرْوَدِهَا
 تَكْحُلُ عَيْنَهَا بِبَعْضِ جِلْدِهَا
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْجَعْدِيِّ فِي فَرَسٍ :
 خَيْطَ عَلَى زَفْرَةٍ^(١) فَتَمَّ وَلَمْ
 يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضَمٍ^(٢)
 يَقُولُ هُوَ مُنْتَفِخُ الْجُنَيْنِ ، فَكَانَهُ زَفَرٌ
 فَانْتَفَخَ جَنْبَاهُ ، ثُمَّ خَيْطَ عَلَى ذَلِكَ .
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الطَّرِمَّاحِ يَصِفُ الثَّوْرَ :
 يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ
 سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُعْمَدُ
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ لِلنُّعْمَانِ :

(١) زفرة الفرس : وسطه (٢) الهضم : استقامة الضلوع
 ودخول أعاليها .

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي
وَأِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُسْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْمَرْأَةِ :
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا
نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وَجْهِ الْعَوْدِ
يَقُولُ : نَظَرْتُ إِلَيْكَ وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَتَكَلَّمَ ،
كَأَنَّ يَنْظُرُ الْمَرِيضُ إِلَى وَجْهِ عَوَّادِهِ ، وَلَا يَقْدِرُ
أَنْ يُكَلِّمَهُمْ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ طَرَفَةَ :
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى
لَكَالطَّوْلِ الْمُرْخَى وَثَنِيَاهُ بِالْيَدِ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الضَّبِّيِّينَ يَصِفُ أَبَارِيقَ الشَّرَابِ :

كَانَ أَبَارِيقَ الشَّمُولِ عَشِيَّةً
 إَوَزُ بِأَعْلَى الطَّفِّ غُوجُ الحَنَاجِرِ
 وَنَحْوُهُ قَوْلُ أَبِي الهِنْدِيِّ :
 سَيِّغَنِي أَبَا الهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ
 أَبَارِيقُ لَمْ يَعلَقْ بِهَا وَضَرُ الزُّبْدِ
 مُفَدِّمَةٌ قَزَا كَانَ رِقَابَهَا
 رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ نُصَيْبٍ فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ :
 وَقَلْبُكَ آنَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنْ الْأُمِّ بِابْنَتِهَا الزَّائِرَةِ
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ فِي الظَّبْيَةِ :
 تُرْجِي أَغْنَى كَانَ إِبْرَةَ رَوْقِهِ^(١)
 قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

(١) الروق : طرف قرن الغزال .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَشَّارٍ :
 كَانَ مُشَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا
 وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى
 كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَمَوَّلَى كَانَ الشَّمْسَ يَبْنِي وَيَبْنِيهِ
 إِذَا مَا التَّقِينَا لَيْسَ مِمَّنْ أَعَاتِبُهُ
 يَقُولُ : لَا أَقْدِرُ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ مِنْ بُغْضِهِ ،
 فَكَأَنَّ الشَّمْسَ يَبْنِي وَيَبْنِيهِ .
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ :

كَانَ نِيرَانَهُمْ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ

مُصَبَّغَاتٍ^(١) عَلَى أَرْسَانِ^(٢) قَصَارٍ^(٣)

النَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ هَذَا، وَأَنَا أَرَى أَنَّ أَقُولَ : الْأَوَّلَى
أَنَّ يُشَبَّهَ الْمُصَبَّغَاتِ بِالنَّيِّرَانِ لَا النَّيِّرَانِ بِالْمُصَبَّغَاتِ .

✱ ✱

حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ ، عَنْ
لَيْثٍ عَنْ طَاوُسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : إِنَّهَا كَلِمَةُ نَبِيِّ :
سَتُبْدَى لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا

الآيات
التي لا
مثل لها

وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدِ
حَدَّثَنِي الرَّيَّاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : أَبْرَعُ يَنْتِ
قَالَتْهُ الْعَرَبُ ، قَوْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ :

(١) مصبغات : الثياب التي لونت بالصبغ (٢) الأرسان جمع رسن : وهو
الحبل (٣) القصار الذي يحور الثياب ويدقها بالقصرة وهي قطعة من الخشب

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا
وَإِذَا تَرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ
وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْكِبَرِ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ
الْهَلَالِيِّ :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتُ بَعْدَ صِحَّةٍ
وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وَأَحْسَنُ مَنْ ابْتَدَأَ مَرِئِيَّةً أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ فِي قَوْلِهِ :
أَيَّتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا
إِنَّ الَّذِي تَكْرَهِيْنَ قَدْ وَقَعَا
وَأَغْرَبُ مَنْ ابْتَدَأَ قَصِيدَةً النَّابِغَةُ فِي قَوْلِهِ :
كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ
وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ

حَدَّثَنِي الْخُثَمِيُّ الشَّاعِرُ قَالَ : أَحْسَنُ يَنْتِ قِيلَ
 فِي الْجُبْنِ قَوْلُ نَهْشَلِ ابْنِ حَرِيٍّ :
 فَلَوْ كَانَ لِي نَفْسَانِ كُنْتُ مُقَاتِلًا
 بِأَحَدَاهُمَا حَتَّى تَمُوتَ وَأَسْمَا
 قَالَ وَيَنْتُ الْمُخْبَلِ فِي قَسَاوَةِ الْقَلْبِ :
 يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ
 لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ
 قَالَ : وَيَنْتُ عَبِيدٍ فِي الْإِسْتِعْفَافِ :
 مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ
 قَالَ : وَيَنْتُ مَنْجُوفِ بْنِ مُرَّةَ السُّلَمِيِّ فِي
 الْإِحْتِفَافِ بِالْمَالِ :

وَأَدْفَعُ عَنْ مَالِي الْحُقُوقَ وَإِنَّهُ

جَمٌّ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ مَصَائِبُهُ

قَالَ : وَيَنْتُ الْحُطِيبَةُ فِي إِكْرَامِ النَّفْسِ :

وَأَكْرَمُ نَفْسِي الْيَوْمَ عَنْ سُوءِ طَعْمَةٍ

وَيَقْنَى الْحَيَاءُ الْمَرْءَ وَالرُّمْحُ شَاجِرُهُ

قَالَ : وَقَوْلُ كَعْبٍ فِي الْإِقْدَامِ :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا

قُدُماً وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقْ

قَالَ : وَيَنْتُ عَمْرُو بْنُ الْإِطْنَابَةِ فِي الصَّبْرِ :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ

مَكَانَكَ تُحَمَّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا عِنْدِي قَوْلُ قَطْرِي :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ لِنَفْسِي
 مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي
 فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ
 عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي
 قَالَ : وَبَيَّتُ مِسْكِينَ الدَّرَامِيِّ فِي الْجُودِ :
 طَعَامِي طَعَامُ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ
 وَلَمْ يُبْلِهْنِي عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقَنَّعُ
 قَالَ : وَفِي حُسْنِ الْجَوَارِ قَوْلُهُ :
 نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ
 وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقَدْرُ
 مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوَرُهُ
 أَلَّا يَكُونَ لِبَابِهِ سِتْرُ

قَالَ : وَمِمَّنْ رَضِيَ بِالْقَلِيلِ جَمِيلٌ ، قَالَ :
 أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ
 يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ تَنْظُرُ

وَقَوْلُ الْآخِرِ :
 أَلَيْسَ اللَّيْلُ يُلبَسُ أُمَّ عَمْرٍو
 وَإِيَّانَا فَذَاكَ بِنَا تَدَانِي
 تَرَى وَضَحَ النَّهَارِ كَمَا أَرَاهُ
 وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي

قَالَ : وَيَتُّ عَمْرٍو بِنِ كُلْثُومٍ فِي الْجَهْلِ :
 أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا
 فَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

قَالَ : وَيَيْتُ النَّابِغَةِ فِي تَرْكِ الْإِلْحَاحِ :

فَاسْتَبَقِ وَدَّكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ

قَتْبًا يَعْصُ بِغَارِبٍ مِلْحَاحًا

قَالَ وَفِي إِدْرَاكِ الثَّأْرِ قَوْلُ مُهْلِلٍ :

لَقَدْ قَتَلْتُ بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ

حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَدٌ

قَالَ : وَيَيْتُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ فِي تَبْلِغِ الْعُذْرِ

فِي الطَّلَبِ :

لِتَبْلِغَ عُذْرًا أَوْ تُفِيدَ غَنِيمَةً

وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

قَالَ : وَيَيْتُ جَمِيلٍ فِي إِنْفَاقِ الْمَالِ وَالتَّوَشُّكِ

عَلَى اللَّهِ تَعَالَى :

كُلُوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ إِلَهِهِ وَابْشُرُوا
 فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ رِزْقَكُمْ غَدًا
 قَالَ : وَفِي الشَّجَاعَةِ قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُرْدَاسٍ :
 أَشَدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي
 أَحْتَفِي كَأَن فِيهَا أُمٌ سِوَاهَا
 قَالَ : وَبَيَّتُ الْمُتَمَسِّسَ فِي الْمَالِ وَتَشْمِيرِهِ
 قَلِيلُ الْمَالِ تَصْلِحُهُ فَيَبْقَى
 وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ عَلَى الْفَسَادِ
 وَأَخْبَرَنَا دِعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّاعِرُ قَالَ : أَهْجَى
 يَبْتَ قِيلَ ، قَوْلُ الطَّرِمَّاحِ فِي تَمِيمٍ :
 تَمِيمٌ بِطَرَقِ اللَّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا
 وَلَوْ سَلَكَتُ طُرُقَ الْمَكَارِمِ ضَلَلْتُ

قَالَ : وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :
 قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمْ
 قَالُوا لِأُمِّهِمْ بُولِي عَلَى النَّارِ
 قَالَ : وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْحُطَيْئَةِ لِلزَّبْرِقَانِ فِي
 قِصْرِ الْهَمَّةِ :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا
 وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
 قَالَ غَيْرُهُ : وَقَوْلُ الطَّرِمَّاحِ فِي الْقِلَّةِ وَالْخُمُولِ :
 لَوْ كَانَ يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ
 مِنْ خَلْقِهِ خَفِيَتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدٍ
 وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَأَنْتَ مَلِيخٌ كُلَّحْمِ الْحَوَا
 رِ لَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ

وَكَذَلِكَ قَوْلُ جَرِيرٍ فِي التَّيْمِ :
وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ عَبِيدَ تَيْمٍ
وَتَيْمًا قُلْتَ أَيُّهُمَا الْعَبِيدُ
وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ
وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودُ
وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْهَيْبَةِ :
يُغْضَى حَيَاءٌ وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ
وَأَغْرَبُ مَا قِيلَ فِي مَصْلُوبِ قَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ
مَوْلَى الْأَنْصَارِ :
لَعَمْرِي لَتُنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشَدَّبٍ
طَوِيلٍ تُغْفِيكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ

لَقَدْ عِشْتَ مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ مُرْزَأً
وَعُوفِيْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ
وَأَفْلَيْتَ مِنْ ضَيْقِ التُّرَابِ وَغَمِّهِ
وَلَمْ تَفْقِدِ الدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ
وَأُغْرِبُ مَا قِيلَ فِي مَجْوسِي قَوْلُ أَعْرَابِي :
شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْمَشَاشِ
وَأَنَّكَ بَحْرُ جَوَادٍ خِضَمِ
وَأَنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الْجَحِي
مَ إِذَا مَا تَرَدَّيْتَ فِيمَنْ ظَلَمَ
وَمِنْ أُغْرِبِ مَا قِيلَ فِي دَعِي قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ
ابْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَنَوِيِّ :

لَوْ أَنَّ مَوْتِي تَمِيمٌ كُلُّهَا نُشِرُوا
وَأَثْبَتُوكَ لَقِيلَ الْأَمْرُ مَصْنُوعٌ
مِثْلُ الْجَدِيدِ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقٍ
تَبَيَّنَ النَّاسُ أَنَّ الثَّوْبَ مَرْقُوعٌ
وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخِرِ :
أَجَارَتَنَا بَانَ الْخَلِيطُ فَأَبْشِرِي
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ يَبِينَ خَلِيطُ
عَائِبُهُ فِي عَرْضِهِ لِيَصُونَهُ
وَلَا عِلْمَ لِي أَنَّ الْأَمِيرَ لَقِيطُ
وَنَحْوُهُ قَوْلُ دِعْبِلٍ فِي مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ :
النَّاسُ كُلُّهُمْ يَسْعَى لِحَاجَتِهِ
مَا يَبْنِي ذِي فَرَجٍ مِنْهُمْ وَمَهْمُومٍ

وَمَالِكٌ ظَلَّ مَشْغُولًا بِنِسْبَتِهِ

يَرُمُّ مِنْهَا خَرَابًا غَيْرَ مَرْمُومٍ

يَنِينِي يُيُوتَا خَرَابًا لَا أُنِيسَ بِهَا

مَا يَنْ طَوْقٍ إِلَى عَمْرٍو بْنِ كُلْثُومٍ



ثُمَّ انْتَقَلَ ابْنُ قُتَيْبَةَ إِلَى بَابِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَقَعُ
فِي كُتُبِ الْأَمَانِ جَاءَ فِيهِ :

هَذَا كِتَابٌ مِنْ فُلَانٍ لِفُلَانٍ : إِنِّي أَمْنْتُكَ عَلَى
دِمِكَ وَمَالِكَ وَمَوَالِيكَ وَاتِّبَاعِكَ ، لَكَ وَلَهُمْ
ذِمَّةُ اللَّهِ الْمُؤَفَّى بِهَا ، وَعَهْدُهُ الْمُسْكُونُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ
ذِمَّةُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَأَكْرَمَهُمْ

بِوَحْيِهِ ، ثُمَّ ذِمُّ النُّجَبَاءِ مِنْ خِلَافِهِ : بِحَقْنِ دَمِكَ
وَمَنْ دَخَلَ اسْمُهُ مَعَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، وَسَلَامَةِ
مَالِكَ وَأَمْوَالِهِمْ وَكَذَا وَكَذَا ، فَاقْبَلُوا مَعْرُوضَهُ ،
وَاسْكُنُوا إِلَى أَمَانِهِ ، وَتَعَلَّقُوا بِجَبَلِ ذِمَّتِهِ ، فَإِنَّهُ
لَيْسَ بَعْدَ مَا وَكَدَ مِنْ ذَلِكَ مُتَوَقِّئٌ لِدَاخِلٍ فِي أَمَانٍ
إِلَّا وَقَدْ اعْتَلَقْتُمْ بِأَوْثَقِ عُرَاهٍ ، وَلَجَأْتُمْ إِلَى أَحْرَزِ
كُهُوفِهِ وَالسَّلَامُ .

وَفِي كِتَابٍ آخَرَ :

هَذَا كِتَابٌ مِنْ فُلَانٍ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا
جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ نَيْتَهُ فِي إِقَالَةِ الْعَاثِرِ وَاسْتِصْلَاحِ
الْفَاسِدِ ، رَأَى أَنْ يَتَلَفَّاكَ بِعَفْوِهِ ، وَيَتَغَمَّدَ زَلَّاتِكَ
بِرُحْمِهِ ، وَيَبْسُطَ لَكَ الْأَمَانَ عَلَى مَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ

مِنْ اخْتِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ : عَلَى دَمِكَ وَشَعْرِكَ وَبَشْرِكَ
 وَأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ ، وَمَالِكَ وَعَقَارِكَ ؛ فَإِنْ أَنْتَ أَتَيْتَ
 وَسَمِعْتَ وَأَطَعْتَ ، فَأَنْتَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ ، عَلَى مَا
 أَمَّنَكَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكَ بِذَلِكَ ذِمَّةُ اللَّهِ ،
 وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَقِّ قَائِمٍ بَعَيْنِهِ
 لِمُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهِدٍ ، وَاللَّهُ بِذَلِكَ رَاعٍ وَكَفِيلٌ ، وَكَفَى
 بِاللَّهِ وَكِيلًا .

وَفِي كِتَابٍ آخَرَ :

إِنَّ فُلَانًا اسْتَوْهَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبَكَ ،
 وَسَأَلَهُ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَكَ وَإِنَابَتَكَ ، وَيُؤْمِنَكَ عَلَى
 دَمِكَ وَشَعْرِكَ وَبَشْرِكَ ، وَأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ ، وَمَالِكَ
 وَعَقَارَاتِكَ ، عَلَى أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ وَتُشَايِعَ ، وَتُوَالِيَ

أُولِيَائِهِ ، وَتُعَادِي أَعْدَاءَهُ ؛ فَأَجَابَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَى ذَلِكَ ، لِرَأْيِهِ فِي الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ ، وَمَا يَحْتَسِبُ
فِي ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ ، فَأَنْتَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ
عَلَى كَذَا لَا تُؤْخِذُ بِشَيْءٍ مِمَّا سَلَفَ مِنْ أَحْدَاثِكَ ،
وَلَا تَتَّبِعُ فِيهِ بِمَكْرُوهِ مَا أَقَمْتَ عَلَى الْوَفَاءِ ، وَلَمْ
تُحْدِثْ حَدَثًا تَقْسَخُ بِهِ أَمَانَكَ ، وَتَجْعَلَ بِهِ سَبِيلًا
عَلَى نَفْسِكَ ، وَاللَّهُ لَكَ بِذَلِكَ رَاعٍ كَفِيلٌ ، وَكَفَى
بِهِ شَهِيدًا .



أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِيمَا أَسْنَدَ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَهُ بِسَبِيلِهِ ،
وَأَنَّ يُؤْثِرَ اللَّهُ وَطَاعَتَهُ آخِذًا وَمُعْطِيًا ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ
اللَّهَ سَأَلَهُ عَمَّا عَمِلَ بِهِ وَجَازِيَهُ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ خَارِجٌ

ألفاظ
تقع في
كتب
العهود

مِنْ دُنْيَاهُ خُرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ، إِمَّا مَغْبُوطًا مَحْمُودًا ،
وإِمَّا مَذْمُومًا مَسْلُوبًا ، فَلْيَعْتَبِرْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ
الْوَلَاةِ الَّذِينَ وَلُوا مِثْلَ مَا وَلِيَ ، أَيْنَ صَارَ بِهِمْ مَرُّ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَا انْقَلَبُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ إِلَى
قُبُورِهِمْ ؟ وَيَتَزَوَّدُ لِنَفْسِهِ الزَّادَ النَّافِعَ الْبَاقِيَ « يَوْمَ
تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا
عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا »



كتاب
آخر

وَقَدْ وَلَّاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَلَّاكَ مِنْ أُمُورِ
رِعْيَتِهِ ، وَأَشْرَكَكَ فِيهَا أَشْرَكَكَ فِيهِ مِنْ أَمَانَتِهِ ،
ثِقَّةً بِكَ ، وَرَجَاءً لِمُتَابَعَتِكَ ، وَإِشَارَكَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ ،
وَرَفْضَكَ الْبَاطِلَ وَأَهْلَهُ ؛ وَعَهْدَ إِلَيْكَ فِي ذَلِكَ بِمَا

إِنْ أَخَذْتَ بِهِ ، أَعَانَكَ اللَّهُ وَسَدَّدَكَ ، وَإِنْ خَالَفْتَهُ
خَذَلَكَ وَعَاقَبَكَ .

✱
✱ ✱

فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اخْتَارَكَ مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَّ وَفَالِحِ
لَوْفِدِ اللَّهِ وَزَوْرِ يَتِيهِ ، لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ قَدْرُهُ ،
الشَّرِيفِ مَنَزِلَتُهُ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَإِثَارِ
مُرَاقَبَتِهِ ، وَلِزُومِ الْهُدَى الْمَحْمُودِ ، وَالطَّرِيقَةِ الْمُسْتَلَى
وَالسَّيَرَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي تُشَبِّهُ حَالَكَ .

✱
✱ ✱

فَإِنَّ اللَّهَ نَزَّهَ الْإِسْلَامَ عَنْ كُلِّ قَبِيحَةٍ ، وَأَكْرَمَهُ
عَنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ ، وَرَفَعَهُ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ ، وَشَرَّفَهُ
بِكُلِّ فَضِيلَةٍ ، وَجَعَلَ سَيَاءَ أَهْلِهِ الْوَقَارَ وَالسَّكِينَةَ .

كتاب آخر

☆
☆ ☆

آخر

وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْإِزْدِيَادِ فِي طَاعَتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ ،
وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فِي عَمَلِهِ ، مَنْ عَظَّمَ حَقَّ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ
فِي الْخَاصَّةِ بِفَضْلِ الصَّنِيعَةِ مِنَ الْأَمِيرِ عِنْدَهُ ، مَعَ
حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْعَامَّةِ بِحَقِّ الْوِلَايَةِ .

☆
☆ ☆

آخر

وَكُنْتَ سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ، وَنِكَالًا مِنْ
أَنْكَالِهِ لِأَهْلِ الشَّقَاقِ ، وَشَجِيٍّ لِمَنْ ابْتَغَى غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ أَحْكَمْتَكَ التَّجَارِبُ ، وَضَرَسَتْكَ
الْأُمُورُ ، وَفُرِرتَ عَنِ الذِّكَاةِ ، وَحَلَبْتَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ .

☆
☆ ☆

آخر

أَنْتَ ابْنُ الْحُرِّيَّةِ وَالْمُرُوءَةِ ، وَمَنْ لَا يَلْحَقُهُ
عَارُ أُبُوءَةٍ وَلَا بُنُوءَةٍ .

*
* *

قَدِ التَّمَسْتُ مُوَاجَهَتَكَ بِشُكْرِكَ ، وَوَصِفِ آخِرَ
مَا أَجْنُ لَكَ ، وَأَخْلِصْ مِنْ وَدِّكَ ، وَأَجِلْ مِنْ قَدْرِكَ ،
وَأَعْتَدْ مِنْ إِحْسَانِكَ ، فَلَفَتَنِي عَنْ ذَلِكَ تَعَذُّرُ الْخُلُوةِ
مَعَ انْقِبَاضِ وَحِشْمَةٍ .

*
* *

قَدْ أَغْنَى اللَّهُ بِكَرَمِكَ عَنْ ذَرِيعَةٍ إِلَيْكَ ؛ وَمَا آخِرَ
تُنَازِعِنِي نَفْسِي إِلَى اسْتِعَانَةٍ عَلَيْكَ ، إِلَّا أَبَى ذَلِكَ
حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ فِيكَ ، وَتَأْمِيلُ نُبُحِّجِ الرَّغْبَةِ
إِلَيْكَ ، دُونَ الشُّفْعَاءِ عِنْدَكَ .

*
* *

مِثْلَكَ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَاضُّعِ لِنِعْمَتِهِ ، وَالْإِغَاثَةِ
لِمُسْتَفِئِهِ ، وَالْعَائِدَةِ عَلَى رَاجِيهِ بِفَضْلِهِ .



آخر

تَبًّا لِمَنْ يَأْتِي رَأْيِكَ ! وَقُبْحًا لِعُزُوبِ عَقْلِكَ ،
وَأَفْنٍ تَدْيِيرِكَ ! مَا أَبْعَدَ مَذْهَبَكَ فِي الْخَطَا ،
وَأَسْوَأَ أَثَرِكَ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَأَقْصَرَ بَاعَكَ عَنْ
الشُّهُوسِ . جَزَالَةٌ تُعْقِدُكَ ، وَمَهَانَةٌ تُضْرِعُكَ ، وَزَهْوٌ
يَعْلُوكَ ، وَنَحْوَةٌ يَشْمَخُ لَهَا عِرْنِينُكَ ، لَقَدْ انْصَرَفَ
رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَدَعَوْتَ لَهُ عَتَبَكَ ،
وَكَشَفْتَ لَهُ عَنْ قِنَاعِ سِتْرِكَ ، وَاجْتَرَرْتَ إِلَيْكَ
سَخَطَهُ ، وَعَظَفْتَ نَحْوَكَ مَوْجِدَتَهُ ، وَكُنْتَ عَلَى
نَصِيبِكَ مِنْهُ ، وَالضَّنُّ بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَهُ ، أَوْلَى تَقَدُّمًا ،
وَأَقْرَبَ رُشْدًا ، وَاللَّهُ الْعَنَى الْحَمِيدُ .



أَصْحَابُ السُّلْطَانِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ يَجْعَلُ الدُّنْيَا نُصْبَ
 أَصْحَابِ السُّلْطَانِ عَيْنِهِ، يَنْصُبُ فِيهَا لِلْخَاصَّةِ مَكَايِدَهُ، وَيَرْفَعُ عَنْ
 مَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ هِمَّتَهُ، يُذْهِلُهُ عَنِ التَّقْوَى الْهَوَى،
 وَتُنْسِيهِ أَيَّامُ الْقُدْرَةِ الْعَثْرَةَ، حَتَّى تَنْصَرِمَ مُدَّتُهُ،
 وَتَنْقُضِيَ دَوْلَتَهُ، لَمْ يَرْتَهِنْ بِدُنْيَاهُ شُكْرًا، وَلَا
 قَدَّمَ بِهَا إِلَى مَعَادِهِ ذُخْرًا. وَرَجُلٌ لَا يَحْفِلُ مَعَ
 صَلَاحِ الْخَاصَّةِ، بِمَا دَخَلَ مِنَ الْخَلَلِ فِي أُمُورِ الْعَامَّةِ،
 وَلَا مَعَ وَفُورِ حَظِّهِ مَا أَدْخَلَ النِّقْصُ فِي حَظِّ
 رَعِيَّتِهِ. وَرَجُلٌ حَاوَلَ فِي وِلَايَتِهِ إِرْضَاءَ مَنْ وَلِيَ
 لَهُ وَعَلَيْهِ، وَأَعَانَتَهُ النِّيَّةُ، وَخَذَلَتْهُ الْكِفَايَةُ.
 وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ الثِّقَةَ وَالرِّضَا مِمَّنْ فَوْقَكَ،

وَالِاتِّقِيَادَ وَالْمَحَبَّةَ مِمَّنْ دُونَكَ ، وَأَعَادَ إِلَى النَّاسِ بِكَ
 عَهْدَ السَّلَفِ الْمَاضِي ، وَعَمَّرَ بِكَ آثَارَهُمْ ، حَتَّى
 كَانَهُمْ بِكَ أَحْيَاءَ لَمْ تَخْتَرِمَهُمْ مَنِيَّةً ، وَجَمِيعٌ لَمْ
 تَنْصَدِعْ يَنَّهُمْ فُرْقَةً ، فَلِيَهْنِكَ أَنَّ مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ
 أَهْلِ الْفَضْلِ فِي السَّيَرَةِ ، غَيْرُ مُتَقَدِّمٍ لَكَ ، وَمَنْ
 مَعَكَ مُقَصِّرٌ عَنْكَ ، وَمَنْ دُونَكَ مُقْتَفٍ لِأَثْرِكَ ،
 فَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ لَكَ ، وَلَا زَالَتِ النِّعَمُ عَنْكَ ،
 وَلَا انْتَقَلَتِ عُرَا^(١) الْأُمُورِ وَأَزِمَّتْهَا عَنْ يَدِكَ .

*

أَبَى طَبَعُ الزَّمَانِ أَنْ يَسْمَحَ لَنَا بِكَ ، كَمَا أَبَى
 ذَلِكَ فِي مِثْلِكَ ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اعْتَزَّضَ بِمَكْرُوهِهِ
 دُونَكَ ، وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ ذَهَلَتْ عَنْهَا النَّفْسُ حِينَ

آخر

أَذْبَرْتَ بِخَيْرِكَ ، فَإِنَّ تَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِكَ ، عَلَى قَدْرِكَ ،
فِي مَوَاهِبِ اللَّهِ وَقَدْرَهَا عِنْدَكَ .

* *

وَلَمْ تَأْتِ فِي جَمِيعِ مَا عَدَدْتُ مِنْ أَيْدِيكَ شَيْئًا ، آخِر
وَإِنْ كَانَ مُتَنَاهِيًّا إِلَى الْغَايَةِ ، مُخْتَارًا كَالْأُمْنِيَّةِ ،
مُتَجَاوِزًا لِلِاسْتِحْقَاقِ ، إِلَّا وَأَنْتَ فَوْقَهُ ، وَالْمَأْمُولُ
لِلزِّيَادَةِ فِيهِ .

* *

إِنْ كَانَ مَا خَبَرَنِي بِهِ فُلَانٌ عَنْ هَزَلٍ ، فَقَدْ آخِر
أَحْوجَنَا هَزْلُكَ إِلَى الْجِدِّ ، وَوَقَفْنَا مَوْقِفَ الْمُعْتَذِرِينَ
مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ، وَإِنْ كَانَ عَنْ حَقِيقَةٍ ، فَقَدْ ظَهَرَ
لَنَا مِنْ ظُلْمِكَ وَتَحْرِيفِكَ ، مَا دَلَّ عَلَى زُهْدِكَ مِنَّا ،
فِي مِثْلِ الَّذِي رَغِبْنَا مِنْكَ فِيهِ .

*
* *

كِتَابِي إِلَى الْأَمِيرِ يَوْمَ كَذَا بَعْدَ خُرُوجِي فِيهِ
وَمَنْ قَبْلِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُصَلَّى ، وَقَضَائِنَا
مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ صَلَاةِ الْعِيدِ ، وَنَحْنُ بِخَيْرِ
حَالٍ ، اجْتَمَعَ عَلَيْهَا فَرِيقٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي عِيدٍ مِنْ
أَعْيَادِهِمْ ، وَجَمَعَ مِنْ مَجَامِعِهِمْ ، وَكَانَ مَخْرَجُنَا إِلَى
الْمُصَلَّى أَفْضَلَ مَخْرَجٍ ، وَمُنْصَرَفُنَا عَنْهُ أَفْضَلَ مُنْصَرَفٍ ،
بِمَا وَهَبَ اللَّهُ مِنْ سُكُونِ الْعَامَّةِ وَهُدُوءِهَا وَالْفَتْحِهَا ،
وَاحْتِشَادِ الْجُنْدِ وَالشَّائِكِرِيَّةِ بِأَحْسَنِ الزَّيِّ وَالْهَيْئَةِ ،
وَأَظْهَرَ السَّلَاحِ وَالْعُدَّةِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كَذَا وَهَذَا اللَّهُ
الْأَمِيرَ كَذَا .

*
* *

الْقَلْبُ قَرَيْنٌ وَلَهُ^(١) ، حَلِيفٌ حَيْرَةٌ ، أَنْظَرُ بَعَيْنٍ

كتاب
العید

آخر

(١) الوله : الحب الشديد

كَلِيلَةٍ ، وَأَحْضُرُ بِقَلْبٍ غَائِبٍ ، إِلَى وُرُودِ كِتَابِكَ ،
بِمَا تَعْتَزِمُهُ . فَأَمَّا النَّوْمُ ، فَلَوْ مِثْلَ لِعَيْنِي لَنَفَرْتُ
إِلْفًا لِلشَّهَادِ .

فَبَايَعُوا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلِفُلَانٍ بَعْدَهُ عَلَى اسْمِ
 اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ ، وَصُنِعَ اللَّهُ وَحُسْنُ قَضَائِهِ ، لِدِينِهِ
 وَعِبَادِهِ ، يِعْقَبُ مُنْبَسِطَةً لَهَا أَكْفُكُمْ ، مُنْشَرِحَةً
 بِهَا صُدُورُكُمْ ، سَلِيمَةً فِيهَا أَهْوَاؤُكُمْ^(١) ، شَاكِرِينَ
 لِلَّهِ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ لِي أُسْتَاذِي الشَّيْخُ ذَاتَ يَوْمٍ : عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ مَقْرُوءَاتُنَا
 بِحُسْنِ الإِسْتِمَاعِ ، فَإِنَّهُ مِنْ صَمِيمِ الْأَدَبِ ، وَمَدْعَاةُ

لِلْمَحَبَّةِ وَالْإِخَاءِ ، وَالْإِفَادَةِ وَالِاسْتِزَادَةِ ؛ وَمَهْمَا يَكُنْ
عِلْمُكَ بِحَدِيثِ مُحَمَّدٍ ، فَأَنْصِتْ لَهُ ، وَاسْتَمِعْ لِمَا
يَقُولُ ، وَتَفَهَّمْ مَا يُدْلِي ، وَاذْكُرْ مَا تُورَ مَنْ يَقُولُ ؛
إِذَا مَا رَوَى الرَّاوي حَدِيثًا فَلَا تَقُلْ

سَمِعْنَا بِهِ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ

وَلَكِنْ تَسْمَعُ لِلْحَدِيثِ مُوَهِّمًا

بِأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْهُ فِيمَا تَقْدِمَا

وَعَلَيْكَ بِالْأَدَبِ ، فَإِنَّهُ صَاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَمُؤْنِسٌ
فِي الْحَضَرِ ، وَجَلِيسٌ فِي الْوَحْدَةِ ، وَجَمَالٌ فِي الْمَحَافِلِ ،
وَسَبَبٌ إِلَى طَلَبِ الرَّاحَةِ ؛ وَخُذْ مِنْهُ كَمَا يَقُولُ
ابْنُ السَّكَيْتِ : « مَا يَعْلُقُ بِالْقُلُوبِ ، وَتَشْتَهِيهِ الْأَذَانُ ،

الحث
على
الأدب

وَأَخَذَ مِنَ النَّحْوِ : مَا تُقَوِّمُ بِهِ الْكَلَامَ ، وَدَعِ
 الْغَوَامِضَ ؛ وَأَخَذَ مِنَ الشَّعْرِ : مَا يَشْتَمِلُ عَلَى لَطِيفِ
 الْمَعَانِي ؛ وَاسْتَكْتَرَى مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ وَأَقَاوِيلِهِمْ
 وَأَحَادِيثِهِمْ ، وَلَا تُؤْلَعَنَّ بِالْغَثِّ مِنْهَا ؛ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو
 ابْنُ الْعَلَاءِ : قِيلَ لِمُنْذِرِ بْنِ وَاصِلٍ ، كَيْفَ شَهَوْتُكَ
 لِلْأَدَبِ ؟ فَقَالَ : أَسْتَمِعُ لِلْحَرْفِ مِنْهُ ، فَتَوَدُّ أَعْضَائِي
 أَنْ لَهَا أَسْمَاعًا تَتَنَعَّمُ بِهِ ، مِثْلَ مَا تَتَنَعَّمُ الْأَذَانُ ،
 قِيلَ : وَكَيْفَ طَلَبْتُكَ لَهُ ؟ قَالَ : طَلَبْتُ الْمَرْأَةَ الْمُضِلَّةَ
 وَلَدَهَا ، وَلَيْسَ لَهَا غَيْرُهُ ؛ قِيلَ : وَكَيْفَ حِرْصُكَ
 عَلَيْهِ ؟ قَالَ : حِرْصُ الْمَجُوعِ الْمَمْنُوعِ عَلَى مُبْلُوغِ
 لَذَّتِهِ مِنَ الْمَالِ « ؛ وَإِذَا كُرِيَ قَوْلُ بُرْزُجْمَهَرٍ : « مَنْ
 كَثُرَ أَدَبُهُ ، كَثُرَ شَرَفُهُ ، وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا ؛ وَبَعْدَ

صَوْتُهُ^(١) ، وَإِنْ كَانَ خَامِلًا ؛ وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا ،
وَكَثُرَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا « ؛ وَاذْكُرْ
مَا أَنْشَدَنَا أَبُو حَاتِمٍ سَهْلُ بْنُ يَحْيَى السَّجِسْتَانِيُّ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ :

إِنْ الْجَوَاهِرَ : دُرَّهَا وَنُضَارَهَا
هُنَّ الْفِدَاءُ لِجَوْهَرِ الْأَدَابِ
فَإِذَا اكْتَنَزْتَ ، أَوِ ادَّخَرْتَ ذَخِيرَةً
تَسْمُو بِزِينَتِهَا عَلَى الْأَصْحَابِ
فَعَلَيْكَ بِالْأَدَبِ الْمُزِينِ أَهْلَهُ
كَيْمَا تَقُوزَ بِهَجَجَةٍ وَثَوَابِ

(١) المراد بالصوت : الصيت

فَلَرُبَّ ذِي مَالٍ تَرَاهُ مُبْعَدًا
كَالْكَلْبِ يَنْبَحُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
وَتَرَى الْأَدِيبَ، وَإِنْ دَهَتْهُ خَصَاصَةٌ
لَا يُسْتَخَفُّ بِهِ لَدَى الْأَتْرَابِ

*
* *

تتمة
كلام
الشيخ

وَاسْتَطَرَدَ هُنَا فِي إِثْبَاتِ اسْتِشْهَادَاتٍ أُخْرَى
لِلشَّعَائِبِيِّ وَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَالْوُطُوطَاطِ وَغَيْرِهِمْ، مُبَيِّنًا شَرَفَ
الْأَدَبِ، مُشِيدًا^(١) بِمَنَافِعِهِ، قَالَ: قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي:
الرَّجُلُ بِلَا أَدَبٍ، شَخْصٌ بغيرِ آلَةٍ، وَجَسَدٌ بِلَا رُوحٍ.
وَقِيلَ: الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةً، وَأَنْفُسَهَا^(٢)
قِيَمَةً، فَاطْلُبُوهُ، فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ فِي الْفَضْلِ وَالنَّبَاهَةِ^(٣)

(١) منوها (٢) أغلاها (٣) النباهة: الصيت والمهرة
التذيل (١٢)

وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ ، وَدَلِيلٌ عَلَى الْمُرُوءَةِ ، وَمَنْبَهَةٌ لِلرَّأْيِ
وَالصَّوَابِ ، وَصَاحِبٌ فِي الْغُرْبَةِ ، وَأَنْيَسٌ فِي الْوَحْدَةِ ،
وَجَمَالٌ فِي الْمَحَافِلِ ^(١) ، وَصِلَةٌ فِي الْمَجَالِسِ . وَإِذَا
أَكْرَمَكَ النَّاسُ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ ، فَلَا يُعْجِبُكَ
ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْكِرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهِمَا ، وَلَيُعْجِبُكَ إِذَا
أَكْرَمُوكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا الْفَقِي فَاتَهُ مَالٌ يُجَمِّلُهُ

فَفِي التَّأْدِبِ مِمَّا فَاتَهُ خَلْفُ

هُوَ اللَّبَاسُ الَّذِي لَا شَيْءٌ يَعْدِلُهُ

وَالْمَفْخَرُ الدِّينُ فِيهِ الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِبَنِيهِ : تَأَدَّبُوا ، فَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكًا

بَرَزْتُمْ ، وَإِنْ كُنْتُمْ أَوْسَاطًا^(١) فُقْتُمْ ، وَإِنْ أَعْوَزَ كُمْ
 الْمَعَاشُ عِشْتُمْ . وَقِيلَ : إِنَّ الْأَدَبَ يُفِيدُ الرَّغَائِبَ
 الْجَلِيلَةَ ، وَيُعِزُّ بِلَا عَشِيرَةٍ^(٢) ، وَيُكْثِرُ الْأَنْصَارَ لِغَيْرِ
 ذُرِّيَّةٍ . وَقَالُوا : مَنْ دَابَّ فِي طَرِيقِ الْأَدَبِ ، أَدْرَكَ
 حَاجَتَهُ ، وَمَلَكَ نَاصِيَتَهُ ، وَنَبَلَ^(٣) قَدْرَهُ ، وَنَبَهَ ذِكْرَهُ ،
 يَنْوِبُ الْأَدَبُ عَنِ النَّسَبِ ، وَلَا يَنْفَعُ نَسَبٌ بِلَا أَدَبٍ ،
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَمْ مِنْ خَسِيسٍ وَضِيعٍ الْقَدْرَ لَيْسَ لَهُ
 فِي الْعِزِّ يَبْتُ وَلَا يُنْمَى إِلَى نَسَبٍ
 قَدْ صَارَ بِالْأَدَبِ الْمَحْمُودِ ذَا شَرَفٍ
 عَالٍ وَذَا حَسَبٍ مُحْضٍ وَذَا نَسَبٍ

(١) أوساطا : لستم ملوكا ولا من الدهماء (٢) العشيرة : القبيل
 والأسرة (٣) نبَلَ : شرف

يُعْلِي التَّأْدِبُ أَقْوَامًا وَيَرْفَعُهُمْ
حَتَّى يُسَاوُوا ذَوِي الْعُلَيَاءِ فِي الرُّتَبِ

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْأَعَاجِمِ يَفْتَخِرُ وَيَعْتَدِرُ:

مَالِي عَقْلِي وَهَمَّتِي حَسْبِي

مَا أَنَا مَوْلَى^(١) وَلَا أَنَا عَرَبِي

وَإِذَا انْتَمَى^(٢) مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ

فَإِنِّي مُنْتَمٍ إِلَى أَدَبِي

فَالْبَسُوا إِذَا الْأَدَبَ حُلَّةً ، وَتَزَيَّنُوهُ حِلْيَةً ، فَإِنَّهُ

أَنْفَقَ مَعَاشٍ ، وَأَجْمَلَ رِيَاشٍ ، إِنْ اخْتَجَمْتُ إِلَيْهِ كَانَ

لَكُمْ مَالًا ، وَإِنْ اسْتَفْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ جَمَالًا .

(١) المولى : العبد والسيد فهو من أسماء الاضداد

(٢) انتمى : انتسب



ثُمَّ انْتَقَلَ بِي رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى التَّحَدُّثِ عَنِ الْأَرْكَانِ ^{أصول} ^{فن} ^{الأدب} الْأَرْبَعَةِ ، الَّتِي هِيَ أَصُولُ فَنِّ الْأَدَبِ ، فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ، وَهِيَ : أَدَبٌ ^(١) الْكَاتِبِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ ، وَكِتَابُ الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ ، وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ لِلْجَاحِظِ ، وَكِتَابُ النُّوَادِرِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي الْبَغْدَادِيُّ ، وَاسْتَطَرَدَ إِلَى ذِكْرِ كِتَابِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ، وَنَفَحَ الطَّيْبَ . ثُمَّ حَدَّثَنِي رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ أَذْكِيَاءِ الْعَرَبِ ، مِمَّا سَتَقِفُ عَلَيْهِ فِيمَا سَنَشْرُهُ لَكَ مِنْ كُتُبِ ابْنِ ظُفَرَ بِمَا يَنْقَعُ غُلَّتِكَ ، وَيُسَعِّفُكَ بِطَلِبَتِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَنَجَّزِي لَكَ هُنَا بِمَا حَكَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ . قَالَ :

(١) وفي بعض المطان الأدبية « العقد الفريد »

إِنَّ عُمرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِصَبِيَّانِ يَلْعَبُونَ ، وَفِيهِمْ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَهَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ ، فَقَالَ
لَهُ عُمرُ : مَا لَكَ لَا تَهْرَبُ مَعَ أَصْحَابِكَ . فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ أَكُنْ عَلَى رِيَّةٍ فَأَخَافُكَ ، وَلَمْ
يَكُنِ الطَّرِيقُ ضَيِّقًا فَأَوْسَعَ لَكَ .



فضل
الأدب

ثُمَّ اسْتَرْسَلَ أُسْتَاذِي الْمَرْحُومُ الشَّيْخُ حَمْزَةُ ،
مُتَوَسِّعًا فِي إِثْبَاتِ فَضْلِ الْأَدَبِ ، مُسْتَفِيضًا فِي الْإِشَادَةِ
بِمَآثِرِ الْعَرَبِ ، وَمَا لَبَّلَاغَتِهَا مِنْ سِحْرِ أَلْبَابِ ،
وَرَوْعَةِ مَاخِذِ ، وَمَتَانَةِ أُسْرِ ، وَحَلَاوَةِ فَقْرِ ، وَغُلُوِّ
مَهْرِ ، وَبَقَاءِ عَلَى مَدَى الدَّهْرِ ؛ مِمَّا يَطُولُ بَيَانُهُ ،
وَلَيْسَ هَذَا مَكَانُهُ ، مِمَّا لَا يَخْرُجُ عَمَّا جَاءَ فِي كِتَابِهِ

الْمَوَاهِبِ الْفَتْحِيَّةِ ، مَعَ مِيزَةِ سَلَاسَةِ اسْلُوبِ الْمُحَدَّثِ ،
 وَتَعَاظِلِ اللُّغَوِيِّ الْكِتَابِيِّ ، وَهُوَ فِي هَذَا كَلِّهِ خَيْرٌ مُمَثِّلٌ
 لِلْمَدْرَسَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَآرَاءِ الْمُحَافِظِينَ ، مِمَّا لَا نَرَى مَنْدُوحَةً
 لَنَا مِنْ وَفْقِكَ عَلَى مَحَلِّهَا ، وَخَاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ بِالْبَلَاغَةِ ،
 مُعْتَمِدِينَ فِي ذَلِكَ عَلَى كِتَابِي الصَّنَاعَتَيْنِ لِلْعَسْكَرِيِّ ،
 وَزَهْرِ الْأَدَابِ لِلْحُصَرِيِّ ، مِمَّا فَحَصَهُ كِتَابُ عِلْمِ
 الْأَدَبِ . قَالَ : قَالَ أَغْرَابِيٌّ : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ
 الْبَعِيدِ ، وَالتَّبَاعُدُ مِنَ الْكُلْفَةِ ، وَالِدَّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى
 كَثِيرٍ . قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى : الْبَلَاغَةُ تَقْرِيرُ
 الْمَعْنَى فِي الْأَفْهَامِ مِنْ أَقْرَبِ وَجْهِهِ الْكَلَامِ .
 قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْبَلَاغَةُ الْبُلُوغُ إِلَى الْمَعْنَى ، وَلَمْ
 يَطْلُ سَفَرُ الْكَلَامِ . قَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ : الْبَيَانُ

تَرْجَمَانُ الْعُقُولِ ، وَرَوْضُ الْقُلُوبِ ، وَقَالَ أَيْضًا :
 الْعَقْلُ رَائِدُ الرُّوحِ ، وَالْعِلْمُ رَائِدُ الْعَقْلِ ، وَالْبَيَانُ
 تَرْجَمَانُ الْعِلْمِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْإِمَامُ : يَكْفِي مِنَ
 الْبَلَاغَةِ أَلَّا يُؤْتَى السَّامِعُ مِنْ سُوءِ فَهْمِ النَّاطِقِ ،
 وَلَا يُؤْتَى النَّاطِقُ مِنْ سُوءِ فَهْمِ السَّامِعِ . قَالَ
 الْعَتَابِيُّ : الْبَلَاغَةُ مَدُّ الْكَلَامِ بِمَعَانِيهِ إِذَا قَصُرَ ،
 وَحُسْنُ التَّأْلِيفِ إِذَا طَالَ . قَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْبَلَاغَةُ
 إِبْجَازٌ فِي غَيْرِ عَجْزٍ ، وَإِطْنَابٌ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَقَدْ
 قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ ،
 وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ . وَقِيلَ لِلرُّومِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟
 قَالَ : حُسْنُ الْإِقْتِضَابِ عِنْدَ الْبِدَاهَةِ ، وَالْعَزَازَةِ
 يَوْمَ الْإِطَالَةِ . وَقِيلَ لِلْهِنْدِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ :

وُضُوحُ الدَّلَالَةِ ، وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ ، وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ .
وَقِيلَ لِلْفَارِسِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ
مِنَ الْوَصْلِ ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَّانِيُّ : الْبَلَاغَةُ
إِصَالُ الْمَعْنَى إِلَى الْقَلْبِ فِي حُسْنِ صُورَةٍ مِنْ
الْلَفْظِ . وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْبَلَاغَةِ ، قَالَ :
أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا حَسَنَ إِيجَازُهُ ، وَقَلَّ مَجَازُهُ ،
وَكَثُرَ إِعْجَازُهُ ، وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَأَعْجَازُهُ .
وَقِيلَ لِجَعْفَرِ بْنِ خَالِدٍ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ :
التَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ ، وَالذَّلَالَةُ بِالْقَلِيلِ
عَلَى الْكَثِيرِ . وَقِيلَ لِآخَرَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ :
تَطْوِيلُ الْقَصِيرِ ، وَتَقْصِيرُ الطَّوِيلِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيِّ :
مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : حَذْفُ الْفُضُولِ ، وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ ،

وَحُسْنُ الاستِعَارَةِ . وَقِيلَ لِجَالِينُوسَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟
 قَالَ : إِيضَاحُ الْمُعْضِلِ ، وَفَكَ الْمُسْكِلِ . وَقِيلَ لِلْخَلِيلِ
 ابْنِ أَحْمَدَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَا قَرُبَ طَرَفَاهُ ،
 وَبَعْدَ مُنْتَهَاهُ . وَقِيلَ لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟
 قَالَ : إِصَابَةُ الْمَعْنَى ، وَالْقَصْدُ إِلَى الْحُجَّةِ . وَقِيلَ
 لِأَخَرٍ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : تَصْوِيرُ الْحَقِّ فِي صُورَةِ
 الْبَاطِلِ ، وَتَصْوِيرُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ . وَقِيلَ
 لِإِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : الْجَزَالَةُ
 وَالْأَصَالَةُ . قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ حَسَّانٍ : لَمْ يُفَسِّرْ أَحَدٌ
 الْبَلَاغَةَ تَفْسِيرَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ إِذْ قَالَ : الْبَلَاغَةُ لِمَعَانٍ
 تَجْرَى فِي وُجُوهِ كَثِيرَةٍ : فَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِشَارَةِ .
 وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْحَدِيثِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي

الِاسْتِمَاعَ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِحْتِجَاجِ . وَمِنْهَا
مَا يَكُونُ شِعْرًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ ابْتِدَاءً . وَمِنْهَا
مَا يَكُونُ جَوَابًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ سَجْعًا . وَمِنْهَا
مَا يَكُونُ خُطْبًا . وَمِنْهَا رُبَّمَا كَانَتْ رَسَائِلَ . فَعَايَةُ
هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْوَحْيُ فِيهَا ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْمَعْنَى أُبْلَغُ .
وَالْإِيحَازُ هُوَ الْبَلَاغَةُ . فَالْشُّكُوتُ يُسَمَّى بَلَاغَةً مَجَازًا ،
وَهُوَ فِي حَالَةٍ لَا يَنْجَعُ فِيهَا الْقَوْلُ ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا
إِقَامَةُ الْحُجَجِ . إِمَّا عِنْدَ جَاهِلٍ لَا يَفْهَمُ الْخُطَابَ .
أَوْ عِنْدَ وَضِيعٍ لَا يَرْهَبُ الْجَوَابَ . أَوْ ظَالِمٍ سَلِيطٍ
يَحْكُمُ بِالْهَوَى ، وَلَا يَرْتَدِعُ بِكَلِمَةِ التَّقْوَى . وَإِذَا
كَانَ الْكَلَامُ يَعْرِى مِنْ الْخَيْرِ ، أَوْ يَحْتَلِبُ الشَّرَّ ،
فَالشُّكُوتُ أَوْلَى . كَمَا قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

مَا كُلُّ نَاطِقٍ لَهُ جَوَابٌ

جَوَابُ مَا يُكْرَهُ السُّكُوتُ

وَرُبَّمَا كَانَ صَمْتُكَ فِي حَالٍ أَرْفَقَ مِنْ كَلَامِكَ ،

وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ قَوْلُهُمْ : كُلُّ صَامِتٍ نَاطِقٌ

مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ دَلَائِلَ الصَّنْعَةِ فِي جَمِيعِ

الْأَشْيَاءِ وَاضِحَةٌ . وَالْمَوْعِظَةُ فِيهَا قَائِمَةٌ . وَقَدْ قَالَ

الرَّقَاشِيُّ : سَلِ الْأَرْضَ ، مَنْ شَقَّ أَنْهَارُكَ ، وَغَرَسَ

أَشْجَارُكَ ، وَجَنَى ثِمَارُكَ ؟ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَارًا

أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا . وَقَوْلُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ : (رُبَّمَا كَانَتْ

الْبَلَاغَةُ بِالِاسْتِمَاعِ) . لِأَنَّ الْمُخَاطَبَ إِذَا لَمْ يُحْسِنْ

الِاسْتِمَاعَ لَمْ يَقِفْ عَلَى الْمَعْنَى الْمُؤَدَّى إِلَى الْخُطَابِ .

فَالِاسْتِمَاعُ الْحَسَنُ ، عَوْنٌ لِلْبَلِيغِ عَلَى إِفْهَامِ الْمَعْنَى .

وَقَدْ جَاءَ لِلْبَلَاغَةِ تَعْرِيفَاتٌ أُخِرُ مِنْهَا، قَوْلُ بَعْضِ
حُكَمَاءِ الْهِنْدِ: جَمَاعُ الْبَلَاغَةِ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ، وَالْمَعْرِفَةُ
بِمَوَاقِعِ الْفُرْصَةِ؛ وَمِنْ الْبَصَرِ بِالْحُجَّةِ، أَنْ تَدَعَ الْإِفْصَاحَ
بِهَا إِلَى الْكِنَايَةِ عَنْهَا، إِذَا كَانَ طَرِيقُ الْإِفْصَاحِ
وَعَرًّا، وَكَانَتِ الْكِنَايَةُ أَحْضَرَ نَفْعًا، قَالَ آخَرُ:
أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا يُؤْنِسُ مَسْمَعُهُ، وَيُؤْنِسُ مَصْنَعُهُ.
وَالْبَلِیْغُ مَنْ يَحْتَمِي مِنَ الْأَلْفَافِ أَنْوَارَهَا، وَمِنْ
الْمَعَانِي ثَمَارَهَا. لَيْسَتْ الْبَلَاغَةُ أَنْ يُطَالَ عِنَانُ الْقَلَمِ
أَوْ سِنَانُهُ. أَوْ يُنْسَطَ رَهَانُ الْقَوْلِ وَمِيدَانُهُ. بَلْ
هِيَ أَنْ يَبْلُغَ أَمَدَ الْمُرَادِ بِالْفَافِ أَغْيَانٍ، وَمَعَانٍ أَفْرَادٍ،
مِنْ حَيْثُ لَا تَزِيدُ عَلَى الْحَاجَةِ، وَلَا إِخْلَالٍ يُفْضِي
إِلَى الْفَاقَةِ. وَصَفَ بَعْضُهُمُ الْبَلَاغَةَ قَالَ: هِيَ مِيدَانُ

لَا يَقْطَعُ إِلَّا بِسَوَابِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسَلِّكُ إِلَّا
 بَبَصَائِرِ الْبَيَانِ . يَبْعَثُ صَاحِبَهَا بِالْكَلامِ . وَيَقْوِدُهُ
 بِاللَّيْنِ زِمَامٍ . حَتَّى كَأَنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَحَاشَدُ فِي التَّسَابُقِ
 إِلَى خَوَاطِرِهِ ، وَالْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي الْإِنْثِيَالِ عَلَى أَنْامِلِهِ ،
 كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِي :

تَغَايَرَ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ

حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَلُ

وَقِيلَ فِي بَلِيغٍ : فَلَانَ مَشْرِفِي الْمَشْرِقِ . وَصَيْرَفِي
 الْمَنْطِقِ . الْبَيَانُ أَصْغَرُ صِفَاتِهِ ، وَالْبَلَاغَةُ عَفْوُ خَطَرَاتِهِ .
 كَأَنَّهُ أُوحِيَ بِالتَّوْفِيقِ إِلَى صَدْرِهِ ، وَحُسْنِ الصَّوَابِ
 بَيْنَ طَبْعِهِ وَفِكْرِهِ . يَحْزُ مَفَاصِلَ الْكَلَامِ . وَيَسْبِقُ
 فِيهَا إِلَى دَرْكِ الْمَرَامِ . كَأَنَّمَا جَمَعَ الْكَلَامَ حَوْلَهُ ،

حَتَّى انْتَقَى مِنْهُ وَانْتَحَبَ ، وَتَنَاوَلَ مِنْهُ مَا طَلَبَ ،
 وَتَرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَذْنَابًا لَا رُؤُوسًا ، وَأَجْسَادًا لَا نُفُوسًا ،
 وَقِيلَ فِي آخَرِ : يَرْضَى بِعَفْوِ الطَّيْعِ ، وَيَقْنَعُ بِمَا
 خَفَّ عَلَى السَّمْعِ ، وَيُوجِزُ فَلَا يُخِلُّ ، وَيُطْنِبُ فَلَا
 يُمِلُّ ، فَلِلَّهِ فَلَانٌ أَخَذَ بِأَزِمَةِ الْقَوْلِ ، يَقُودُهَا كَيْفَ
 أَرَادَ ، وَيَجْذِبُهَا أَنَّى شَاءَ ، فَلَا تَعْصِيهِ بَيْنَ الصَّعْبِ
 وَالذَّلُولِ ، وَلَا تُسَلِّمُهُ عِنْدَ الْحُزُونِ وَالشُّهُولِ ، كَلَامُهُ
 يَشْتَدُّ مَرَّةً حَتَّى تَقُولَ : الصَّخْرُ الْأَمْلَسُ ، وَيَلِينُ
 تَارَةً حَتَّى تَقُولَ : الْمَاءُ أَوْ أَسْلَسُ . يَقُولُ : فَيَصُولُ ،
 وَيُجِيبُ فَيُصِيبُ ، وَيَكْتُبُ فَيُطَبِّقُ الْمُفْصِلَ ،
 وَيَنْسِقُ الدَّرَّ الْمُفْصَلَ ، وَيَرِدُ مَشَارِعَ الْكَلَامِ
 وَهِيَ صَافِيَةٌ لَمْ تُطْرَقْ ، وَجَامَّةٌ لَمْ تُرْتَقْ ، خَاطِرُهُ

الْبَرْقُ أَوْ أَسْرَعُ لَمْعًا ، وَالسَّيْفُ أَوْ أَحَدُ قَطْعًا ،
وَالْمَاءُ أَوْ أَسْلَسُ جَرِيًّا ، وَالْفَلَكَ أَوْ أَقَوْمٌ هَدِيًّا ،
يَسْهَلُ الْكَلَامُ عَلَى لَفْظِهِ ، وَتَزَاحِمُ الْمَعَانِي عَلَى
طَبْعِهِ ، فَيَتَنَاوَلُ الْمُرْمَى الْبَعِيدَ بِقَرِيبِ سَعْيِهِ ، وَيَسْتَنْبِطُ
الْمَشْرَعَ الْعَمِيقَ بِسِيرِ جَرِيهِ ، لِسَانُهُ يَفْلِقُ الصُّخُورَ ،
وَيُفِيضُ الْبُحُورَ ، خَطِيبٌ لَا تَنَالُهُ حُبْسَةٌ ، وَلَا تَرْتَنُّهُ
لُكْنَةٌ ، وَلَا تَحْجِيفُ بَيَانُهُ عَجْمَةٌ ، وَلَا تَعْتَرِضُ
لِسَانَهُ عُقْدَةٌ ، يُحْسِنُ السَّفَارَةَ ، وَيَسْتَوْفِي الْعِبَارَةَ ،
وَيُؤَدِّي الْأَلْفَاظَ ، وَيَسْتَغْرِقُ الْأَغْرَاضَ ، قَالَ حَتَّى قَالَ
الْكَلَامُ : لَوْ أَعْفَيْتَ ، وَكَتَبَ حَتَّى قَالَتِ الْأَقْلَامُ :
قَدْ أَحْفَيْتَ

ثُمَّ حَدَّثَنِي حَدِيثَ عَمْرِو بْنِ الْأَهْتَمِ ، وَالزُّبْرَقَانِ

ابنِ بَدْرٍ ، وَقَدْ وَفَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
 فَسَأَلَ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ عَنِ الزُّبْرِقَانِ ، فَقَالَ :
 « مُطَاعٌ فِي أَدْنَيْهِ ، شَدِيدُ الْعَارِضَةِ ، مَانِعٌ لِمَا
 وَرَاءَ ظَهْرِهِ » ، فَقَالَ الزُّبْرِقَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
 إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي ؛
 فَقَالَ عَمْرُو : أَمَّا وَاللَّهِ ، إِنَّهُ لَزَمِرُ الْمُرُوءَةِ ، ضَيِّقُ
 الْعَطَنِ ، أَتَمَقُّ الْوَالِدِ ، لَيْثِمُ الْخَالِ ؛ وَاللَّهِ ،
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا كَذَبْتُ فِي الْأُولَى ، وَلَقَدْ
 صَدَقْتُ فِي الْأُخْرَى ؛ وَلَكِنِّي رَجُلٌ رَضِيتُ ،
 فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَامَتُ ؛ وَسَخِطْتُ ، فَقُلْتُ
 أَقْبَحَ مَا وَجَدْتُ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » .

ثُمَّ اسْتَطْرَدَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، إِلَى ذِكْرِ فَقْهِ اللُّغَةِ ،
وَضَرُورَةِ تَعَلُّمِ النَّحْوِ ، وَالتَّعَمُّقِ فِيهِ ، وَالتَّفْهِيمِ لَهُ ،
وَحُسْنِ التَّبَصُّرِ فِي فُنُونِهِ ، وَأَنَّهُ لِلْكَلامِ كَمِلَاجِ
الطَّعَامِ ، وَلِلْكِتَابَةِ عِمَادٌ ، وَلِلتَّحْرِيرِ رِشَادٌ ،
وَلِلشَّعْرِ مُفَسِّرٌ ، وَلِلنَّثْرِ مَقْوَمٌ ، وَلِلرِّجَالِ مَرْوَةٌ
وَمَهَابَةٌ ، وَلِلْكِتَابِ جَاهٌ وَزُلْفَى ، وَلِلخُطْبَاءِ رَوْعَةٌ
وَاسْتِلَابٌ نَهَى ؛ رَاوِيًا قَوْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ : « مَا النَّاسُ
إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْعُلُومِ ، أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى إِقَامَةِ
الْحُكْمِ ، الَّتِي بِهَا يَتَحَاوَرُونَ الْكَلَامَ ، وَيَتَهَادَوْنَ
الْحُكْمَ ، وَيَسْتَخْرِجُونَ غَوَامِضَ الْعِلْمِ مِنْ مَخَابِئِهَا ،
وَيَجْمَعُونَ مَا تَفَرَّقَ مِنْهَا ؛ أَلَا إِنَّ الْكَلَامَ قَاضٍ
يَجْمَعُ بَيْنَ الْخُصُومِ ، وَضِيَاءٌ يَجْلُو الظَّلَامَ ؛ وَحَاجَةٌ

النَّاسِ إِلَى مَوَادِّهِ ، كَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَوَادِّ الْأَغْذِيَةِ ؛
 مُسْتَشْهِدًا بِالْكَثِيرِ فِي هَذَا الْبَابِ ، مِنْ مَنْظُومِ
 الشُّعْرَاءِ وَمَشْهُورِ الْكُتَّابِ ، وَمُشِيرًا إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ :
 اقْتَبَسِ النَّحْوَ ، وَلِعَمَّ الْمُقْتَبَسُ ،

وَالنَّحْوُ زَيْنٌ ، وَجَمَالٌ مُلْتَمَسٌ
 صَاحِبُهُ مُكْرَمٌ ، حَيْثُ جَلَسَ ،
 مَنْ فَاتَهُ ، فَقَدْ تَعَمَّى وَانْتَكَسَ
 كَأَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْعَمَى : خَرَسَ ،

سَتَانَ مَا بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْفَرَسِ
 وَقَدْ أَتَاكَ اللَّهُ لِشَيْخِنَا أَحْسَنَ مَثْوَاهُ ،
 فُرْصَةً ذَهَبِيَّةً لَمْ تُقْلِتْ مِنْ يَدِهِ الصَّنَاعَ ، وَحِكْمَتِهِ
 الْأَصِيلَةَ ، وَنَظَرَاتِهِ الْفَاحِصَةَ ، فَانْتَهَزَهَا أَبَدَعَ انْتِهَازِ ،

وَاتَّخَذَ مِنْهَا أَحْسَنَ أَدَاةٍ لِإِقْنَاعِ أَمْثَالِي مِنَ الشَّادِينَ
 بِالْأَدَبِ ، بِأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي بَلَاغَتِهَا وَسِحْرِهَا ،
 وَفُنُونِهَا ، وَطَلَاوَتِهَا وَفَرَاهَتِهَا ، تَرْجُحُ اللُّغَاتِ الْأَعْجَمِيَّةَ
 فِي تِلْكَ الْأَبْوَابِ جَمْعَاءَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكَرُ شَيْئًا
 عَنْ ذَلِكَ ، مِنْ حُجَجِ نَفْسِهِ ، وَبَرَاهِينِ عِلْمِهِ ،
 — سِوَى التَّقْدِيمَةِ — فِي صَمْتٍ وَسُكُونٍ ، وَهَوَادَةٍ
 وَاتِّئَادٍ ، فِي رِسَالَةِ أَبِي أَحْمَدَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِيِّ ، فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْأَدَبِ
 الْعَرَبِيِّ ، وَالْأَدَبِ الْأَعْجَمِيِّ قَالَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : كُنْتُ ذَكَرْتُ لَكَ
 — أَسْعَدَكَ اللَّهُ — إِكْثَارَ النَّاسِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ،
 فِي وَصْفِ الْبَلَاغَةِ ، وَتَضَرِيفِهِمُ الْقَوْلَ فِي أَقْسَامِهَا

وَأَنوَاعِهَا ، وَأَنَّهَا أَلْفَاظٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمَعَانِي « فَمِنْهَا »
 مَا يَكُونُ فِي النَّظْمِ « وَمِنْهَا » مَا يَكُونُ فِي النَّثْرِ
 وَيَكُونُ فِي الْمَكَاتِبَةِ وَالرَّسَائِلِ وَالْخُطَبِ وَالتَّشْبِيهَاتِ
 وَالْأَوْصَافِ ، وَفِي السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ،
 فَأَمَّا بِلَاغَةُ الشَّعْرِ ؛ فَعُدُوبَةُ الْأَلْفَاظِ ، وَتَقْرِيبُ
 الْمَعَانِي ، وَاتِّسَاقُ النَّظْمِ ، وَرَشَاقَةُ الْمَعْرِضِ .
 كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي

وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُسْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

وَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي وَصْفِ فَرَسِهِ وَالتَّشْبِيهِ

بِقَيْدِ الْأَوَابِدِ . وَقَوْلِ الْأَعْشَى :

فَهُمْ سَاكِتُونَ وَالْمَنِيَّةُ تَنْطِقُ

« وَمِنْهَا » مَا يَكُونُ بِإِصَابَةِ الْمَعْنَى وَقَرَعِ الْحُجَّةِ
وَكَشَفِ الْغَزْلِ ، وَالْأَصْلُ عِنْدَهُمْ فِيهَا أَنَّهَا أَلْفَاظُ
يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمَعَانِي ، فَأَحْسَنُهَا مَا يَزِيدُ فِي
كَشَفِ الْمَعْنَى مَعَ اخْتِصَارِهِ بِأَقَلِّ مَا يُمَكِّنُ
مِنَ الْعِبَارَةِ ، بِأَعَذَبِ الْأَلْفَاظِ وَأَخَفِّهَا عَلَى الْأَسْمَاعِ ،
وَأَقْرَبِهَا إِلَى الْقُلُوبِ الْفُصُولُ الْكِتَابِيَّةُ . ثُمَّ ذَكَرْتُ
لَكَ أَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ مَقْصُورَةً عَلَى أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ ،
وَلَا عَلَى مَلِكٍ دُونَ سُوقَةٍ ، وَلَا عَلَى لِسَانٍ دُونَ لِسَانٍ ،
بَلْ هِيَ مَقْسُومَةٌ عَلَى أَكْثَرِ الْأَلْسِنَةِ ، فَهُمْ فِيهَا
مُشْتَرِكُونَ ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي كَلَامِ الْيُونَانِيَّةِ ، وَكَلَامِ
الْعَجَمِ ، وَكَلَامِ الْهِنْدِ وَغَيْرِهِمْ ، وَلَكِنَّهَا فِي الْعَرَبِ
أَكْثَرُ ، لِكثَرَةِ تَصَرُّفِهَا فِي النَّثْرِ وَالنَّظْمِ ، وَالْخُطْبِ

وَالْكِتَابِ وَالسَّجْعِ ، وَالْمُزْدَوِجِ وَالرَّجَزِ . وَهُمْ أَيْضًا
مُتَفَاوِثُونَ فِيهَا ، فَقَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ بَلِيغًا وَلَا يَكُونُ
سَيِّدُهُ ، وَتَكُونُ الْأَمَّةُ بَلِيغَةً وَلَا تَكُونُ رَبَّتُهَا .
فَالْبَلَاغَةُ قَدْ تَكُونُ فِي أَغْرَابِ الْبَادِيَةِ دُونَ مُلُوكِهَا ،
وَقَدْ يُحْسِنُهَا الصَّبِيُّ وَالْمَرْأَةُ . وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الْبَلَاغَةَ مُشْتَرَكَةٌ : مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ ،
قَالَ : قِيلَ لِيُونَانِي : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : تَصَحِيحُ
الْأَنْسَامِ ، وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْفُرْسِ :
مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ .
وَقِيلَ لِهِنْدِيٍّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : وَضُوحُ الدَّلَالَةِ ،
وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ ، وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقِيلَ لِرُومِيٍّ :
مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَا فَهِمَتُهُ الْعَامَّةُ ، وَرَضِيَّتُهُ

الخاصة . قَالَ الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ : وَمِنْ عَجِيبِ مَا فِيهِ ،
وَبُعْدِ تَنَافِيهِ ، أَنْ يَأْتِيَ بِدَوِيٍّ أُمِّيٍّ جِلْفٍ جَافٍ ،
فَيَبْتَدِعَ بِفِكْرِهِ وَقَرِيحَتِهِ الْمَعْنَى الْبَدِيعَ ، وَالتَّشْبِيهَ
الْمُصِيبَ ، وَالسُّؤَالَ اللَّطِيفَ ، وَالْمَدْحَ الشَّرِيفَ ،
وَالغَزَلَ الرَّقِيقَ ، وَالْهَجَاءَ الْمُوجِعَ ، وَالذَّمَّ الْمُفْلِقَ
بِنَظْمٍ عَجِيبٍ ، وَقَوَافٍ مُنْتَظِمَةٍ ، وَأَوْزَانٍ تَامَةٍ ،
وَأَقْسَامٍ مُعْتَدِلَةٍ ، وَالْفَاطِظِ فَصِيحَةٍ عَذْبَةٍ ، يَشْتَهِي
سَامِعُهَا أَنْ يَحْفَظَهَا ، ثُمَّ يَشْتَهِي أَنْ يُحَاضِرَ أَهْلَ
الْمُرُوءَاتِ بِهَا ، مُتَمَثِّلًا أَوْ شَاكِرًا أَوْ عَاتِبًا ، أَوْ
مُهَنِّئًا أَوْ مُعْزِيًا ، فَلَا يَزْدَادُ عَلَى الدُّهُورِ إِلَّا نَضَارَةً
وَجِدَّةً ، وَيَكُونُ مَنْ خَلَا مِنْهَا نَاقِصَ الْأَدَبِ وَالْمَعْرِفَةِ .
كَقَوْلِ إِمْرِيٍّ الْقَيْسِ :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَأْبَسًا
لَدَى وَكَرْهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي
وَكَقَوْلِ الْحُطَيْئَةِ :

لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
ثُمَّ يَجْتَهِدُ الْعَارِفُ الْمُصِيبُ ، وَالْعَالِمُ الْأَدِيبُ ،
وَالرَّيِّضُ الْحَازِقُ ، أَنْ يُدْرِكَ شَأْؤَهُ ، فَلَا يَشُقُّ غُبَارُهُ
أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي
أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْعُشْبِيِّ . قَالَ : سُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنْ حَدِّ
الْبَلَاغَةِ فَقَالَ : التَّقَرُّبُ مِنْ مَعْنَى الْبُعْثَةِ ، وَالتَّبَاعُدُ
مِنْ حَشْوِ الْكَلَامِ ، وَالِدَّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ .

قَالَ الشَّيْخُ : وَأَكْثَرُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْبَلَاغَةِ ،
 أَنَّهَا الْإِخْتِصَارُ ، وَتَقْرِيبُ الْمَعَانِي بِالْأَلْفَاظِ الْقِصَارِ ،
 وَالِافْتِصَارُ عَلَى الْإِشَارَةِ إِلَى مَعَانِيهَا ، وَالِدَّلَالَةُ بِالْقَلِيلِ
 عَلَى الْكَثِيرِ ، وَقَدْ سُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ :
 لِمَحَّةٍ دَالَّةٌ . وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ فِي الْحَذْفِ
 وَالِاخْتِصَارِ ، وَكَذَلِكَ جَعَلَ امْرِئُ الْقَيْسِ ، إِحْضَارَ
 فَرَسِهِ ، وَسُرْعَةَ لِحَاقِهِ لِلصَّيْدِ ، وَأَنَّ الْأَوَابِدَ
 لَا تَطْمَعُ فِي التَّخْلُصِ مِنْهُ فَجَمَعَ هَذَا فِي قَوْلِهِ :
 قَيْدِ الْأَوَابِدِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

إِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ

فَفِي قَوْلِهِ عَلَى عِلَاتِهِ : مَا يَنْبُو عَنْ كُلِّ مَانِعٍ
 وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْأَعْشى :

فَهُمْ سَاكِتُونَ وَالْمَنِيَّةُ تَنْطِقُ
وَهَذَا يَكْثُرُ ، وَفِي مَا أوردناه بَلَاغٌ .

وَمِنْ ذَلِكَ ، أَيْضًا ، قَوْلُ الْحَجَّاجِ لِابْنِ الْقُرَيْبِ
وَكَانَ أَبْلَغَ النَّاسِ وَأَنْطَقَهُمْ فِي زَمَانِهِ ، فَأَرْسَلَهُ
الْحَجَّاجُ إِلَى هِنْدِ بِنْتِ الْمُهَلَّبِ وَقَالَ أبلغها طلاقها
بِكَلِمَتَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا ، فَذَهَبَ إِلَيْهَا وَقَالَ لَهَا :
كُنْتِ فَبِنْتِ ، فَعَرَفَتْ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَأَجَابَتْ
بِمَا يَقْرُبُ مِنْهُ ، وَقَالَتْ : مَا فَرِحْنَا بِهِ إِذْ كَانَ ،
وَلَا حَزِنَّا عَلَيْهِ إِذْ بَانَ ، وَهَذِهِ وَإِنْ زَادَتْ فِي
الْأَلْفَافِ ، فَقَدْ اسْتَوْفَتْ الْمَعْنَى ، وَقَرَعَتْ الْمُرَادَ
وَلِهَذَا وَقَعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى إِلَى كِتَابِهِ ، لِيَكُنْ
كَلَامُكُمْ فِي كِتَابِكُمْ ، مِثْلَ التَّوْقِيعِ ، يَحُضُّ بِذَلِكَ

عَلَى غَايَةِ الْحَذَفِ وَالِإِخْتِصَارِ « وَمِنْ هَذَا » أَنَّ الْمَأْمُونِ
أَمَرَ عَمْرُو بْنَ مَسْعَدَةَ الْكَاتِبَ ، أَنْ يَكْتُبَ لِرَجُلٍ
لَهُ بِهِ عِنَايَةٌ إِلَى بَعْضِ الْعُمَالِ بِقَضَاءِ حَقِّهِ ، وَأَنْ
يُخْتَصِرَ كِتَابَهُ مَا أَمْكَنَهُ ، حَتَّى تَكُونَ كِتَابَتُهُ
فِي سَطْرِ وَاحِدٍ بِلَا زِيَادَةٍ ، فَكُتِبَ عَمْرُو : كِتَابِي
إِلَيْكَ ، كِتَابُ وَاثِقٍ بِمَنْ كُتِبَ إِلَيْهِ ، مَعْنِي بِمَنْ
كُتِبَ لَهُ ، وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ الثَّقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ .
« وَمِنْ هَذَا » مَا كُتِبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
ابْنِ مَرْوَانَ ، إِلَى الْحَجَّاجِ وَقَدْ تَلَكَّا عَنْ بَيْعَتِهِ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَرَاكَ تُقَدِّمُ رَجُلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى ،
فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي ، فَاعْتَمِدْ عَلَى أَيَّتِهِمَا شِئْتَ وَالسَّلَامُ .
وَسَأَذْكُرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، صَدْرًا مِنَ الْفُصُولِ

الْمُخْتَارَةِ مِنْ غَيْرِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ، ثُمَّ أَذْكَرُ بَعْدَهُ
 صَدْرًا مِنَ الْفُصُولِ الْعَرَبِيَّةِ ، مِمَّا يَصْلُحُ لِلْمُذَاكِرَةِ ،
 وَيَبْعَثُ عَلَى النَّشَاطِ ، فَإِذَا قَرَأَهَا قَارِئٌ ، دَلَّتْ
 عَلَى أَنْفُسِهَا فِي الْإِيحَازِ وَالْحَذْفِ ، وَالْجَمْعِ لِلْمَعَانِي
 الْكَثِيرَةِ ، بِالْأَلْفَافِ الْقَلِيلَةِ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سُقْرَاطَ : دَلَّ الْجِسْمُ عَلَى صَانِعِهِ ،
 فَجَمَعَ بِثَلَاثِ لَفْظَاتٍ خِفَافٍ ، مَعَانِي كَثِيرَةً جَلِيلَةً
 الْقَدْرِ ، لِأَنَّ الْجِسْمَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ نَفْسَهُ ،
 وَأَنَّ لَهُ صَانِعًا حَكِيمًا ، كَمَا يَدُلُّ الْبِنَاءُ عَلَى الْبَانِي ،
 وَالْكِتَابُ عَلَى الْكَاتِبِ ، فَانْظُرْ كَمْ يَبَيِّنُ هَذَا وَيَبَيِّنُ
 مَا يُحْكِي عَنْ بَعْضِ مُلُوكِهِمْ أَنَّهُ سُئِلَ : مَا الَّذِي
 يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ ، وَتُثْبِتُ الْعِلْمَ بِالْغَيْبِ ؟ فَقَالَ :

إِنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ عِلْمًا ، فَهَوَّ
 يُصَرِّفُهُ وَيَحْوَطُهُ ، فَمَنْ كَانَ مُعْتَبَرًا بِالْجَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ ،
 فَلْيَنْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ ، فَيَعْلَمْ أَنَّ لَهَا بَارِئًا يُجْرِي فَلَكَهَا ،
 وَيُدَبِّرُ أَمْرَهَا ، وَمَنْ اعْتَبَرَ بِالصَّغِيرِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى
 حَبَّةِ الْخَرْدَلِ ، فَيَعْلَمْ أَنَّ لَهَا مُدَبِّرًا يُنْشِئُهَا وَيُرَكِّبُهَا ،
 وَيُقَدِّرُ لَهَا أَقْوَاتًا مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ ، وَيُوقِّتُ
 لَهَا زَمَانًا لِهَشْمِهَا ، وَأَمْرٍ النُّبُوَّةِ وَالْآيَاتِ وَمَا
 يَحْدُثُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ،
 ثُمَّ اجْتِمَاعِ الْعُلَمَاءِ وَالْجُهَّالِ ، وَالْمُهْتَدِينَ وَالضَّالِّينَ ،
 عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمِهِ ، وَاجْتِمَاعِ مَنْ شَكَّ
 فِي اللَّهِ وَكَذَّبَ بِهِ ، عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُحْدِثُوا أَنْفُسَهُمْ ،
 فَكُلُّ ذَلِكَ يَهْدِيكَ إِلَى اللَّهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَنْشَأَ

الْخَلْقَ وَدَبَّرَ هَذِهِ الْأُمُورَ . قَالَ الشَّيْخُ : وَهَذَا الْكَلَامُ
عَلَى طُولِهِ ، قَدْ انْتَضَمَ أَكْثَرُ مَعَانِيهِ ، فِي قَوْلِ
سُقْرَاطَ : دَلَّ الْجِسْمُ عَلَى صَانِعِهِ .

وَقَالَ الْإِسْكَندَرُ : وَعَظَمَكَ فِكْرُكَ ، وَأَرْشَدَكَ
عَقْلُكَ ، حِينَ حَيَّرَكَ سَمْعُكَ ، وَغَشَّكَ مَخْبَرُكَ ،
وَإِنَّ الْإِنْسَانَ بِاخْتِلَافِ الْمُسْمُوعِ يَتَحَيَّرُ ، وَيَضِلُّ
بِغِشِّ الْمُخْبِرِينَ ، وَيَسُومُهُمْ فِي مَا يُخْبِرُونَ بِهِ ،
فَيَمَيِّزُ لَهُ عَقْلُهُ الصَّوَابَ مِنَ الْخَطَا ، وَيُرْشِدُهُ
إِلَى الْحَقَائِقِ ، وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْخَيْرَةِ . وَقَالَ مُطَلَّبُ
الْعَرَائِي لِلْإِسْكَندَرِ : أَخْلَاكَ تَجْعَلُ الْعَدُوَّ صَدِيقًا ،
وَأَحْكَامَكَ تَجْعَلُ الصَّدِيقَ عَدُوًّا ، وَيَشْهَدُ لَكَ
عَدَمُ مِثْلِكَ فِي مَا كَانَ ، بِعَدَمِ مِثْلِكَ فِي مَا يَكُونُ .

قَالَ الشَّيْخُ : فَانْظُرِ الْآنَ ، كَمْ مَعْنَى حَسَنِ ، تَحْتَ
 هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ ، يَعْنِي أَنَّ حُسْنَ خُلُقِهِ ،
 يَرُدُّ عَدُوَّهُ إِلَى صَدَاقَتِهِ ، وَأَنَّ عَدْلَ حُكْمِهِ ،
 لَا يَفْرِقُ بَيْنَ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ ، وَأَنَّ عَدَمَ مِثْلِهِ فِي
 مَاضِي الدُّهُورِ ، قَدْ شَهِدَ بِأَنَّ مِثْلَهُ ، لَا يَكُونُ فِي
 مُسْتَقْبَلِ الْعُصُورِ ، وَهَذَا كَلَامٌ مَنْقُولٌ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ،
 وَلَعَلَّهُ بَلَغَتْهُ كَانَ أَفْصَحَ وَأَحْسَنَ . وَلَمَّا شَاوَرَ أَبُو مُسْلِمٍ
 بَعْضَ الْفُرْسِ فِي أَمْرِهِ ، قَالَ لَهُ : قُلْ مَا يُقْبَلُ ،
 وَخُذْ مَا يَسْهُلُ ، وَاعْمَلْ مَا يَحْمَلُ ، فَجَمَعَ لَهُ بِهَذِهِ
 الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ ، أَكْثَرَ مَعَانِي السِّيَاسَةِ . وَفِي
 مَا يُرْوَى : أَنَّ بَعْضَهُمْ رَأَى شَابًّا لَا أَدَبَ لَهُ ،
 وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ ذَهَبٍ ، فَقَالَ : حِمَارٌ عَلَيْهِ لِحَامٌ ذَهَبٍ

وَنَظَرَ إِلَى شَابٍّ أَتَمَّقَ ، قَاعِدٍ عَلَى حَجَرٍ ، فَقَالَ :
 هَذَا حَجَرٌ ، قَاعِدٌ عَلَى حَجَرٍ . وَقَالَ أَرِسْطَاطَالِسُ :
 الْحَاجَةُ إِلَى الْعَقْلِ ، أَفْبَحُ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَالِ .
 وَقَالَ غَيْرُهُ : مُحِبُّ الشَّرَفِ ، هُوَ الَّذِي يُتْعَبُ نَفْسُهُ ،
 بِالنَّظَرِ فِي الْعِلْمِ . وَقَالَ سُقْرَاطُ : اللَّذَّةُ خُنَاقٌ مِنْ
 عَسَلٍ ، وَرَأَى سُقْرَاطُ طَبِيبًا جَاهِلًا فَقَالَ : هَذَا
 مُسْتَحْتٌ يَعْنِي يَعْجَلُ بِمَنْ يُعَالِجُ إِلَى الْمَوْتِ . وَقِيلَ
 لِبَعْضِ تَلَامِيذِهِ : قَدْ مَاتَ أَسْتَادُكَ ، فَقَالَ : الْوَيْحُ
 لِي ، لَقَدْ ضَاعَ مِسْنُ عَقْلِي .

قَالَ الشَّيْخُ : وَهَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى فِي
 كَلَامِ الْعَجَمِ ، وَلَا سِيَّامَا عُلَمَائِهِمْ وَوُزَرَائِهِمْ ، الَّذِينَ
 أَخْرَجُوا كَلَامَهُمْ مَخْرَجَ التَّوْقِيعِ ^(١) . فَمِنْ ذَلِكَ

(١) التوقيع: الإيجاز. ومنها توقعات الخلفاء والأمراء من أوتوا حظاً من البلاغة

مَا يُحْكِي أَنَّ أُنُوشَرَوَانَ ، وَقَعَ إِلَى وُلَاةِ الْخُرَاجِ ،
 الْخُرَاجُ عَمُودُ الْمُلْكِ ، وَمَا اسْتُنْزَرَ بِمِثْلِ الْجَوْرِ ،
 وَلَا اسْتُنْزَرَ بِمِثْلِ الْعَدْلِ . وَقَعَ أَيْضًا فِي رُقْعَةٍ رَجُلٍ
 وَكِيلٍ لَهُ ، أَمْرُهُ بَيْنَاءٌ قَصْرِهِ فَأَخْرَهُ ، أَنْتَ مَا شِ
 وَالْأَيَّامُ رَاكِضَةٌ ، وَالْعَمَلُ بَاعٌ وَالْعِنَايَةُ فِثْرٌ .
 وَقَعَ أَيْضًا فِي رُقْعَةٍ قَهْرٍ مَانٍ لَهُ ، أَمْرُهُ بِتَقْدِيرِ بِنَاءٍ
 بِالْفَارِسِيَّةِ ، دُورُوزُ مَذُودٌ ، وَقَدْ اسْتَوْفَى هَذَا الْمَعْنَى ،
 مَا قِيلَ فِي الْعَرَبِيَّةِ فِي أَمْثَالِهَا ، مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ .
 قَالَ الشَّيْخُ : وَأَيَّاتُ الشُّعْرِ كَثُرَتْ أَمْثَالَ الْعَرَبِ ،
 وَزَادَتْ عَلَى أَمْثَالِ سَائِرِ الْأُمَمِ ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِ
 الْعَرَبِ الشُّعْرُ أَيْضًا عَلَى قَدِيمِ الْوَقْتِ ، فَلِلْفُرْسِ
 أَشْعَارٌ لَا تُضْبَطُ كَثَرَةً ، وَلِلْيُونَانِيِّينَ أَشْعَارٌ دُونَ

الفرس . وَكَانَ أَفْلَاطُونُ بَعْضَ مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ
وَيَقُولُ فِي ذِمِّهِ : إِنَّ الشَّاعِرَ مُصَوِّرٌ لِلسَّمْعِ ،
وَالْمَزُوقُ مُصَوِّرٌ لِلْبَصَرِ ، فَأَمَّا الْفَرَسُ ، فَبِى مَنْشُورِ
أَخْبَارِهِمْ ، وَذِكْرِ حُرُوبِهِمْ ، أَشْعَارُ كَانَتْ تُدَوِّنُ
وَتُخَلِّدُ فِي الْخَزَائِنِ ، الَّتِي كَانَتْ يُبَوِّتُ الْحِكْمَةُ ،
ثُمَّ دَرَسَ أَكْثَرُهَا ، مَعَ دَرَسِ كَلَامِهِمْ ، وَبَقِيَ مِنْ
أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، السَّوَائِرُ مِنَ الْأَمْثَالِ ، تَجَرَّى عَلَى
أَفْوَاهِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ . وَحَكَى أَبُو عُيَيْدَةَ فِي مَا حَكَى
عَنْهُ أَبُو حَاتِمٍ : أَنَّهُ أَوْصَلَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ
ابْنِ سَهْلٍ الْبَاهِلِيِّ ، أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ مِثْلٍ عَرَبِيٍّ ،
بَعْضُهَا فِي الْجُلُودِ ، وَبَعْضُهَا فِي الْقُطْنِيِّ ، وَبَعْضُهَا
فِي الْقِرْطَاسِ ، فَتَفَرَّدَتْ الْعَرَبُ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ

بِكثْرَةِ الْأَمْثَالِ . وَسَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ دُرَيْدٍ يَقُولُ :
اجْتَمَعَ فِي دِيْوَانِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ، وَهُوَ
رَجُلٌ مِنْ شُعْرَائِهِمْ ، أَلْفٌ مِثْلٌ لِلْعَرَبِ ، وَأَلْفٌ
مِثْلٌ لِلْعَجَمِ . فَمِنْ تَوْقِيعَاتِ الْعَجَمِ : تَوْقِيعُ
أَرْدَشِيرَ بْنِ بَابِكَ ، وَكَانَ أَهْلُ زَمَانِهِ قُحِطُوا ،
فَرَفَعُوا إِلَيْهِ قِصَّةً يَشْكُونَ ذَلِكَ ، فَوَقَعَ إِلَى صَاحِبِ
يَنْتِ الْمَالِ ، إِذَا قَحِطَ الْمَطَرُ ، جَادَتْ سَحَابُ الْمَلِكِ ،
فَفَرَّقَ فِيهِمْ مَا قَاتَهُمْ وَمَانَهُمْ . وَشَكِيَ مِثْلُ ذَلِكَ
إِلَى قُبَادَ بْنِ كَسْرَى ، فَوَقَعَ ، لِيَكُنْ مِنْ أَلْبَرِ
لِلرَّعِيَّةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، فَأَيُّ وَإِيَّاهُمْ فِي نَفْعِ ذَلِكَ
مُسْتَوُونَ . وَمَدَحَ رَجُلٌ مِنْ الْخَاصَّةِ ، كَسْرَى بْنَ قُبَادَ ،
بِمَدْحِ أَطْنَبَ فِيهِ وَأَسْهَبَ ، وَذَهَبَ كُلَّ مَذْهَبٍ ،

وَكَانَ الْمَدْحُ فِي رُقْعَةٍ ، فَوَقَعَ فِيهَا كَسْرَى :
 إِنِّي لِلْمَدْحِ مُسْتَصْغِرٌ ، لِعِلْمِي بِأَشْيَاءَ قَدْ مُدِحَتْ ،
 وَكَانَتْ بَأَن تَدْخُلُ مُحَقَّقَةً . وَوَقَعَ أَنْوَشَرَوَانُ فِي رُقْعَةٍ
 مُتَنَصِّحٍ . ثَمَرَاتُ النَّصَائِحِ ، شُكْرُ الْجَوَارِحِ ،
 وَخَرَجَ التَّوْقِيعُ إِلَى وَزِيرٍ لَهُ ، فَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ
 وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : قَدْ جَمَعْنَا إِلَى شُكْرِ اللِّسَانِ ،
 شُكْرَ الْيَدِ ، وَهُوَ الْبَذْلُ ، وَوَقَعَ كَسْرَى فِي رُقْعَةٍ
 رَجُلٍ ، سَأَلَهُ فِيهَا الثُّقَلَاءُ عَنْ صِنَاعَةٍ إِلَى صِنَاعَةٍ
 غَيْرِهَا ، وَكَانَتْ صِنَاعَتُهُ خَسِيسَةً ، فَاخْتَارَ صِنَاعَةً
 رَفِيعَةً ، فَوَقَعَ فِي رُقْعَتِهِ : أَنَا حَامِلٌ لِلرَّعِيَّةِ ، عَلَى
 لُزُومِ مَنْزِلَتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ ، وَلِنَفْسِي عَلَى مَا يَحْمِلُ
 عَلَى اللُّزُومِ لَهَا ، وَرَفَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ خَدَمِهِ رُقْعَةً ،

فِيهَا أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الْعَامَّةِ ، دَعَاهُ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ،
وَأَنَّهُ أَطْعَمَهُ طَعَامَ الْخَاصَّةِ ، وَسَقَاهُ شَرَابَهَا ، قَالَ :
فَرَأَيْتُ إِلَّا أَسْتُرَ هَذَا عَنِ الْمَلِكِ ، لِأَنَّهُ خَلَلَ فِي
الْمَمْلَكَةِ ، فَوَقَعَ فِي رُفْعَتِهِ ، قَدْ حَمَدْنَاكَ عَلَى نَصِيحَتِكَ ،
وَذَمَّمْنَا صَاحِبَكَ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ الْإِخْوَانَ .

وَمِنْ حَدِّ الْبَلَاغَةِ ، جَمْعُ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ ، فِي
الْأَلْفَافِ الْيَسِيرَةِ ، فَقَدْ سُئِلَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ ، فَقِيلَ
لَهُ : مَا لَنَا نَرَى فِي الْكَلَامِ الْقَلِيلِ عِدَّةَ مَعَانٍ ،
فَقَالَ : إِنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ أَوْعِيَّةٌ ، وَالْمَعَانِي أَمْتِعَةٌ ،
فَرُبَّمَا جُعِلَتْ ضُرُوبٌ مِنَ الْأَمْتِعَةِ فِي وِعَاءٍ وَاحِدٍ .
وَقَالَ أَبُو الْهَذِيلِ الْعَلَّافُ لِبَعْضِ مَنْ نَظَرَهُ : هَذَا
كَلَامٌ فَارِغٌ . وَأَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ ، قَالَ :

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ حَصْرٍ ، عَنْ سَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ ،
عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ مُعَاوِيَةُ لِصُحَّارِ الْعَبْدِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟
قَالَ : أَنْ تَقُولَ فَلَا تُبْطِئَ ، وَتُصِيبَ فَلَا تُخْطِئَ ،
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : كَذَا قُلْتَ يَا صُحَّارُ وَقَالَ : أَقْلِنِي
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الْبَلَاغَةُ إِلَّا تُبْطِئَ وَلَا تُخْطِئَ .
وَحَكِي عَنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، وَكَانَ قَرِيعَ دَهْرِهِ
بَلَاغَةً فِي الْمَكَاتِبَةِ ، وَجُودَةَ لِسَانٍ فِي الْمَخَاطَبَةِ ،
أَنَّهُ قَالَ : إِذَا كَانَ الْإِيحَازُ كَافِيًا ، كَانَ التَّطْوِيلُ
عِيًّا ، وَإِنْ كَانَ التَّطْوِيلُ وَاجِبًا ، كَانَ التَّقْصِيرُ
عَجْزًا . وَحَكِي الْمُفَضَّلُ قَالَ : قُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ :
مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ الْإِيحَازُ مِنْ غَيْرِ عَجْزٍ ، وَالْإِطْنَابُ
فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَوَصَفَ الْجَاهِظُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ

فَقَالَ : كَانَ لَا يَتَوَقَّفُ ، وَلَا يَسْتَدْعِي مَعْنَى مِنْ
بُعْدٍ . قَالُوا : وَالْبَلِيغُ الْكَامِلُ ، هُوَ الَّذِي تَكُونُ
الْأَلْفَاظُ عِنْدَهُ عَزِيزَةً ، وَالْمَعَانِي فِي نَفْسِهِ جَمَّةً كَثِيرَةً .
قَالُوا : وَمَحْصُورُ الْبَلَاغَةِ أَنَّ لَهَا ثَلَاثَ حَالَاتٍ ،
حَالًا يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الْمَعْنَى مِنْ أَجْلِهَا ، وَحَالًا
يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الْأَلْفَاظِ ، وَحَالًا مُرَكَّبَةً مِنَ الْأَلْفَاظِ
وَالْمَعْنَى ، وَهِيَ ذَاتُ الْبَلَاغَةِ الَّتِي تُخْتَصُّ بِاسْمِهَا ،
وَلِلْبَلَاغَةِ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبَ ، تُقْصَدُ فِي اسْتِعْمَالِهَا ، أَحَدُهَا
الْمُسَاوَاةُ ، وَهِيَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ كَالْقَالِبِ لِلْمَعْنَى ،
لَا يَفْضُلُ عَنْهُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ ، وَالثَّانِي الْإِشَارَةُ ،
وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مُشَارًا بِهِ إِلَى الْمَعْنَى بِاللَّمْحَةِ
الدَّالَّةِ ، وَالثَّالِثُ التَّبْدِيلُ ، وَهُوَ إِعَادَةُ الْأَلْفَاظِ

الْمُتَرَادِفَةَ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بِعَيْنِهِ ، حَتَّى يَظْهَرَ لِمَنْ
لَمْ يَفْهَمْهُ ، وَيَتَوَكَّدَ عِنْدَ مَنْ فَهَمَهُ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ
مِنْ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ ، مَوْطِنٌ يَلِيقُ بِهِ ، وَوَقْتُ
لَا يَصْلُحُ فِيهِ غَيْرُهُ ، وَسَازُكُرُ هَهُنَا صَدْرًا مِنْ
الْفُصُولِ الْقِصَارِ ، مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ، مِمَّا
يَتَضَمَّنُ الْفَقْرَ الْمُخْتَارَةَ ، وَالْمَعَانِي الْمَجْمُوعَةَ ، بِاللَّفْظِ
الْقَلِيلِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ
مَا يُحْسِنُهُ . وَأَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلَارِيُّ
قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي أَحْمَدَ ، يَحْكِي عَنْ أَبِيهِ
قَالَ : سَمِعْتُ عَمْرُو بْنَ بَحْرِ الْجَاهِظَ يَقُولُ : إِنَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ
قَالَ : سِتُّ كَلِمَاتٍ مَا سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَحَدٌ ، تُوزَنُ

كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهَا بِأَلْفِ كَلِمَةٍ ، قَالَ : فَكُنْتُ أَسْأَلُهُ
 عَنْهَا كَثِيرًا ، فَقَالَ لِي بَعْدَ مُدَّةٍ : الْأُولَى قَوْلُهُ :
 قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ . الثَّانِيَةُ : النَّاسُ
 أَعْدَاءُ لِمَا جَهِلُوا . الثَّالِثَةُ : لِسَانُكَ يَقْتَضِيكَ
 مَا عَوَّدْتَهُ . الرَّابِعَةُ : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَهُ .
 الْخَامِسَةُ : لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ . السَّادِسَةُ : الْمَرْءُ
 مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَمِنْهَا قَوْلُهُمْ : السَّفَرُ مِيزَانُ
 الْقَوْمِ ، وَالْعَرُوضُ مِيزَانُ الشَّعْرِ . وَقَوْلُ عُمَرَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَاجِرُوا وَلَا تَهْجُرُوا ، وَالسَّعِيدُ
 مَنْ وَعِظَ بِنَظَرِهِ . وَقَوْلُهُمْ : السَّعِيدُ مَنْ كَفَى .
 وَقَوْلُهُمْ : إِيَّاكَ وَمَا تَعْتَذِرُ مِنْهُ . وَقَوْلُهُمْ رَبِّ سَاعِ
 لِقَاعِدٍ . رَبِّ مَلُومٍ غَيْرُ مُلِيمٍ . رَبِّمَا قَتَلَ الْبَلِيعَ

لِسَانُهُ . الْعُيُونُ عُنْوَانُ الْقُلُوبِ . الْقُلُوبُ أَبْصَرُ
 مِنَ الْعُيُونِ . مَنْ ضَاقَ قَلْبُهُ اتَّسَعَ لِسَانُهُ . وَقَوْلُ
 الْأَعْرَابِيِّ : وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ حَضَرَ^(١) فَرَسِهِ
 فَقَالَ : يَحْضُرُ مَا وَجَدَ أَرْضًا . وَقَالَ آخَرُ : يَسْبِقُ
 الطَّرْفُ ، وَيَسْتَعْرِقُ الْوَصْفَ . أُعْجِبُ اللَّبَانَ^(٢) ، طَوْعُ
 الْعَيْنَانِ . كَأَنَّهُ مَوْجٌ يَمُورُ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حُدُورٍ .
 وَقَوْلُهُمْ : الْفِكْرَةُ مُحٌ^(٣) الْعَمَلِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ :
 إِنَّكَ لَمُحْسِنُ الْكُدِيَّةِ فَقَالَ : ذَاكَ عُنْوَانُ نِعْمَةٍ
 اللَّهُ عِنْدِي . وَقَوْلُهُمْ : حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ اسْتِمَاعِهِ .
 دَلَّ الشَّرُّ عَلَى نَفْسِهِ . الْبَادِي أَظْلَمُ . حِفْظُ الْمَوْجُودِ ،
 أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ الْمَفْقُودِ . مَنْ عَزَّ بَزَّ . سِرُّكَ مِنْ
 دَمِكَ غَنَمٌ سَالِمٌ . سُئِلَ رَجُلٌ رَكِبَ الْبَحْرَ عَنْ أَعْجَبِ

(١) الحضر : سرعة العدو (٢) اللبان : صدر الجواد .

(٣) مع العمل : روحه وخلاصته

مَا رَأَى ، فَقَالَ : سَلَامَتِي . بِشْرُ وَامِقٍ . لَا كَثُرُ
 مُنَافِقِي . الْمَلَقُ شُكْرُ الضَّعِيفِ . الصَّدِيقُ يَصْدُقُ ،
 وَالْعَدُوُّ يَتَمَلَّقُ . اقْضِ دِيُونَ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ بِاللِّسَانِ
 قَبْلَ فَقْدِ الْإِمْكَانِ . مَنْ وَاكَلَكَ فِي الرَّخَاءِ ،
 خَذَلَكَ فِي الْبَلَاءِ . عَجَبًا لِلْخَيْرِ الْمَمْدُوحِ الْمُتْرُوكِ ،
 وَالشَّرِّ الْمَذْمُومِ الْمَفْعُولِ . مَنْ نَمَّ إِلَيْكَ ، نَمَّ عَلَيْكَ ،
 مَنْ أَسَاءَ اسْتَوْحَشَ . سَاعَاتُ اللَّذَّةِ ، هِيَ سَاعَاتُ
 الْغَفْلَةِ . قَالَ الشَّيْخُ : هَذَا مِثْلُ قَوْلِ سُقْرَاطَ :
 اللَّذَّةُ خُنَاقٌ مِنْ عَسَلٍ ، عِنْدَ صَفْوِ الْعَيْشِ يَكْدُرُ .
 الْمُرِيبُ مُخِيفٌ . الْمَحْبُوبُ مَذْكُورٌ . مَنْ لَكَ
 بِأَخِيكَ كُلُّهُ . صَدِيقُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ ، وَعَدُوُّهُ جَهْلُهُ
 قَالَ الشَّيْخُ : وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ أَرِسْطَاطَالِيسَ : فِي

مَا يَرُدُّ عَلَى أَفْلَاطُونٍ ، إِنَّ كَانَ أَفْلَاطُونُ لَنَا صَدِيقًا ،
فَالْحَقُّ أَصْدَقُ لَنَا مِنْهُ .



فصول
كتانية
كَتَبَ بَعْضُهُمْ : قَلْبِي نَجِيٌّ ذِكْرِكَ ، وَلِسَانِي
خَادِمُ شُكْرِكَ . وَكَتَبَ آخَرُ : فَلَانُ أَذَلُّ مِنْ
شَاهِدِ زُورٍ عِنْدَ مَنْ شَهِدَ لَهُ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ :
الْعَقْلُ خَادِمُ الْجَهْلِ . وَقَالَ آخَرُ : الْإِسْتِطَالَةُ لِسَانُ
الْجَهَالَةِ ، وَكَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ فِي اسْتِرَادَةِ
الْعِمَارَاتِ ، خَرِيرُ الْمَاءِ ، لَحْنُ الْعِمَارَةِ . كَتَبَ
بَعْضُهُمْ إِلَى عَامِلٍ : اعْلَمْ أَنَّ النَّظَرَ إِذَا أَخْلَفَ لَكَ
أَخْلَفَ مِنْكَ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
وَقَدْ كَانَ جَرَى ذِكْرُ الْبَلَاغَةِ ، وَأَنَّ بَعْضَ وَلَدِهِ بَلِيغٌ ،

إِنِّي لَا كَرَهُ أَنْ يَطُولَ لِسَانُهُ ، فَاصِلًا عَنْ مِقْدَارِ
 عِلْمِهِ ، كَمَا أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مِقْدَارُ عِلْمِهِ ، فَاصِلًا
 عَنْ مِقْدَارِ لِسَانِهِ . وَقَالَ آخَرُ : فَضْلُ الْفِعَالِ عَلَى
 الْمَقَالِ مَكْرُمَةٌ ، وَفَضْلُ الْمَقَالِ عَلَى الْفِعَالِ خَدِيعَةٌ .
 وَقِيلَ لِأَبِي دَاوُدَ الْإِيَادِيُّ فِي بَنْتِهِ : أَهْنُهَا
 يَا أَبَا دَاوُدَ فَقَالَ : أَهْنُهَا بِكَرَامَتِي ، كَمَا أَكْرَمْتُهَا
 بِهَوَانِي . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : تَرَكُ الشُّكْرَ ،
 كُفِرُ النُّعْمَةِ . وَقَالَ آخَرُ : الشُّكْرُ نَسِيمُ النُّعْمَةِ .
 الْهَيْبَةُ خَيْبَةٌ ، وَالْحَيَاءُ حِرْمَانٌ . الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ
 الْمُؤْمِنِ . وَقَالَ إِسْحَاقُ يَوْمًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ :
 إِنِّي لِأَحِبُّكَ . فَقَالَ رَائِدُ ذَلِكَ مَعِيَ .

قَرَأْتُ فِي فَصْلِ لِسَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، نَحْنُ فِي

زَمَانٍ ، الْمَعْرُوفُ فِيهِ زَلَلٌ ، وَالصَّوَابُ فِيهِ خَطَلٌ ،
وَالْإِنْعَامُ مِثْلٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : قَدْ رَخَّصَتْ
الضَّرُورَةُ فِي الْإِلْحَاحِ ، أَرْجُو أَنْ تُحْسِنَ النَّظَرَ ،
كَمَا أَحْسَنْتُ الْإِنْتِظَارَ . وَكَتَبَ آخَرُ : الْعُذْرُ
وَاجِبٌ فَرَأَيْكَ فِيهِ . الْإِعْتَذَارُ خَيْرٌ مِنَ الْإِغْتِرَارِ .
حَكَى الصُّوْلِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي الْغَلَابِيُّ قَالَ :
سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى يَقُولُ : لِسَانُ الْحَالِ ، أَفْصَحُ
مِنْ لِسَانِ الشَّكْوَى .

وَكَتَبَ آخَرُ : اشْكُرْ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ ، وَأَنْعِمْ
عَلَى مَنْ شَكَرَكَ .

وَكَتَبَ آخَرُ : إِذَا كُنْتَ لَا تُؤْتَى مِنْ تَقْصِيرِ
كَرَمٍ ، وَكُنْتَ لَا أُوتَى مِنْ ضَعْفِ سَبَبٍ ، فَكَيْفَ

أَخَافُ مِنْكَ خَبِيَّةَ أَمَلٍ ، أَوْ عُدُولًا عَنِ اغْتِفَارِ
 زَلَلٍ ، أَوْ فُتُورًا عَنْ لَمٍّ شَعَثٍ ، وَإِصْلَاحِ خَلَلٍ .
 كَتَبَ آخِرُ : أَنَا أَسْأَلُ الَّذِي رَحِمَ الْعِبَادَ بِكَ ،
 عَلَى حِينِ افْتِقَارِهِمْ إِلَيْكَ ، أَنْ يَرْحَمَهُمْ مِنْ بَعْدِكَ ،
 فَلَا يُعِيدَهُمْ إِلَى الْمَكَارِهِ الَّتِي اسْتَنْقَذْتَهُمْ مِنْهَا
 بِيَدِكَ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ لِلْمَأْمُونِ فِي
 رَجُلٍ مُذْنِبٍ : هَبْهُ لِي . فَقَالَ : كَيْفَ لَا أَهْبُهُ
 لِمَنْ بِهِ قَدَرْتُ عَلَيْهِ . وَسَمِعْتُ جَحْظَةَ يَقُولُ :
 سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ يَقُولُ : الْقَلَمُ يَحُوكُ
 وَشَى الْمَمْلَكَةَ . وَنَظَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى
 خَطِّ بَعْضِ كُتَّابِهِ ، فَلَمْ يَرْضَهُ . فَقَالَ : نَحُوا
 هَذَا عَنْ مَرْتَبَةِ الدِّيَّانِ ، فَإِنَّهُ عَلِيلُ الْخَطِّ ،

وَلَا نَامَنُ أَنْ يُعْدِيَ غَيْرَهُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
 ابْنُ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيُّ : أَخْطُ لِسَانَ الْيَدِ . وَقَالَ
 يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : مَطْلُ الْغَرِيمِ ، أَحْسَنُ مِنْ مَطْلِ
 الْكَرِيمِ ، وَكَانَ يَحْيَى يَقُولُ : مِنْ حُقُوقِ النَّبْلِ ،
 أَنْ تَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ دُونَكَ ، وَتَتَصَدَّقَ عَلَى ضَعِيفِكَ ،
 وَتُنْصِفَ مَنْ هُوَ مِثْلَكَ ، وَتَتَنَبَّلَ عَلَى مَنْ هُوَ
 فَوْقَكَ ، وَكَانَ يَحْيَى إِذَا أَكَلَ وَقَدْ لَعِقَ يَدُهُ قَالَ :
 يَا غُلَامَانُ رُدُّوَا عَلَيْنَا أَيْدِينَا . تَمَّتِ الرِّسَالَةُ .

وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالنَّعْمَةُ وَالْفَضْلُ ، وَلَهُ الشَّانُ الْحَسَنُ
 الْجَمِيلُ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ ، وَالسَّلَامُ .

وَلَمَّا كُنْتُ لَا أَشْكُ فِي مُتَقَدِّمِيكَ ، وَصَادِقِ

رَغْبَتِكَ ، وَخَالِصِ حُبِّكَ ، فِي الْوُقُوفِ عَلَى تِلْكَ
 النَّاحِيَةِ الْهَامَّةِ ، فِي الْأَدَبِ عَامَّةً ، الْمُتَمِّمَةِ لِصَرْحِهِ
 وَبَنَائِهِ ، وَالَّتِي لَا أَكْتُمُكَ الْقَوْلَ بِأَنَّهَا بِمَثَابَةِ
 الْمَشْكَاتِ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهَا ، وَالْمَنَارَةِ يُهْتَدَى بِضَوْئِهَا ،
 وَيُسْتَرْشَدُ بِسَنَى نُورِهَا ، — تِلْكَ هِيَ عُلُومُ النَّقْدِ ،
 وَمَعْرِفَةُ نُهْورِ الْكَلَامِ . وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ صَحِيحِهِ وَزَيْفِهِ ،
 وَخَالِصِهِ وَكَاذِبِهِ ، وَغُثِّهِ وَسَمِينِهِ ، لِتَخْرُجَ مِنْهَا إِنْ
 مَلَكَتْ أَرِزْمَتَهَا ، وَتَبَصَّرْتَ فِي مَنَاحِيهَا ، وَأَنْتَ
 الصَّيْقَلُ الْمَاهِرُ ، وَالسَّمِيدُ^(١) الْقَادِرُ ، فَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ
 نُشِيرَ لَكَ فِي مُطَالَعَةِ رِسَالَةِ النَّقْدِ وَمُخْتَارَاتٍ مِنْ
 الْخُطَبِ ، لَتُمْسِكَ مِنْهُمَا بِطَرَفٍ غَيْرِ قَلِيلٍ ، مِنْ

(١) السمين: السيد الكريم السخي الموطأ الأكناف

عُلُومِ الْقَوْمِ فِي هَذَا الْبَابِ ، الَّذِي تَطَوَّرَ آخِرًا
 فِي الْعُلُومِ الْأُورُوبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ ، إِلَى أَنْ أَصْبَحَ لُبَابُ
 الْأَدَابِ وَقَائِدُهَا ، وَحَامِيهَا ، وَشَادِيهَا ، وَمُحَرِّكُهَا
 وَمُغْذِيهَا ، بِمَنْهِ وَقُوَّتِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : رَبِّ أَعِنْ بِرَحْمَتِكَ
 قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ شَرَفٍ الْقَيَّرَوَانِيُّ^(١) :
 هَذِهِ أَحَادِيثُ - صَنَعْتُهَا - مُخْتَلِفَةُ الْأَنْوَاعِ . مُؤْتَلَفَةٌ
 فِي الْأَسْمَاعِ . عَرِيَّاتُ الْمَوَاشِمِ . غَرِيَّاتُ التَّرَاجِمِ .
 وَاخْتَلَقْتُ^(٢) فِيهَا أَخْبَارًا فَصِيحَاتٍ^(٣) الْكَلَامِ .

(١) راجع رسائل البلغاء صفحة ٢٤١ (٢) اختلقت : ابتدعت
 وابتكرت . (٣) فصيحَات : جمع الفصيحة . وهي مؤنث الفصيح وتجمع
 على فصاح وفصائح . والفصيح : يجمع على فصحاء . وفصاح . وفصح :
 والفصيح ذو الفصاحة . والفصاحة مصدر . بمعنى الظهور والبيان

بَدِيعَاتٍ^(١) النَّظَامِ . لَهَا مَقَاصِدُ ظِرَافٍ^(٢) . وَأَسَانِيدُ
 ظِرَافٍ^(٣) . يَرُوقُ الصَّغِيرَ مَعْنَاهَا . وَالْكَبِيرَ مَغْزَاهَا .
 وَعَزَوْتَهَا^(٤) إِلَى أَبِي الرَّيَّانِ الصَّلْتِ بْنِ السَّكَنِ مِنْ
 سَلَامَانَ^(٥) . وَكَانَ شَيْخًا هُمًّا فِي اللِّسَانِ . وَبَدْرًا تِمًّا
 فِي الْبَيَانِ . قَدْ بَقِيَ أَحْقَابًا^(٦) . وَلَقِيَ أَعْقَابًا^(٧) .
 ثُمَّ أَلْقَتْهُ إِلَيْنَا مِنْ بَادِيَتِهِ الْأَزْمَاتِ^(٨) . وَأَوْرَدَتْهُ
 عَلَيْنَا الْعَزَمَاتِ^(٩) . فَامْتَحَنَّا مِنْ عِلْمِهِ بَحْرًا جَارِيًا .
 وَقَدَحْنَا مِنْ فَهْمِهِ زَنْدًا وَارِيًا . وَأَدْرَنَّا^(١٠) مِنْ بَرِّهِ

(١) بديعات : عجيبات (٢) ظراف : حسنة . (٣) طراف :
 جمع طريف . وهو الغريب النادر (٤) عزوتها : نسبتها (٥) سلامان :
 ماء لبني شيبان على طريق مكة الى العراق . وبه مات نوفل بن عبد مناف
 (٦) أحقاباً جمع حقب : وهو الدهر أو السنة (٧) أعقاباً : عقبات
 (٨) الأزمات : جمع أزمة . وهي الشدة والقحط (٩) العزمات جمع عزمة .
 والعزمة : المهمة والنشاط (١٠) أدرنا : أمطرنا

طَرَفًا^(١) . وَاجْتَنَيْنَا مِنْ ثَمَرِهِ طَرَفًا . وَنَحْنُ إِذْ
 ذَاكَ وَالشَّبَابُ مُقْتَبِلُ^(٢) . وَغَفْلَةُ الزَّمَانِ تُهْتَبِلُ^(٣) .
 وَاحْتَذَيْتُ فِيمَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ . وَوَقَعَ تَعْرِيفِي
 عَلَيْهِ . مِنْ بَثِّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَا رَأَيْتُ الْأَوَائِلَ
 قَدْ وَضَعَتْهُ فِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدِئْنَةِ ، فَأَضَافُوا
 حِكْمَهُ إِلَى الطَّيْرِ الْخَوَائِمِ^(٤) . وَنَطَقُوا بِهِ عَلَى
 أَلْسِنَةِ الْوَحْشِ وَالْبَهَائِمِ . لِيَتَعَلَّقَ بِهِ شَهَوَاتُ
 الْأَحْدَاثِ^(٥) . وَتَسْتَعْذِبَ بِسَمَرِهِ^(٦) الْفَاطُ الْخِدَاثِ^(٧) .

(١) طرفاً : قسماً (٢) مقتبل : لم يظهر فيه أثر الكبر أى في
 غضارته (٣) تهتبل : تفتنم (٤) الخوائم : جمع حائمة : والحائمة
 مؤنث الحائم : وهو العطشان . والجمع حوم (٥) الأحداث : جمع
 حدث . وهو الفتى (٦) السمر الحديث في الليل (٧) الخداث :
 الجديد . وهو ضد القديم

وَقَدْ نَحَا^(١) بِذَا النَّحْوِ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ الْكَاتِبُ
 فِي تَأْلِيْفِهِ كِتَابَ النَّمْرِ وَالتَّغْلِبِ . وَهُوَ مَشْهُورٌ
 الْحِكَايَاتِ . بَدِيعُ الْمُرَاسَلَاتِ . مَلِيحُ الْمَكَاتِبَاتِ .
 وَزَوَّرَ أَيْضًا بَدِيعُ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيُّ ، وَهُوَ الْأُسْتَاذُ
 أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، مَقَامَاتٍ كَانَ يُنْسِبُهَا
 بَدِيْهَا^(٢) فِي أَوَاخِرِ مَجَالِسِهِ ، وَيُنْسِبُهَا إِلَى رَاوِيَةٍ^(٣)
 رَوَاهَا لَهُ يُسَمِّيهِ « عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ » . وَزَعَمَ
 أَنَّهُ حَدَّثَهُ بِهَا عَنْ بَلِيغٍ يُسَمِّيهِ « أَبَا الْفَتْحِ
 الْإِسْكَنْدَرِيِّ » ، وَعَدَدَهَا فِيْمَا يَزْعُمُ رُؤَاثَهَا ،
 عِشْرُونَ مَقَامَةً ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَصِلْ هَذِهِ الْعِدَّةُ

(١) نحَا : قصد (٢) بديها : أى من دون توقف ولا تفكر

(٣) راوية : كثير الرواية

إِلَيْنَا ، وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ مَعَانِيَ مُخْتَلِفَةً . وَمَبْنِيَّةٌ عَلَى
 مَعَانِيَ شَتَّى غَيْرِ مُؤْتَلِفَةٍ ، لِيَنْتَفِعَ بِهَا مِنَ الْكِتَابِ
 وَالْمُحَاضِرِينَ ، مَنْ صَرَفَهَا مِنْ هَزَلٍ إِلَى جِدِّ .
 وَمِنْ نِدٍّ إِلَى صِدِّ . فَأَقَمْتُ مِنْ هَذَا النَّحْوِ ،
 عَشْرِينَ حَدِيثًا ، أَرْجُو أَنْ يُتَبَيَّنَ فَضْلُهَا . وَلَا
 تَقْصُرَ عَمَّا قَبْلَهَا . وَلَعَمْرِي مَا أَشْكُرُ مِنْ نَفْسِي .
 وَلَا أَثْنِي عَلَى شَيْءٍ مِنْ حِسِّي . إِلَّا ظَفَرِي بِالْأَقْلِّ
 مِمَّا حَاوَلْتُهُ ، عَلَى مَا أَضْرَمْتَهُ^(١) نِيرَانُ الْعُرْبَةِ مِنْ
 قَلْبِي . وَثَامَتَهُ^(٢) صَعَقَاتُ الْفِشْنَةِ مِنْ لُبِّي . وَقَطَعْتُ
 أَهْوَالَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ خَوَاطِرِي . وَأَضْعَفْتُ
 الْوَحْشَةَ وَالْوَحْدَةَ مِنْ غَرَائِرِي وَبَصَائِرِي . لَكِنَّ

(١) أضرمته : أشعلته (٢) ثلمته : كسرتة وخذشته

نِيَّةَ الْقَاصِدِ وَسَعَةَ الْمُقْصُودِ . أَعَانَا ذَا الْوُدِّ عَلَى
 إِتْحَافِ الْمُؤَدُّودِ . وَاللَّهِ أَسْأَلُ تَوْفِيقًا يَنْهَجُ^(١) لَنَا
 إِلَى الرُّشْدِ طَرِيقًا .
 فَمِنْهَا :

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَجَارَيْتُ أَبَا الرَّيَّانِ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ
 وَمَنَازِلِهِمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ . وَاسْتَكْشَفْتُهُ
 عَنْ مَذْهَبِهِ فِيهِمْ ، وَمَذَاهِبِ طَبَقَتِهِ ، فِي قَدِيمِهِمْ
 وَحَدِيثِهِمْ ، فَقَالَ : الشُّعْرَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الْإِخْصَاءِ ،
 وَأَشْعَارُهُمْ أَبْعَدُ مِنْ شُقَّةٍ^(٢) الْإِسْتِقْصَاءِ^(٣) . فَقُلْتُ :
 لَا أَعْتَبُكَ^(٤) بِأَكْثَرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ . وَلَا أَذَاكَ^(٥)

(١) ينهج : يوضح وبين . (٢) شُقَّة : ناحية

(٣) الاستقصاء : التبع والاستقراء (٤) لا اعتبك : استرضاه
 وفي النسخة التونسية لا اعتنك وهو الأظهر والأولى . والاعتبات : الاتعاب

(٥) أذاكرك : أخوض معك في الحديث

إِلَّا فِي الْمَذْكُورِينَ مِثْلَ الضَّلِيلِ^(١) . وَالْقَتِيلِ .
وَلَبِيدٍ^(٢) وَعَبِيدٍ^(٣) . وَالنَّوَابِغِ^(٤) وَالْعُشُوءِ^(٥) وَالْأَسْوَدِ
ابْنِ يَعْفَرَ . وَصَخْرٍ الْغَيِّ وَابْنِ الصَّمَّةِ دُرَيْدٍ . وَالرَّاعِي
عُبَيْدٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ . وَعَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ . وَالْفَرَزْدَقِ
وَجَرِيرٍ . وَجَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ وَكَثِيرٍ . وَابْنِ جَنْدَلٍ .
وَابْنِ مُقْبِلٍ . وَجَزُولٍ . وَالْأَخْطَلِ . وَحَسَّانَ فِي
هَجَائِهِ وَمَدَحِهِ . وَغَيْلَانَ فِي مِيتِهِ^(٦) وَصَيْدَحِهِ^(٧) .
وَالْهُذَلِيِّ أَبِي ذُوَيْبٍ وَسُحَيْمٍ وَنُصَيْبٍ . وَابْنِ حِلْزَةَ
الْوَاهِلِيِّ . وَابْنِ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِيِّ . وَعَنْتَرَةَ الْعَبْسِيِّ .

(١) الضليل امرؤ القيس (٢) لبيد العامري عاش ستين سنة في الجاهلية
ومثلها في الاسلام (٣) وعبيد بن الأبرص شاعر جاهلي (٤) النوابيع
جمع نابغة يريد النابغة الذبياني والجمعي (٥) العشوء جمع أعشى : وهو
الذي لا يبصر ليلا . ويريد الأعشى الصغير والأعشى الكبير (٦) ميته :
سكوته (٧) صيدحه : صياحه

وَزُهَيْرِ الْمُزْنِيِّ . وَشُعْرَاءِ فَرَازَةَ . وَمُفْلِحِ بْنِ زُرَّارَةَ
 وَشُعْرَاءِ تَغْلِبَ ، وَيَثْرِبَ . وَأُمَثَالِ هَذَا النَّمَطِ
 الْأَوْسَطِ كَالرَّمَّاحِ . وَالطَّرِمَّاحِ . وَالطَّيْرِيِّ وَالذُّمَيْنِيِّ .
 وَالْكُمَيْتِ الْأَسَدِيِّ . وَحُمَيْدِ الْهَلَالِيِّ . وَبَشَّارِ
 الْعَقِيلِيِّ . وَابْنِ أَبِي حَفْصَةَ الْأُمَوِيِّ . وَوَالِيبَةَ الْأَسَدِيِّ .
 وَابْنَ جَبَلَةَ الْحَلَمِيِّ . وَأَبِي نُوَّاسٍ الْحَكَمِيِّ . وَصَرِيحِ
 الْأَنْصَارِيِّ . وَدِعْبِلِ الْخَزَاعِيِّ . وَابْنِ الْجَنِّهِمِ الْقُرَشِيِّ .
 وَحَبِيبِ الطَّائِيِّ . وَالْوَلِيدِ الْبُحْتَرِيِّ . وَابْنَ الْمُعْتَزِّ
 الْعَبَّاسِيِّ . وَعَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّوْمِيِّ . وَابْنَ رَغْبَانَ
 الْحُمْصِيِّ . وَمِنْ الطَّبَقَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ فِي الزَّمَانِ .
 الْمُتَقَدِّمَةِ فِي الْإِحْسَانِ . كَأَبِي فِرَاسِ بْنِ حَمْدَانَ .
 وَالْمُسْتَنبِيِّ بْنِ عَبْدِانَ . وَابْنَ جِدَارِ الْمِصْرِيِّ . وَابْنَ

الْأَحْنَفِ الْحَنْفِيُّ . وَكُشَاجِمَ الْفَارِسِيِّ . وَالصَّنَوْبَرِيِّ
 الْحَلِيِّ . وَلَنْصَرَ الْخُبَرِيِّ^(١) . وَابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيِّ .
 وَابْنَ هَانِيٍّ الْأَنْدَلُسِيِّ . وَعَلِيَّ بْنَ عَبَّاسٍ الْإِيَادِيَّ
 التُّونِسِيِّ . وَالْقَسْطَلِيَّ . قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : لَقَدْ سَمِيتَ
 مَشَاهِيرَ . وَأَبْقَيْتَ الْكَثِيرَ . قُلْتُ بَلَى : وَلَكِنْ
 مَا عِنْدَكَ فِيمَنْ ذَكَرْتُ ؟ قَالَ : أَمَّا الضَّلِيلُ ،
 فَمَوْسَسُ الْأَسَاسِ ، وَبُنْيَانُهُ عَلَيْهِ النَّاسُ . كَانُوا
 يَقُولُونَ : أَسِيلَةٌ^(٢) أَخَذْتُ حَتَّى قَالَ أَسِيلَةٌ مَجْرَى الدَّمْعِ .
 وَكَانُوا يَقُولُونَ : تَامَّةُ الْقَامَةِ ، وَطَوِيلَةُ الْقَامَةِ ،
 وَجَيْدَاءُ^(٣) ، وَتَامَّةُ الْعُنُقِ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا ، حَتَّى قَالَ :

(١) في بعض النسخ الخبزي . ويروى أيضاً الخبز أزرى وهو أبو
 القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن ميمون الشاعر البصري المتوفى سنة ٣١٠ هـ
 (٢) أسيلة الحد : ناعمة (٣) جيداء : طويلة الجيد أى العنق

بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي الْفَرَسِ السَّابِقِ:
يَلْحَقُ الْغَزَالَ وَالظَّلِيمَ^(١) وَشِبْهَهُ، حَتَّى قَالَ: قَيْدُ
الْأَوَابِدِ^(٢)، وَمِثْلُ هَذَا لَهُ كَثِيرٌ. وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ
مَنْ فَطِنَ لِهَذِهِ الْإِشَارَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ غَيْرُهُ،
فَامْتَثَلُوهُ بَعْدَهُ. وَكَانَتْ الْأَشْعَارُ قَبْلُ سَوَاضِجَ^(٣)،
فَبَقِيَتْ هَذِهِ جُدَدًا وَتِلْكَ نَوَاهِجَ^(٤)، وَكُلُّ شِعْرِ بَعْدُ
مَا خَلَاهَا فَغَيْرُ رَائِقِ النَّسِجِ. وَإِنْ كَانَ صَحِيحَ التَّهْنِجِ،
وَأَمَّا طَرَفَةٌ، فَلَوْ طَالَ عُمرُهُ. لَطَالَ شِعْرُهُ، وَعَلَا
ذِكْرُهُ، وَلَقَدْ خُصَّ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ مِنَ الشَّعْرِ. عَلَى
أَيْسَرِ نَصِيبٍ مِنَ الْعُمْرِ. فَكَلَّا أَرْجَاءَ^(٥) ذَلِكَ النَّصِيبِ

(١) الظليم : ذكر النعام (٢) الاوابد : الشوارد من الوحش

(٣) سواذج : على الفطرة . (٤) نواهج : بالية .

(٥) الارجاء : النواحي

بِصُنُوفٍ مِنَ الْحِكْمَةِ . وَأَوْصَافٍ مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ ،
وَالطَّبَعِ مُعَلِّمٌ حَازِقٌ^(١) وَجَوَادٌ سَابِقٌ .

وَأَمَّا الشَّيْخُ أَبُو عَقِيلٍ : فَشِعْرُهُ يَنْطِقُ بِلِسَانِ
الْجُزْأَةِ^(٢) . عَنْ جَنَانِ الْأَصَالَةِ^(٣) فَلَا تَسْمَعُ لَهُ
إِلَّا كَلَامًا فَصِيحًا . وَمَعْنَى مُبِينًا صَرِيحًا . وَإِنْ كَانَ
شَيْخَ الْوَقَارِ . وَالشَّرَفِ وَالْفَخَارِ لِبَادِيَاتٍ فِي شِعْرِهِ
وَهِيَ دَلَالُهُ ، قَبْلَ أَنْ يُعْلَمَ قَائِلُهُ . وَأَمَّا الْعَبْسِيُّ^(٤) :
فَمُجِيدٌ فِي أَشْعَارِهِ . وَلَا كَمُعَلَّقَتِهِ ، فَقَدْ انْفَرَدَ بِهَا
انْفِرَادَ سُهَيْلٍ^(٥) وَغَبَرٍ^(٦) فِي وُجُوهِ الْخَيْلِ وَجَمَعَ فِيهَا
بَيْنَ الْحُلَاوَةِ وَالْجُزْأَةِ . وَرِقَّةَ الْغَزَلِ وَغِلْظَةَ الْبَسَالَةِ .

(١) حاذق : ماهر متقن (٢) الجزالة : الفصاحة (٣) الاصاله :

جودة الرأي والثبات (٤) العبسي : هو غنتر بن شداد وله معلقة مشهورة

(٥) سهيل : اسم نجم (٦) غبر : أثار الغبار

وَأَطَالَ وَاسْتَطَالَ . وَأَمِنَ السَّامَةَ^(١) وَالْكَلالَ^(٢) .
وَأَمَّا زُهَيْرٌ : فَأَيُّ زُهَيْرٍ . يَبْنِي لَهَوَاتٍ زُهَيْرٍ .
حِكْمُ فَارِسٍ^(٣) . وَمَقَامَاتُ الْفَوَارِسِ . وَمَوَاعِظُ
الزُّهَادِ ، وَمُعْتَبَرَاتُ الْعِبَادِ . وَمَدْحُ يُكْسِبُ الْفَخَارَ .
وَيَبْقَى بَقَاءَ الْأَعْصَارِ^(٤) . وَمُعَاتَبَاتٌ ، مَرَّةً تَحْسُنُ .
وَمَرَّةً تَخْسُنُ . وَتَارَةً تَكُونُ هَجْوَاً^(٥) . وَطَوْرًا
تَكَادُ تَعُودُ شُكْرًا . وَأَمَّا ابْنُ حِلْزَةِ : فَسَهْلُ
الْحَزُونِ^(٦) . قَامَ خَطِيبًا بِالْمَوْزُونِ . وَالْعَادَةُ أَنْ

(١) السَّامَةُ : الملل والضجر (٢) الكلال العي والتعب

(٣) مثل قوله :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

(٤) مثل قوله في هرم بن سنان :

إن تلق يوماً على علاته هرمًا تلق السباحة فيه والندى خلقاً

(٥) الهجو : الذم (٦) الحزون : جمع حزن . وهو ما غلظ

من الأرض

يَسْهَلُ شَرْحُ الشَّعْرِ بِالنَّثْرِ . وَهَذَا أَسْهَلُ السَّهْلِ
بِالْوَعْرِ^(١) . وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ :

أَبْرَمُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا

أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ^(٢)

مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُحِيبٍ وَمِنْ تَصَ

هَالٍ خَيْلٍ خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءُ^(٣)

فَلَوْ اجْتَمَعَ كُلُّ خَطِيبٍ نَاثِرٍ . مِنْ أَوَّلٍ
وَأَخِيرٍ . يَصِفُونَ سَفْرًا^(٤) نَهَضُوا بِالْأَسْحَارِ^(٥) .

وَعَسْكَرًا تُنَادِي بِالنُّهُوضِ إِلَى طَلَبِ النَّارِ : مَا زَادُوا

(١) الوعر : الصعب (٢) الضوضاء : الجلبة . واختلاط الاصوات

(٣) الرغاء : صوت البعير وضجيجيه . (٤) السفر : القوم

المسافرون . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام « أنا قوم سفر »

(٥) الاسحار جمع سحر : وهو آخر الليل . ومنه قوله تعالى

« وبالاسحار هم يستغفرون » .

عَلَى هَذَا ، إِنْ لَمْ يَنْقُصُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يَقْصُرُوا عَنْهُ ،
 وَسَائِرُ قَصِيدَتِهِ فِي هَذَا السُّلْكِ ، شِكَايَةُ وَطِلَابُ
 نَصْفَةِ^(١) : وَعِتَابُ فِي عِزَّةٍ وَأَنْفَةٍ^(٢) : وَهُوَ مِنْ
 شُعْرَاءِ وَائِلٍ ، وَأَحَدُ أَسِنَّةٍ^(٣) هَاتِيكَ الْقَبَائِلِ .
 وَأَمَّا ابْنُ كُلْثُومٍ : فَصَاحِبُ وَاحِدَةٍ بِلَا زِيَادَةٍ ،
 أَنْطَقَهُ بِهَا عِزُّ الظَّفَرِ ؛ وَهَزَّهَ فِيهَا جِنْ^(٤) الْأَشْرِ ،
 فَقَعَقَعَتْ^(٥) وَغُودُهُ فِي أَرْجَائِهَا : وَجَعَجَعَتْ^(٦) رَحَاهُ
 فِي أَثْنَائِهَا ، وَجَعَلَتْهَا تَغْلِبُ قِبْلَتَهَا الَّتِي تُصَلِّي إِلَيْهَا :
 وَمِلَّتَهَا الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ يَثْرُكُوا إِعَادَتَهَا ،
 وَلَا خَلَعُوا عِبَادَتَهَا ، إِلَّا بَعْدَ قَوْلِ الْقَائِلِ :

(١) نصفه اسم من الانصاف : وهو العدل واستبقاء الحقوق

(٢) الانفة : الترفع . (٣) أسنة : جمع سنان وهو الرمح .

(٤) جن الاشتر : حدته وقوته وشدته (٥) القعقة : صوت السلاح

(٦) الجعجة صوت الرمح

أَهْلَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ

قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ

عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْقَصَائِدِ الْمُحَقَّقَاتِ ، وَإِحْدَى الْمُعْلَقَاتِ :

وَأَمَّا النَّابِغَةُ زِيَادُ ، فَأَشْعَارُهُ الْجِيَادُ ، لَمْ تَخْرُجْ

عَنْ نَارِ جَوَانِحِهِ ، حَتَّى تَنَاهَى نَضْجُهَا ، وَلَا قُطِعَتْ

مِنْ مَنَوَالِ خَاطِرِهِ ، حَتَّى تَكَاثَفَ ^(١) نَسْجُهَا : لَمْ

تَهْلِهْلِهَا ^(٢) مَيْعَةُ الشَّبَابِ ^(٣) ، وَلَا وَهَاءُ ^(٤) الْأَسْبَابِ ،

وَلَا لَوْمُ الْإِكْتِسَابِ ^(٥) ، فَشِعْرُهُ وَسَائِطُ سُلُوكِ ،

وَتِيَجَانُ مُلُوكِ .

وَأَمَّا النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ : فَفَنَى الْكَلَامِ ، شَاعِرُ

(١) تكاثف : تراكم وصفق (٢) تهلهلها : تسهلها (٣) ميعة

الشباب : شرخه وعنفوانه (٤) وهاء الأسباب : ضعفها

(٥) الاكتساب : التكسب بالشعر .

الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ ، وَاسْتَحْسَنَ شِعْرَهُ أَفْصَحُ
النَّاطِقِينَ ، وَدَعَا^(١) لَهُ أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ ، وَكَانَ شَاعِرًا
فِي الْإِفْتِخَارِ وَالشَّنَاءِ ، قَصِيرَ الْبَاعِ لَشَرْفِهِ عَنْ تَنَاوُلِ
الْهَجَاءِ ، وَكَانَ مَغْلُوبًا فِيهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَطَرِيدَ
لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ .

وَأَمَّا الْعُشَى بِأَجْمَعِهِمْ ، فَكُلُّهُمْ شَاعِرٌ ، وَلَا
كَمِيمُونَ بِنِ قَيْسٍ ، شَاعِرِ الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ ،
وَالْبَأْسِ^(٢) وَالرَّخَاءِ^(٣) ، وَالتَّصَرُّفِ فِي الْفُنُونِ ، وَالسَّعْيِ
فِي السُّهُولِ وَالْخُزُونِ ، نَفَقَ^(٤) مَدْحُهُ بَنَاتِ الْمُحَلَّقِ ،

(١) قَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « لَا يَفْضِضُ اللَّهُ فَالِكَ » فَلَمْ تَسْقُطْ لَهُ

سُنَّ عَلَى طَوْلِ عَمْرِهِ (٢) الْبَأْسُ : الشَّدَّةُ وَالْفَقْرُ (٣) الرَّخَاءُ : سَعَةُ

الْعَيْشِ (٤) نَفَقَ : رَوَّجَ

وَكَانَ فِي فَقْرٍ بَنِ الْمَذَلِّ ، وَأَبْكَى هَجْوُهُ عُلْقَمَةَ^(١) ،
كَمَا تَبْكَى الْأَمَةُ .

وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفَرٍ : فَأَشْعَرُ النَّاسِ إِذَا نَدَبَ^(٢)
دَوْلَةً زَالَتْ ، أَوْ بَكَى حَالَةً حَالَتْ ، أَوْ وَصَفَ
رَبْعًا خَلَا بَعْدَ عُمْرَانَ ، أَوْ دَارًا دَرَسَتْ^(٣) بَعْدَ
سُكَّانٍ ، فَإِذَا سَلَكَ هَذَا السَّبِيلَ فَهُوَ مِنْ حَشْوِ
هَذَا الْقَبِيلِ ، كَعَمْرٍو وَزَيْدٍ ، وَسَعْدٍ وَسَعِيدٍ .

وَأَمَّا حَسَّانُ : فَقَدْ اجْتَثَ^(٤) بَوَاكِرَ^(٥) غَسَّانَ ،
ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ ، وَانْكَشَفَ الْإِظْلَامُ ،
فَجَاحَشَ عَنِ الدِّينِ ، وَنَاصَلَ عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ،

(١) علقمة : يريد علقمة بن علاثة سيد من سادات العرب صاحب
المنافرة بينه وبين عامر بن الطفيل (٢) ندب : نعى (٣) درست :
تهدمت وتخربت (٤) اجتث : قطع واستأصل . ومنه قوله تعالى
« اجتثت من فوق الأرض » (٥) بواكر : أوائل غسان

فَشَعَرَ وَذَادَ ، وَحَسَّنَ وَأَجَادَ ، إِلَّا أَنَّ الْفَضْلَ فِي
 ذَلِكَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَتَسْدِيدِ^(١) الرُّوحِ الْأَمِينِ .
 وَأَمَّا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ : فَصِمَّةٌ صِمْ ، وَشَاعِرُ
 جُشَيْمٍ ، وَغَزَلَ هَرِمٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَغَزَّلَ فِي رِثَاءٍ ،
 وَهَزَلَ فِي حُزْنٍ وَبُكَاءٍ ، فَقَالَ فِي مَعْبَدِ أَخِيهِ ،
 قَصِيدَتُهُ الْمَشْهُورَةُ يَرِثِيهِ :

أَرَتْ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمَّ مَعْبَدٍ
 بِعَافِيَةٍ قَدْ أَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدٍ
 وَهِيَ مِنْ شَاجِيَاتِ النَّوَائِحِ وَبَاقِيَاتِ الْمَدَائِحِ .
 وَأَمَّا الرَّاعِي عَيْدُ : فَقَدْ جُبِلَ عَلَى وَصْفِ الْإِبِلِ
 فَصَارَ بِالرَّاعِي يُعْرِفُ ، وَلُسِي مَا لَهُ مِنَ الشَّرَفِ .

(١) يريد قول النبي عليه الصلاة والسلام له « قل وروح القدس معك والله إن كلامك عليهم أشد من وقع السهام ، في غسق الظلام » .

وَأَمَّا زَيْدُ الْخَيْلِ ^(١) : فَخَطِيبٌ سَجَّاعَةٌ ^(٢) وَفَارِسٌ
 سَجَّاعَةٌ ^(٣) مَشْغُولٌ بِذَلِكَ ، عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَالِكِ .
 وَأَمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : فَشَاعِرُهُمْ فِي الْفَخَّارِ ،
 وَفِي حِمَايَةِ الْجَارِ ، وَأَوْصَفُهُمْ لِكَرِيمَةٍ . وَأَبْعَثَهُمْ
 لِحَمِيدِ شَيْمَةٍ .

وَأَمَّا ابْنُ مُقْبِلٍ : فَقَدِيمٌ شِعْرُهُ ، وَصَلِيبٌ نَجْرُهُ ^(٤)
 وَمُعَلَّى مَدْحُهُ ، وَمُعَلَّى قِدْحُهُ ^(٥) .

وَأَمَّا جَرُولُ ^(٦) : فَخَيْثٌ هِجَاؤُهُ شَرِيفٌ ثَنَاؤُهُ ،

(١) زيد الخيل : صنيدي من صناديد العرب وقد سماه النبي يزيد الخير
 (٢) سجاعة : ينطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر ، والثناء للبالغه
 (٣) سجاعة : قوى القلب . والثناء أيضاً للبالغه (٤) نجره : أصله
 وحسه وهو الجار أيضاً (٥) المعلى : أول سهام الميسر . وأكبرها
 نصيباً . وبليه المصلى (٦) جرول : لقب الحطيئة الشاعر المشهور
 الذي قال في بني أنف الناقة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم
 ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

صَحِيحُ بِنَاوُهُ رَفَعَ شِعْرُهُ مِنَ الثَّرَى ، وَحَطَّ مِنَ الثَّرِيَّا ،
 وَأَعَادَ بِلَطَافَةِ فِكْرِهِ ، وَمَتَانَةِ شِعْرِهِ ، قَبِيحَ الْأَلْقَابِ ،
 فَخَرًّا يَبْقَى عَلَى الْأَحْقَابِ ، وَيُتَوَارَثُ فِي الْأَعْقَابِ .
 وَأَمَّا أَبُو ذُوَيْبٍ : فَشَدِيدٌ ، أَمِيرُ الشَّعْرِ حَكِيمُهُ :
 شَغْلُهُ فِيهِ التَّجْرِبُ ، حَدِيثُهُ وَقَدِيمُهُ ، وَلَهُ الْمُرْتَبَةُ
 النَّقِيَّةُ السَّبْكُ ^(١) ، الْمُسَيَّنَةُ الْحُبُكُ ^(٢) ، بَكَى فِيهَا بَنِيهِ
 السَّبْعَةُ ، وَوَصَفَ الْحِمَارَ فَطَوَّلَ ، وَهِيَ الَّتِي أَوَّلَهَا :
 أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَحْزَعُ
 وَأَمَّا الْأَخْطَلُ ^(٣) فَسَعْدٌ مِنْ سَعُودِ بَنِي مَرْوَانَ .
 صَفَتْ لَهُمْ مِرَاةُ فِكْرِهِ . وَظَفَرُوا بِالْبَدِيعِ مِنْ شِعْرِهِ .

(١) السبك : الصوغ (٢) الحبك : الاحكام والتحسين

(٣) شاعر أموى نصراني خلد بشعره مآثر بني أمية

وَكَانَ بَاقِعَةً^(١) مَنْ حَاجَاهُ . وَصَاعِقَةً مَنْ هَاجَاهُ .

وَأَمَّا الدَّارِمِيُّ هَمَّامٌ^(٢) : فَجَوْهَرٌ كَلَامِهِ . وَأَغْرَاضُ

سِهَامِهِ . إِذَا افْتَخَرَ بِمَالِكِ ابْنِ حَنْظَلَةَ . وَبِدَارِمٍ^(٣)

فِي شَرَفِ الْمَنْزِلَةِ . وَأَطْوَلُ مَا يَكُونُ مَدًى ، إِذَا

تَطَاوَلَ اخْتِيَارُ جَرِيرٍ بِقَلِيلِهِ عَلَى كَثِيرِهِ . وَبِصَغِيرِهِ

عَلَى كَبِيرِهِ . فَإِنَّهُ يُصَادِمُهُ حِينَئِذٍ بِبَحْرِ مَادٍ^(٤) .

وَيُقَاوِمُهُ بِسَيْفٍ حَادٍ .

وَأَمَّا ابْنُ الْخَطَفِيِّ : فَزُهْدٌ فِي غَزَلٍ . وَحَجَرٌ

فِي جَنْدَلٍ . يَسْبَحُ أَوَّلًا فِي مَاءٍ عَذْبٍ . وَيَطْمَحُ

آخِرًا فِي صَخَرٍ صُلْبٍ . كَلْبٌ مَنَابِحَةٌ . وَكَبْشٌ

(١) الباقعة : الذكي العارف الذي لا يفوته شيء ولا يدهي . والتناء للمبالغة

(٢) هو الفرزدق الشاعر المشهور وهو وجير والأخطل ثلاثتهم أشعر

شعراء عصر بني أمية (٣) دارم ومالك : أجداده (٤) ماد : زائد ماؤه

مَنَاطِحَةٍ . لَا تَقْلُ^(١) غَرْبَ^(٢) لِسَانِهِ ، مُطَاوَلَةُ
 الْكِفَاحِ . وَلَا تُدْمِي هَامَتَهُ^(٣) مُدَاوَمَةُ النُّطَاحِ .
 جَارَى السَّوَابِقِ بِمِطْيَةٍ . وَفَاخَرَ غَالِبًا بِعَظِيَّةٍ .
 وَبَلَغَتْهُ بَلَاعَتُهُ إِلَى الْمُسَاوَاةِ . وَحَمَلَتْهُ جُرْأَتُهُ عَلَى
 الْمُجَارَاةِ . وَالنَّاسُ فِيهِمَا فَرِيقَانِ . وَيَنْتَهِمَا عِنْدَ
 قَوْمٍ فَرَقَانِ .

وَأَمَّا الْقَيْسَانِ^(٤) : وَطَبَقَتْهُمَا ، فَطَبَقَةُ عَشَقَةٍ .
 تَوَقَّةٍ^(٥) . اسْتَحْوَذَتِ الصَّبَابَةُ عَلَى أَفْكَارِهِمْ .
 وَاسْتَفْرَغَتْ دَوَاعِيَ الْحُبِّ مَعَانِيَ أَشْعَارِهِمْ ، فَكَلَّمَهُمْ
 مَشْغُولٌ بِهَوَاهُ ، لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى سِوَاهُ .

(١) تفل : تقطع (٢) غرب : حدة لسانه (٣) الهامة : مقدم الرأس

(٤) القيسان : هما قيس بن الملوح المشهور بمجنون ليلى وقيس بن ذريح
 الكنانى . ومعشوقته لبنى بنت الحباب . وهو رضيع الحسن بن على رضى الله عنهما

(٥) التوقة : جمع تائق . وهو المحب

وَأَمَّا كَثِيرٌ^(١) : فَحَسَنُ النَّسِيبِ^(٢) فَصِيحُهُ ، لَطِيفُ
 الْعِتَابِ مَلِيحُهُ ، شَجِيءُ الْإِغْتِرَابِ قَرِيحُهُ ، جَامِعُ
 إِلَى ذَلِكَ رِقَائِقَ الظُّرْفَاءِ ، وَجَزَالَةَ مَدْحِ الْخُلَفَاءِ .
 وَأَمَّا الْكُمَيْتُ وَالرَّمَّاحُ ، وَلُصِيبُ وَالطَّرِمَّاحُ ،
 فَشُعْرَاءُ مُعَاَصِرَةٍ وَمُنَاقِضَاتٍ وَمُفَاخِرَةٍ ، فَتُصِيبُ
 أَمْدَحُ الْقَوْمِ ، وَالطَّرِمَّاحُ أَهْجَاهُمْ ، وَالرَّمَّاحُ أَنْسَبُهُمْ
 نَسِيبًا ، وَالْكُمَيْتُ^(٣) أَشْبَهُهُمْ تَشْبِيهًا^(٤) .
 وَأَمَّا بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ : فَأَوَّلُ الْمُحَدِّثِينَ ، وَآخِرُ
 الْمُخَضَّرِمِينَ^(٥) ، وَمِمَّنْ لَحِقَ الدَّوْلَتَيْنِ ، عَاشِقُ سَمْعِ

(١) هو كثير عزة محبوبته التي يقول فيها :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

(٢) النسيب عند الشعراء : وصف محاسن المرأة والتعريض بهواها

(٣) الكميت شاعر مشهور يتشبع لآل البيت ويدافع عنهم بغير مبالاة

ولا رهبة من بني أمية وله ديوان مشهور (٤) التشبيب : مثل النسيب

وقد تقدم (٥) المخضرم : من أدرك الجاهلية والإسلام . وليس منهم بشار

ولمّا هو من مخضرمي الدولتين .

وَشَاعِرُ جَمْعٍ . شِعْرُهُ يَنْفَقُ^(١) عِنْدَ رَبَّاتٍ^(٢) الْحِجَالِ ،
وَعِنْدَ مُخُولِ الرِّجَالِ . فَهُوَ يَلِينُ^(٣) حَتَّى يَسْتَعْطِفَ ،
وَيَقْوَى حَتَّى يَسْتَنْكِفَ ، وَقَدْ طَالَ عُمرُهُ ، وَكَثُرَ
شِعْرُهُ ، وَطَلَمَا بَحَرُهُ ، وَنَقَبَ فِي الْبِلَادِ ذِكْرُهُ .

وَأَمَّا ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ : فَمِنْ شُعَرَاءِ الدَّوَلَتَيْنِ ،
وَمِمَّنْ حَظَى بِالنَّعْمَتَيْنِ ، وَوَصَلَ إِلَى الْغِنَى بِالصِّلَتَيْنِ ،
وَكَانَ دَرَبَ^(٤) الْمَعُولِ^(٥) ذَرِبَ^(٦) الْمِقُولِ^(٧) ، وَالِدَ
شُعَرَاءَ ، وَمُنْجِبَ فُصَحَاءَ .

(١) ينفق : يروج (٢) ربات : صاحبات

(٣) وذلك كقوله « وهو مما يتغنى به »

خففى يا عبيد عنى واعلمى أننى يا عبيد من لحم ودم
إن فى بردى جسماً ناحلاً لو توكأت عليه لانهدم

(٤) درب : لسين (٥) المعول : آلة الهدم (٦) ذرب : حاد

(٧) المقول : آلة القول : أعنى اللسان

وَأَمَّا أَبُو نُوَّاسٍ . فَأَوَّلُ النَّاسِ فِي خَزْمِ الْقِيَّاسِ ،
 وَذَلِكَ أَنَّهُ تَرَكَ السَّيْرَةَ الْأُولَى . وَنَكَبَ ^(١) عَنْ
 الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى ، وَجَعَلَ الْجَدَّ هَزْلًا ، وَالصَّعْبَ سَهْلًا ،
 فَهَلَّلَ ^(٢) الْمُسَرَّدَ ^(٣) ، وَبَلَّلَ ^(٤) الْمُنْضَدَّ ^(٥) ، وَخَلَّلَ ^(٦)
 الْمُنْجَدَّ ^(٧) ، وَتَرَكَ الدَّعَائِمَ ، وَبَنَى عَلَى الطَّامِي ^(٨)
 وَالْعَائِمَ ^(٩) ، وَصَادَفَ الْأَفْهَامَ قَدْ نَكَتَ ^(١٠) ، وَأَسْبَابَ
 الْعَرِيَّةِ قَدْ تَخَلَّلَتْ ^(١١) ، وَانْحَلَّتْ ، وَالْفَصَاحَاتِ الصَّحِيحَةِ
 قَدْ سُمِّتْ وَمُلَّتْ . فَقَالَ النَّاسُ إِلَى مَا عَرَفُوهُ ،
 وَعَلَقَتْ نَفُوسُهُمْ بِمَا أَلْفُوهُ . قَتَّهَادُوا ^(١٢) شِعْرَهُ ،

(١) نكب : حاد (٢) هلل : سهل (٣) المسرد : الصعب
 (٤) بلل : خلط (٥) المنضد : المنظوم (٦) خلل : نقص
 (٧) المنجد : المحيط المهيأ (٨) الطامي : البحر المتلى (٩) العائم :
 السابج (١٠) نكت : جبت ونكصت (١١) تخللت : ضعفت ووهت
 (١٢) قتهادوا : أهدى بعضهم إلى بعض من شعره

وَأَغْلَوْا سِعْرَهُ ، وَشَغِفُوا ^(١) بِأَسْخَفِهِ ^(٢) ، وَكَلِفُوا بِأَضْعَفِهِ ،
وَكَانَ سَاعِدُهُ أَقْوَى ، وَسِرَاجُهُ أَضْوَأ ^(٣) ، لَكِنَّهُ
عَرَضَ الْأَنْفَقَ ^(٤) ، وَأَهْدَى الْأَوْفَقَ ، وَخَالَفَ فَشْهَرَهُ
وَعُورَهُ ، وَأَغْرَبَ فَذُكْرَ وَاسْتُظْرَفَ ، وَالْعَوَامُّ تَخْتَارُ
هَذِهِ الْأَعْلَاقَ ^(٥) ، وَأُسُوقُهُمْ أَوْسَعُ الْأَسْوَاقِ ،
فَشِعْرُ أَبِي نُوَّاسٍ ، نَافِقٌ ^(٦) عِنْدَ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ ،
كَاسِدٌ عِنْدَ أَتَقَدِّ النَّاسِ ، وَقَدْ فَطِنَ إِلَى اسْتِضْعَافِهِ
وَخَافَ مِنْ اسْتِخْفَافِهِ ، فَاسْتَدْرَكَ ^(٧) بِفَصِيحِ طَرْدِهِ ،
طَرَفِي حَدَّ اللَّسَانِ وَحُدُودِهِ ، وَهُوَ مَجْدُودٌ ^(٨) فِي كَثْرَةِ

(١) شغفوا : أولعوا وتعلقوا (٢) بأسخفه : بأضعفه وأرذله يريد
الغزل في المذكر فانه أول من فتح هذا الباب (٣) أضوا : أشد ضوءاً
(٤) الأنفق : الرائج (٥) الأعلاق : النفائس (٦) نافي : رائج
(٧) يريد أراجيز أبي نواس وطردياته . وهي من أمتن الشعر .
(٨) مجدود : ذو حظ وبخت

التَّظَاهِرُ ، عَلَى مَنْ غَضَّ مِنْهُ بِالْحَقِّ الظَّاهِرِ ، لَيْسَ
إِلَّا لِيَخْفَةَ رُوحُ الْمُجُونِ^(١) ، وَسَهْوَةَ الْكَلَامِ الضَّعِيفِ
الْمُلْحُونِ^(٢) عَلَى جُمْهُورِ الْعَوَامِّ ، لَا عَلَى خَوَاصِّ الْأَنَامِ^(٣)
وَأَمَّا صَرِيحٌ : فَكَلَامُهُ مُرْصَعٌ^(٤) ، وَنِظَامُهُ
مُصَنَّعٌ^(٥) ، وَجُمْلَةُ شِعْرِهِ صَحِيحَةُ الْأُصُولِ ، مُصَنَّعَةٌ
الْفُصُولِ ، قَلِيلَةُ الْفُضُولِ^(٦) .

وَأَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ ، فَمُعْتَرِلٌ بِهَوَاهُ ،
وَبِمَعَزِلٍ عَمَّا سِوَاهُ ، رَفَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ ،
وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ هَوَاهُ مِنَ النِّسَاءِ ، قَدْ رَقَّقَ
الشَّغْفُ كَلَامَهُ ، وَثَقَّفَتْ قُوَّةُ الطَّبْعِ نِظَامَهُ ،
فَلَهُ رِقَّةُ الْعُشَاقِ ، وَجَوْدَةُ الْحَذَاقِ .

(١) المجنون : الدعاية والفكاهة والمزح (٢) الملحون : الخارج على
قوانين العربية (٣) الأنام : الجن والانس (٤) مرصع : منظم منسق
(٥) مصنع : محسن فيه دقة (٦) الفضول : الزيادة

وَأَمَّا دِغْبِلُ : فَدِيدٌ^(١) مُقْبِلٌ^(٢) ، الْيَوْمَ مَدْحٌ ،
وَعَدًا قَدَحٌ ، يُحِيدُ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ ، وَيُسِيءُ فِي
الْخَلِيقَتَيْنِ^(٣) ، وَلَهُ أَشْعَارٌ فِي الْعَصَبِيَّةِ ، وَكَانَ شَاعِرَ
عُلَمَاءَ ، وَعَالِمَ شُعَرَاءَ .

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ : فَرَشِيقٌ^(٤) الْفَهْمُ ، رَاشِقٌ^(٥)
السَّهْمُ ، اسْتَوْصَلَ^(٦) شِعْرُهُ الشَّرَفَاءَ ، وَنَادَمَ^(٧) الْخُلَفَاءَ
وَلَهُ فِي الْغَزَلِ الرَّصَافِيَّةُ^(٨) ، وَفِي الْعِتَابِ الدَّالِيَّةُ ،
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ سِوَاهُمَا ، لَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ بِهِمَا .

- (١) مديد : طويل (٢) مقبل : بأحدى عينيه قبل . وهو ميل
حدقة العين على الأخرى (٣) الخليقتين : يريد المدح والذم
(٤) رشيق : حسن (٥) راشق السهم : مصيبه (٦) استوصل :
طلب الصلات والجوائز بشعره فناها (٧) نادم الرجل صاحبه : جالسه على
الشراب وسامره (٨) يريد الرائية التي مطلعها
عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وَأَمَّا الطَّائِيُّ حَيِّبٌ ، فَتَكَلَّفُ^(١) إِلَّا أَنَّهُ
يُصِيبُ ، وَمُتَعَبٌ لَكِنْ لَهُ مِنَ الرَّاحَةِ نَصِيبٌ^(٢) ،
وَشُغْلُهُ الْمُطَابَقَةُ^(٣) وَالتَّجْنِيسُ ، حَبْدٌ^(٤) ذَلِكَ أَوْ
يَلِيسُ^(٥) ، جَزَلٌ^(٦) الْمَعَانِي ، مَرُصُوصُ الْمَعَانِي^(٧) ،
مَدْحُهُ وَرِثَاؤُهُ ، لَا غَزْلُهُ وَهَجَاؤُهُ ، طَرَفًا تَقْيِضُ ،
وَحَطْبًا سَمَاءً وَحَضِيضٌ ، وَفِي شِعْرِهِ عِلْمٌ جَمٌ^(٨)
مِنَ النَّسَبِ ، وَجُمْلَةٌ وَافِرَةٌ مِنْ أَيَّامٍ^(٩) الْعَرَبِ ،
وَطَارَتْ لَهُ أَمْثَالٌ ، وَحَفِظَتْ لَهُ أَقْوَالٌ ، وَدِيَوَانُهُ

(١) متكلف : متجشم ومتحمل له على مشقة (٢) النصيب : الحظ

(٣) المطابقة والتجنيس : نوعان من الحسنات البديعية

(٤) حبْد : مدح . من قولهم حبذا (٥) يليس : ذم . من

قولهم بئس (٦) جزل المعاني : فصيحها ومتينها (٧) المعاني :

جمع مغنى . وهو المنزل . أو ما يتغنى به من الكلام .

(٨) جم : كثير (٩) أيام : وقائع العرب مجاز من إطلاق الزمان

وارادة الحال فيه

مَقْرُوءٌ ، وَشِعْرُهُ مَثْلُوهٌ ، قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : أَمَّا
صِفَتُهُ هَذِهِ لِأَبِي تَمَّامٍ ، فَنَصَفَهُ ^(١) لَمْ يَثْنِ ^(٢) عِطْفَهَا
حَمِيَّةً ^(٣) ، وَلَا تَعَلَّقَتْ بِذَيْلِهَا عَصَبِيَّةً ، حَتَّى لَوْ
سَمِعَهَا حَبِيبٌ لَاتَّخَذَهَا قِبَلَةً ^(٤) ، وَاعْتَمَدَهَا مِلَّةً ^(٥) ،
فَمَا لَامَ ^(٦) مِنْ أَدَبٍ وَإِنْ أَوْجَعَ ^(٧) ، وَلَا سَبَّ ^(٨)
مِنْ صِدْقٍ وَإِنْ أَقْدَعَ ^(٩) . وَأَمَّا الْبُحْثَرِيُّ : فَلَفْظُهُ
مَاءٌ ثَجَّاجٌ ^(١٠) ، وَدُرٌّ رَجْرَاجٌ ، وَمَعْنَاهُ سِرَاجٌ وَهَّاجٌ
عَلَى أَهْدَى مِنْهَاجٍ ، يَسْبِقُهُ شِعْرُهُ ، إِلَى مَا يَجِيشُ بِهِ
صَدْرُهُ ، يُسَرُّ مُرَادٍ : وَلَيْنُ قِيَادٍ ، إِنْ شَرِبْتَهُ

(١) فنصفه : إنصاف وعدل (٢) يثن : يضعف (٣) حمية :
قوة وشجاعة (٤) القبلة ما يستقبل من كل شيء (٥) الملة : الصريعة
أو الدين (٦) لام : وبخ . والمراد فما لومه أى وبخه أحد
(٧) أوجع : آلم (٨) سب : شتم . والمراد ما شتمه أحد على صدق
(٩) القذع : الفحش والتجريح (١٠) الثجاج : شديد الانصباب

أُرْوَاكَ ، وَإِنْ قَدَحْتَهُ^(١) أُرْوَاكَ^(٢) ، طَبَعُ لَا تَكْلَفُ
يُعِينِهِ^(٣) ، وَلَا الْعِنَادُ يَنْتِيهِ^(٤) ، لَا يُمَلُّ كَثِيرُهُ ،
وَلَا يُسْتَكْلَفُ^(٥) غَزِيرُهُ ، لَمْ يَهْفُ^(٦) أَيَّامَ الْحُلُمِ^(٧)
وَلَمْ يَصْفُ^(٨) زَمَنَ الْهَرَمِ .

وَأَمَّا ابْنُ الْمُعْتَزِّ : فَمَلِكُ النَّظَامِ ، كَمَا هُوَ مَلِكُ
الْأَنَامِ ، لَهُ التَّشْبِيهَاتُ الْمَثَلِيَّةُ ، وَالِاسْتِعَارَاتُ
الشَّكْلِيَّةُ ، وَالْإِشَارَاتُ السَّحَرِيَّةُ ، وَالْعِبَارَاتُ

- (١) قدح بالزند على الفداح : ضرب به على الفداح (٢) أوراك :
أضواء لك (٣) يعينه : أعياه التكلف والمشى أتعبه . وعني عن الكلام حصر
لحق الأمير أحمد بن سهل أبا زيد البلخي في طريق وقد أجهدده السبر فقال له
الأمير « عيت » أيها الشيخ فقال أبو زيد نعم « أعيت أيها الأمير » فنبهه
أنه لحن في قوله عيت إذ المعنى في الكلام والإعياه في المشى ونحوه مما
يكسب نصباً (٤) ينتيه : يضعفه (٥) يستكلف : يشق ويمج
(٦) يهف : يزل قدمه (٧) الحلم : الصبا والشباب
(٨) لم يصف : لم يخل من شائبة

الْمَجْرِيَّةُ^(١) ، وَالتَّصَارِيفُ الصُّنُوفِيَّةُ ، وَالطَّرَائِقُ^(٢)
 الْفُنُونِيَّةُ ، وَالِافْتِخَارَاتُ الْمُلُوكِيَّةُ ، وَالْهِمَمَاتُ الْعُلُويَّةُ ،
 وَالْعَزَلُ^(٣) الرَّائِقُ^(٤) ، وَالْعِتَابُ الشَّائِقُ^(٥) ، وَوَصْفُ
 الْحُسْنِ الْفَائِقِ^(٦) .

وَخَيْرُ الشُّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا

وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ

وَأَمَّا ابْنُ الرُّومِيِّ : فَشَجَرَةُ الْإِخْتِرَاعِ ، وَثَمَرَةُ
 الْإِبْتِدَاعِ ، وَلَهُ فِي الْهَجَاءِ ، مَا لَيْسَ لَهُ فِي الْإِطْرَاءِ^(٧) ،
 فَتَحَ فِيهِ أَبْوَابًا ، وَوَصَلَ مِنْهُ أَسْبَابًا ، وَخَلَعَ مِنْهُ

(١) المجرية : كثيرة الجرى على الألسن (٢) الطرائق : جمع طريقة

وهي الحالة والمسلك والمذهب (٣) الغزل : محادثة النساء واللهو معهن

(٤) الرائق : الصافي الذي لا يشوبه دنس (٥) الشائق : اسم فاعل

من شاق يقال : شاق الحب زيداً إلى فلان هاج شوقه . فهو شائق ومشوق

(٦) الفائق : الجيد الخالص في نوعه (٧) الاطراء : المدح

أَثْوَابًا ، وَطَوَّقَ فِيهِ رِقَابًا يَبْقَيْنَ أَعْمَارًا وَأَحْقَابًا ،
يَطُولُ عَلَيْهَا حِسَابُهُ ، وَيُمَحِّقُ بِهَا ثَوَابَهُ ، وَلَقَدْ كَانَ
وَاسِعَ الْعَطَنِ^(١) ، لَطِيفَ الْفِطَنِ^(٢) ، إِلَّا أَنَّ الْغَالِبَ
عَلَيْهِ ضَعْفُ الْمَرِيرَةِ^(٣) ، وَقُوَّةُ الْمِرَّةِ^(٤) .

وَأَمَّا كُشَاجِمُ : فَحَكِيمٌ شَاعِرٌ ، وَكَاتِبٌ مَاهِرٌ
لَهُ فِي التَّشْبِيهَاتِ غَرَائِبٌ ، وَفِي التَّأْلِيفَاتِ عَجَائِبٌ ،
يُجِيدُ الْوَصْفَ وَيُحَقِّقُهُ ، وَيَسْبِكُ الْمَعْنَى فَيُرَقِّقُهُ
وَيُرَوِّقُهُ^(٥) .

وَأَمَّا الصَّنَوْبَرِيُّ : فَقَصِيحُ الْكَلَامِ غَرِيبُهُ ،

(١) العطن : مصدر . وهو مبرك الابل حول الحوض . ومرضى الغنم
حول الماء . والجمع أعطان (٢) الفطن جمع فطنة : وعى الذكاء وسرعة
الفهم (٣) المريرة : الحبل الشد الفتل (٤) المِرَّة : مزاج من أمزجة
البدن إذا مرض به امرؤ كان غير متزن التفكير (٥) يروقه : يصفيه

مَلِيحُ التَّشْبِيهِ عَجِيْبُهُ . مُسْتَعْمِلُ إِشْوَاذِ الْقَوَافِي ،
يَعْسِلُ كُدْرَتَهَا بِمِيَاهِ فَهْمِهِ الصَّوَافِي . فَتَجْلُو^(١)
وَتَدِقُّ^(٢) ، وَتَعْذُبُ وَتَرِقُّ ، وَهُوَ وَحِيدُ جِنْسِهِ ،
فِي صِفَةِ الْأَزْهَارِ ، وَأَنْوَاعِ الْأَنْوَارِ ، وَكَانَ فِي بَعْضِ
أَشْعَارِهِ يَتَخَالَعُ^(٣) ، وَفِي بَعْضِهَا يَتَشَاجِعُ ، وَقَدْ مَدَحَ
وَهَجًا ، وَنَثَرَ وَشَجَا ، وَأَعْجَبَ شِعْرُهُ وَأَطْرَبَ ،
وَشَرَّقَ وَغَرَّبَ ، وَمَدَحَ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةِ أَمِيرَ الزَّابِ ،
جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ مُنْفِقَ^(٤) سُوْقِ الْأَدَابِ ، فَوَصَلَهُ
بِأَلْفِ دِينَارٍ ، بَعَثَهَا إِلَيْهِ مَعَ ثِقَاتِ التُّجَّارِ .
وَأَمَّا الْخُبْرُ أَرْزَى : فَخَلِيعُ الشَّعْرِ مَا جِنَهُ^(٥) ، رَائِقُ

(١) فتجلو : تصفو وتنضح (٢) تدق : ترداد جلاء

(٣) فيه مجون . وهو الهزل (٤) منفق : مروج (٥) اللاجن :

المازح والهازل ومن لا يبالي ما صنع وما قيل له . والجمع مجان

اللفظ بآئنه كثيرة محاسنه ، صحيحة أصوله ومعارنه ،
رائقة البرة ^(١) ، مائلة إلى العزة ^(٢) ، تسليه ^(٣)
عن الحب إخيانه ، ويروقه ^(٤) الوفاء ^(٥) والصيانة ^(٦) ،
وله على خسونة خلقه ، وصعوبة خلقه ، اختراعات
لطيفة ، وابتداعات ظريفة ، في الفاظ كثيفة ،
وفصول قليلة الفصول نظيفة ، حتى إن بعض كبراء
الشعراء ، اهتمم أشياء من مبانيه ، واهتمم ^(٧)
طرفاً من معانيه ، وهو من معاصريه ، فقل من
فطن لمراميهِ ^(٨) .

(١) البرة : الهيئة والشارة واللبسة (٢) العزة : مصدر . واسم
بمعنى القوة والغلبة في المعازة (٣) تسليه : تنسيه (٤) يروقه : يعجبه
(٥) الوفاء : عدم الأخلاف (٦) الصيانة : الحفظ (٧) اهتمم :
انتقص وحذف (٨) المرامي : جمع رمى . وهو المقصد

وَأَمَّا أَبُو فِرَاسٍ بْنُ حِمْدَانَ ، فَفَارِسٌ هَذَا الْمِيدَانِ ،
 إِنْ شِئْتَ ضَرْبًا وَطَعْنَا ، أَوْ لَفْظًا وَمَعْنَى ، مَلَكَ زَمَانًا ،
 وَمَلَكَ أَوَانًا ، وَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ فِي الْمَمْلَكَةِ ،
 وَأَشْعَرَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَمْلَكَةِ ^(١) ، وَلَهُ الْفَخْرِيَّاتُ ^(٢)
 الَّتِي لَا تَعَارِضُ ، وَالْأَسْرِيَّاتُ ^(٣) الَّتِي لَا تُنَاقِضُ .

وَأَمَّا الْمُتَنَبِّي : فَقَدْ شُعِلَتْ بِهِ الْأَلْسُنُ ، وَسَهَرَتْ
 فِي أَشْعَارِهِ الْعُيُونُ الْأَعْيُنُ ^(٤) ، وَكَثُرَ النَّاسُ لِشِعْرِهِ ،
 وَالْآخِذُ لِذِكْرِهِ ، وَالْعَائِصُ فِي بَحْرِهِ ، وَالْمُفْتَشُّ فِي
 قَعْرِهِ عَنْ جَمَانِهِ ^(٥) وَدُرِّهِ ، وَقَدْ طَالَ فِيهِ الْخُلْفُ ،

(١) الْمَمْلَكَةُ بِكسر الميم : الملك (٢) الفخريات : القصائد التي
 قالها في الفخر (٣) الأسريات : أي القصائد التي قيلت في الأسر
 (٤) الأعين : الواسعة (٥) الجمان : الدر وهو اسم جنس
 واحده جمالة

وَكَثُرَ عَنْهُ الْكَشْفُ ، وَلَهُ شَيْعَةٌ تَعْلُو^(١) فِي مَدْحِهِ ،
وَعَلَيْهِ خَوَارِجُ تَتَعَايَا^(٢) فِي جَرْحِهِ ، وَالَّذِي أَقُولُ :
إِنَّ لَهُ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ ، وَحَسَنَاتُهُ أَكْثَرُ عَدَدًا ،
وَأَقْوَى مَدَدًا^(٣) ، وَغَرَائِبُهُ طَائِرَةٌ ، وَأَمْثَالُهُ سَائِرَةٌ^(٤) ،
وَعِلْمُهُ فَسِيحٌ^(٥) ، وَمِيزُهُ^(٦) صَحِيحٌ ، يَرُومُ^(٧) فَيَقْدِرُ ،
وَيَذَرِي مَا يُورَدُ^(٨) وَيُصْدِرُ^(٩) .

قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : هَذَا مَا عِنْدِي فِي شُعْرَاءِ
الْمَشْرِقِ ، وَقَدْ سَمَّيْتُ لِي مِنْ مُتَأَخَّرِي شُعْرَاءِ الْمَغْرِبِ ،
مَنْ لَعَمْرِي لَا يَبْعُدُ عَنْ مُعَاصِرِهِمْ ، وَلَا يَقْصُرُ
عَنْ سَابِقِهِمْ .

- (١) تعلو : تسرف (٢) تتعايا : تعجز (٣) المدد : الزيادة
(٤) سائرة : من سار المثل : إذا انتشر وذاع في مختلف الأقطار .
ويقال : أسير من مثل (٥) فسيح : واسع (٦) الميز : اسم بمعنى
التمييز : وهو قوة في الدماغ يستنبط بها المعاني (٧) يروم : يريد
(٨) يورد : يرد عليه (٩) يصدر : يخرج منه

فَأَمَّا ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيُّ : وَإِنْ بَعُدَتْ عَنْكَ
 دِيَارُهُ ، فَقَدْ صَاقَبْتَنَا ^(١) أَشْعَارُهُ ، وَوَقَفْنَا عَلَى أَشْعَارِ
 صَبَوْتِهِ ^(٢) الْأَنِيقَةِ ^(٣) ، وَتَكْفِيرَاتِ تَوْبَتِهِ الصَّدُوقَةِ ،
 وَمَدَائِحِ الْمَرْوَانِيَّةِ ، وَمَطَاعِنِهِ فِي الْعَبَاسِيَّةِ ، وَهُوَ
 فِي كُلِّ ذَلِكَ فَارِسٌ مُمَارِسٌ ^(٤) ، وَطَاعِنٌ مُدَاعِسٌ ^(٥) ،
 وَأُطْلَعْنَا فِي شِعْرِهِ عَلَى عِلْمٍ وَاسِعٍ ، وَمَادَّةٍ فَهْمٍ مُضِيءٍ
 نَاصِعٍ ^(٦) ، وَمِنْ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ نَظْمَ عِقْدِهِ ، وَتَرَكَهُ
 لِمَنْ يَتَجَمَّلُ بِهِ بَعْدَهُ .

(١) صَاقَبْتَنَا : قَارَبْتَنَا وَوَاجَهْتَنَا (٢) الصبوة : جهالة الفتوة
 يريد : ما قاله في ميعة صباه من غزل ونسيج . ويريد بقوله من تكفيرات
 توبته الخ ما عارض به من قصائده الأولى من ندم وتوبة . ويقال لها المحصنات
 (٣) الأنيقة مؤنث الأنيق : وهو الحسن المعجب (٤) الممارس :
 الشديد المحرب للأمور (٥) مداعس : قوى شديد (٦) الناصع :
 الخالص الصافي من الألوان . وأكثر ما يقال في الأبيض

وَأَمَّا ابْنُ هَانِيٍّ مُحَمَّدٌ : الْأَنْدَلُسِيُّ وَلَادَةً ،
 الْقَيْرَوَانِيُّ وَفَادَةً وَإِفَادَةً ، فَرَعْدِيُّ^(١) الْكَلَامِ ،
 سَرْدِيُّ^(٢) النَّظَامِ^(٣) ، مَتِينٌ^(٤) الْمُبَانِي^(٥) ، غَيْرُ
 مَكِينٍ^(٦) الْمَعَانِي ، يَحْفُو^(٧) بِعِطْنِهَا^(٨) عَنِ الْأَوْهَامِ^(٩) ،
 حَتَّى تَكُونَ كُنْقُطَةً^(١٠) النَّظَامِ^(١١) ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا
 ظَهَرَتْ مَعَانِيهِ ، فِي جَزَالَةِ مَبَانِيهِ ، رَمَى عَنْ
 مَنَجْنِيقٍ^(١٢) ، يُؤَثِّرُ فِي النِّيْقِ^(١٣) ، وَلَهُ غَزَلٌ

(١) رعدى الكلام : كثيره (٢) سردى : متتابع (٣) النظام
 الكثير النظم (٤) متين : قوى (٥) المبانى : التراكيب (٦) المكين :
 المتين والقوى الراسخ . والجمع مكناء (٧) يحفو : يبعد (٨) العطن :
 مبرك الأبل حول الحوض . ومريض الغنم حول الماء (٩) الأوهام جمع
 وهم : وهو ما يقع في الذهن من الخواطر . ويجمع كذلك على وهوم وهوم
 (١٠) النقطة : علامة شبه كرة صغيرة توضع تمييزاً للحرف والجمع
 نقط ونقاط (١١) النظام : ملاك الامر وقوامه ويجمع على نظم وأنظمة .
 وأناطيم (١٢) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة (١٣) النيق : الطويل
 من الجبل . ويجمع على أنياق . ونيوق . ونياق

قَفَرِيٌّ^(١) ، لَا عُذْرِيٌّ ، لَا يَقْنَعُ فِيهِ بِالطَّيْفِ^(٢) ،
وَلَا يَشْفَعُ فِيهِ بِغَيْرِ السَّيْفِ ، وَقَدْ نَوَّهَ بِهِ مَلِكُ
الزَّابِ^(٣) ، وَعَظَّمْ شَانَهُ بِأَجْزَلِ الثَّوَابِ ، وَكَانَ
سَيْفَ دَوْلَتِهِ ، فِي إِعْلَاءِ مَنْزِلَتِهِ ، مِنْ رَجُلٍ
يَسْتَعِينُ عَلَى صَلَاحِ دُنْيَاهُ ، بِفَسَادِ أُخْرَاهُ ، لِرَدَاءَةِ
عَقْلِهِ وَرِقَّةِ دِينِهِ ، وَضَعْفِ يَقِينِهِ^(٤) ، وَلَوْ عَقَلَ لَمْ
تَضِقْ عَلَيْهِ مَعَانِي الشُّعْرِ ، حَتَّى يَسْتَعِينَ عَلَيْهَا
بِالْكُفْرِ^(٥) .

وَأَمَّا الْقَسْطَلِيُّ : فَشَاعِرٌ مَاهِرٌ ، عَالِمٌ بِمَا يَقُولُ ،

(١) القفر : المكان الخالي من الناس (٢) الطيف : الخيال

(٣) هو أبو علي جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان أمير الزاب قتل سنة ٣٦٤ هـ قتله الأمير الصنهاجي صاحب القيروان (٤) اليقين : الأيمان

(٥) كقوله في مطلع قصيدة يمدح فيها المعز الفاطمي :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

تَشْهَدُ لَهُ الْعُقُولُ ، بِأَنَّهُ الْمُؤَخَّرُ بِالْعَصْرِ ، الْمُقَدَّمُ
فِي الشَّعْرِ ، حَاقِظٌ ^(١) بَوَضْعِ الْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ ،
لَا سِيَّمَا إِذَا ذَكَرَ مَا أَصَابَهُ فِي الْفِتْنَةِ ، وَشَكَا
مَا دَهَاهُ فِي أَيَّامِ الْمُحَنَةِ ^(٢) ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ أَشْعَرُ
أَهْلِ مَغْرِبِهِ ، فِي أَبْعَدِ الزَّمَانِ وَأَقْرَبِهِ .

وَأَمَّا عَلَى الثُّونِسِيِّ : فَشِعْرُهُ الْمُرْدُ الْعَذْبُ ،
وَلَفْظُهُ اللَّوْلُو الرُّطْبُ ^(٣) ، وَهُوَ يُحْتَرَى الْغَرْبُ ،
يَصِفُ الْحَمَامَ ، فَيَرُوقُ الْأَنَامَ ، وَيُشَبِّبُ ^(٤) ، فَيَعُشَقُ
وَيُحِبُّ ، وَيَمْدَحُ فَيَمْنَحُ ^(٥) ، أَكْثَرُ مَا يُمْنَحُ ^(٦) .

هَذَا مَا عِنْدِي فِي الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، عَلَى

(١) الحاذق : الماهر (٢) المحنة : الشدة

(٣) الرطب : الندى (٤) يشبب : يذكر محاسن النساء

(٥) يمنح : يعطى (٦) يمنح : يأخذ

اِحْتِقَارِ الْمُعَاصِرِ ، وَاسْتِصْغَارِ الْمُجَاوِرِ . فَحَاشَ لِلَّهِ
 مِنْ الْأَوْصَافِ بِقِلَّةِ الْإِنْصَافِ ، لِلْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ،
 وَالْعَدُوِّ وَالْحَبِيبِ ، قُلْتُ : يَا أَبَا الرَّيَّانِ ، أَكْثَرَ
 اللَّهُ مِثْلَكَ فِي الْإِخْوَانِ ، وَوَقَّاكَ مُحْذُورٌ ^(١) الزَّمَانِ ،
 وَمُرُورَ الْحَدَثَانِ ^(٢) ، فَلَقَدْ سُبِكَتَ ^(٣) فَهَمَّا ،
 وَحُسِيتَ ^(٤) عِلْمًا .

قَالَ مُحَمَّدٌ : قُلْتُ لِأَبِي الرَّيَّانِ فِي مَجْلِسٍ
 عَقِيبَ هَذَا الْمَجْلِسِ : يَا أَبَا الرَّيَّانِ ، لَقَدْ رَأَيْتُ
 لَكَ تَقْدًا مُصِيبًا ، وَمَرَمًى عَجِيبًا ، وَلَقَدْ أَرُغَبُ فِي
 أَنْ أَتَالَ مِنْهُ نَصِيبًا قَالَ : النِّقْدُ هِبَةُ الْمَوَالِدِ ، وَفِيهِ

(١) المحذور : ما يحتز منه . والمكروه . (٢) الحدَثَانِ من

الدهر : نوبه . والحدَثَانِ من الدهر : نوائبه (٣) سبكت : بلغت

مكاناً عالياً في الفهم حتى صرت كالسبيكة (٤) حُسيت : ملئت

زِيَادَةُ طَارِفٍ^(١) إِلَى تَالِدٍ^(٢) ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عُلَمَاءَ
 بِالشُّعْرِ ، وَرُؤَاةَ لَهُ ، لَيْسَ لَهُمْ نِقَادٌ فِي نَقْدِهِ ،
 وَلَا جَوْدَةٌ فِيهِمْ فِي رَدِّيهِ وَجَيْدِهِ ، وَكَثِيرًا مِمَّنْ لَا عِلْمَ
 لَهُ ، يَقْظَنُ إِلَى غَوَامِضِهِ ، وَإِلَى مُسْتَقِيمِهِ وَمُتَنَاقِضِهِ
 قُلْتُ : أَنَا شَدِيدُ الرَّغْبَةِ إِلَى فَضْلِكَ فِي أَنْ تُسَهِّمَنِي^(٣)
 مِنْ مَيْرِكَ وَعَقْلِكَ ، مَا أُسْتَهْدِي بِسِرَاجِهِ ، عَلَى
 مُسْتَقِيمٍ مِنْهَاجِهِ ، فَأَقِفَ مِنْ سَرَائِرِهِ^(٤) عَلَى بَعْضِ
 مَا وَقَفْتَ ، وَأَعْرِفَ مِنْ مَفَاخِرِهِ وَمَعَانِيهِ جُزْءًا مِمَّا
 عَرَفْتَ . قَالَ : نَعَمْ . أَوَّلُ مَا عَلَيْهِ تَعَمُّدٌ ، وَإِيَّاهُ

(١) الطارف : الحديث المستفاد (٢) التاليد والتلبد والتلاد : المال

القديم الأصلي الذي ولد عندك . وهو تقيض الطارف

(٣) تسهمني : تعطيني سهماً (٤) السرائر : جمع سريرة . وهي

ما يكتُم في النفس كالسر . وسريرة الانسان ما أسره أى ما كتمه من أمره

تَعْتَقِدُ ، أَلَّا تَسْتَعْجِلَ بِاسْتِحْسَانٍ^(١) وَلَا بِاسْتِقْبَاحٍ^(٢)
وَلَا بِاسْتِبْرَادٍ^(٣) ، وَلَا بِاسْتِمْلَاحٍ^(٤) ، حَتَّى تُنْعِمَ^(٥)
النَّظَرَ وَتَسْتَخْدِمَ الْفِكَرَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَجَلَةَ فِي كُلِّ
شَيْءٍ مَوْطِئٌ^(٦) زُلُوقٌ^(٧) ، وَمَرْكَبٌ زَهُوقٌ^(٨) ،
فَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ مَا يَمْلَأُ لَفْظُهُ الْمَسَامِعَ ، وَيَرِدُ عَلَى
السَّمَامِعِ مِنْهُ قَعَاقِعٌ^(٩) ، فَلَا يَرُوعُكَ شِمَاخَةٌ^(١٠) مَبْنَاهُ ،
وَانْظُرْ إِلَى مَا فِي سُكْنَاهُ مِنْ مَعْنَاهُ ، فَإِنْ كَانَ فِي
الْبَيْتِ سَاكِنٌ ، فَتِلْكَ الْمَحَاسِنُ ، وَإِنْ كَانَ خَالِيًا ،
فَاعْدُدْهُ جِسْمًا بَالِيًا ، وَكَذَلِكَ إِذَا سَمِعْتَ الْفَظًّا

(١) باستحسان : ما تعدده حسناً (٢) باستقباح : ما تعدده قبيحاً

(٣) باستبراد : ما تعدده بارداً (٤) باستملاح : ما تعدده مليحاً مستظرفاً

(٥) تنعم : تتأمل (٦) موطئ : اسم مكان : جعله وطيئاً

(٧) زلوق : لا يثبت عليه قدم (٨) زهوق : مضطرب

(٩) قعاقع : صوت ليس وراءه فائدة (١٠) شمخاة مبناه : علوه

مُسْتَعْمَلَةً، وَكَلِمَاتٍ مُبْتَدَلَةً، فَلَا تَعْجَلْ بِاسْتِزْعَافِهَا^(١)
 حَتَّى تَرَى مَا فِي أَضْعَافِهَا^(٢)، فَكَمْ مِنْ مَعْنَى عَجِيبٍ
 فِي لَفْظٍ غَيْرِ غَرِيبٍ، وَالْمَعَانِي هِيَ الْأَرْوَاحُ، وَالْأَلْفَاظُ
 هِيَ الْأَشْبَاحُ، فَإِنْ حَسُنَا فَذَلِكَ الْخَطُّ الْمَمْدُوحُ،
 وَإِنْ قَبَحَ أَحَدُهُمَا فَلَا يَسْكُنُ الرُّوحُ.

قَالَ: وَتَحَفَّظَ^(٣) عَنْ شَيْئَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَحْمِلَكَ
 إِجْلَالُ الْقَدِيمِ الْمَذْكُورِ عَلَى الْعَجَلَةِ، بِاسْتِحْسَانِ
 مَا تَسْمَعُ لَهُ، وَالثَّانِي أَنْ يَحْمِلَكَ إِصْغَارُكَ الْمُعَاصِرِ
 الْمَشْهُودَ عَلَى التَّهَؤُنِ بِمَا أُنْشِدْتَ لَهُ. فَإِنَّ ذَلِكَ
 جَوْرٌ^(٤) فِي الْأَحْكَامِ، وَظُلْمٌ مِنَ الْحُكَّامِ، حَتَّى

(١) باستزعاها: أي بعداها ضعيفة (٢) أضعافها: أثناء سطورها

(٣) تحفظ: احتراز وتصون (٤) الجور: الظلم

تُحَصَّصُ^(١) قَوْلَهُمَا ، فَيَخِذُّنِي تَحْكُمُ لَهَا أَوْ عَلَيْهِمَا ،
 وَهَذَا بَابٌ فِي اغْتِلَاقِهِ اسْتِصْعَابٌ ، وَفِي صَرْفِ
 الْعَامَّةِ وَبَعْضِ الْخَاصَّةِ عَنْهُ إِتْعَابٌ ، وَقَدْ وَصَفَ
 تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الصَّادِقِ تَشَبُّثُ^(٢) الْقُلُوبِ بِسِيرَةِ
 الْقَدِيمِ ، وَنِفَارَهَا مِنَ الْمُحَدَّثِ الْجَدِيدِ ، فَقَالَ
 حَاكِيًا لِقَوْلِهِمْ : « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ » .
 وَقَالَ : « لَنْ نَعْبُدَ إِلَّا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا » ،
 وَقَدْ قُلْتَ أَنْتَ :

أُغْرِيَ^(٣) النَّاسُ بِامْتِدَاحِ الْقَدِيمِ
 وَبِذَمِّ الْجَدِيدِ غَيْرَ ذَمِيمِ

(١) تمحص: تختبر (٢) تشبث: تمسك (٣) أغرى: أولع

لَيْسَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ حَسَدُوا أَحْمَرَ
يَ وَرَقُوا^(١) عَلَى الْعِظَامِ الرَّمِيمِ

وَقُلْتَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

قُلْ لِمَنْ لَا يَرَى الْمُعَاصِرَ شَيْئًا
وَيَرَى لِلْأَوَائِلِ التَّقْدِيمَ
إِنَّ ذَاكَ الْقَدِيمَ كَانَ جَدِيدًا

وَسَيَعْدُو^(٢) هَذَا الْجَدِيدُ قَدِيمًا
فَلَا يَرُوعُكَ^(٣) أَنْ تَجْرِيَ عَلَى مِنْهَاجٍ^(٤) الْحَقُّ ،
فِي جَمِيعِ الْخَلْقِ ، فِيهِ قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ،
وَبِهِ أُحْكِمَ الْإِبْرَامُ^(٥) وَالنَّقْضُ ، وَسَامَلُ لَكَ

(١) رَقُوا : عطفوا (٢) سيعدو : سيصبح . والفدوة :

أول النهار (٣) يرُوعُكَ : يفزعُكَ . فالرُوعُ : الفزع

(٤) المنهاج : الطريق المستقيم الواضح . ومنه قوله تعالى « لكل جعلنا

منكم شريعة ومنهاجا » (٥) الإبرام : الاحكام والتدبير والنقض ضده

التذيل (١٨)

فِي ذَلِكَ مِثَالًا ، وَأَمْلَأُ أَسْمَاعَكَ مَقَالًا . وَفَهْمَكَ
عَدْلًا وَاعْتِدَالًا .

هَذَا امْرُؤُ الْقَيْسِ أَقْدَمُ الشُّعْرَاءِ عَصْرًا . وَمُقَدِّمُهُمْ
شِعْرًا وَذِكْرًا . وَقَدْ اتَّسَعَتِ الْأَقْوَالُ فِي فَضْلِهِ ،
اتِّسَاعًا لَمْ يَفْرِغْ غَيْرُهُ بِمِثْلِهِ ، حَتَّى إِنَّ الْعَامَّةَ تَظُنُّ
بَلْ تُوقِنُ أَنَّ جَوَادَ شِعْرِهِ لَا يَكْبُو^(١) ، وَحُسَامَ نَظْمِهِ
لَا يَنْبُو^(٢) وَهَيْهَاتَ مِنَ الْبَشَرِ الْكَمَالُ . وَمِنْ
الْأَدَمِيِّينَ الْإِسْتِوَاءُ^(٣) وَالِاسْتِدْلَالُ^(٤) . يَقُولُ فِي
قَصِيدَتِهِ الْمُقَدِّمَةِ . وَمُعَلَّقَتِهِ الْمُفَخِّمَةِ .

(١) لَا يَكْبُو : لَا يَعْثُرُ أَوْ يَسْقُطُ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يَخْطِئُ

(٢) لَا يَنْبُو : لَا يَهْفُو (٣) الْإِسْتِوَاءُ : الْإِعْتِدَالُ

(٤) الْإِسْتِدْلَالُ : الْإِسْتِرْشَادُ

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخُدْرَ^(١) خِذَرَ عُنِيزَةَ

فَقَالَتْ: لَكَ الْوَيْلَاتُ^(٢) إِنَّكَ مُرْجَلِي^(٣)

فَمَا كَانَ أَغْنَاهُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِهَذَا ، وَمَا أَشَدَّ
غَفْلَتَهُ عَمَّا أَذْرَكَهُ مِنَ الْوَصْمَةِ^(٤) بِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ
فِيهِ أَعْدَادًا كَثِيرَةً النَّقْضِ وَالْبَخْسِ^(٥) ، مِنْهَا دُخُولُهُ
مُتَطَفِّلًا عَلَى مَنْ كَرِهَ دُخُولَهُ عَلَيْهِ . وَمِنْهَا قَوْلُ
عُنِيزَةَ لَهُ : لَكَ الْوَيْلَاتُ ، وَهِيَ قَوْلُهُ لَا تُقَالُ
إِلَّا لَخَيْسٍ^(٦) ، وَلَا يُقَابَلُ بِهَا رَيْسٌ . فَإِنْ
اِحْتَجَّ مُحْتَجٌّ بِأَنَّهَا كَانَتْ أُرَاسَ مِنْهُ . قِيلَ لَهُ :

- (١) الخدْرُ : ستر يُعمد للتجارية في ناحية البيت . وكل ما وارك من
بيت ونحوه . والمراد به الهودج المعروف (٢) الويلات : جمع ويلة .
وهي الفضيحة وهي جملة دعائية تقال في الدلال للمدعوله لا عليه
(٣) مرجلي : مهلكي (٤) الوصمة : المرة من الوصم . وهي العار
والعيب (٥) البخس : النقص . ومنه قوله تعالى « وشروه بضمن بخس »
أي ناقص (٦) الخيس : الحقير

لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الرَّئِيسَةَ لَا تَرْكَبُ بَعِيرًا
يَدْرُجُ^(١) أَوْ يَمُوتُ ، إِذَا اَزْدَادَ عَلَيْهِ رُكُوبُ
رَاكِبٍ ، بَلْ هُوَ بَعِيرٌ فَقِيرٌ حَقِيرٌ ، فَإِنْ احْتَجَّ
لَهُ بِأَنَّهُ صَبَرَ عَلَى الْقَوْلِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا مَعْشُوقَةٌ ،
قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ يَكُونُ عَاشِقًا لَهَا ، مَنْ يَقُولُ لَهَا :
فَمَثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ

فَالْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَلِّمٍ مُحُولٍ
وَإِنَّمَا الْمَعْرُوفُ لِلْعَاشِقِ ، الْإِنْفِرَادُ بِمَعْشُوقَتِهِ ،
وَاطِّرَاحُ سِوَاهَا ، كَالْقَيْسَيْنِ فِي لَيْلَى وَلُبْنَى ، وَغَيْلَانَ
بِمَيْةَ ، وَجَمِيلٍ بِبَيْثِنَّةَ ، وَسِوَاهُمْ كَثِيرٌ . فَلَمْ يَكُنْ
لَهَا عَاشِقًا ، بَلْ كَانَ فَاسِقًا . ثُمَّ أَهْجَنُ^(٢) هُجْنَةً^(٣)

(١) يدرج : يمشى الهوينى (٢) أهجن : أعيب

(٣) الهجنة : القبح والعيب في الكلام

عَلَيْهِ ، وَأَسْخَنَ^(١) سَخْنَةً^(٢) لِعَيْنَيْهِ ، إِقْرَارُهُ بِإِتْيَانِ
 الْحُبْلَى وَالْمُرْضِعِ ، فَأَمَّا الْحُبْلَى : فَقَدْ جَبَلَ^(٣) اللَّهُ
 النُّفُوسَ عَلَى الزُّهْدِ^(٤) فِيهَا وَالْإِعْرَاضِ عَنْ شَأْنِهَا .
 مِنْهَا أَنَّ الْحَبْلَ عَلَّةٌ ، وَأَشْبَهُ الْعِلَلِ بِالْإِسْتِسْقَاءِ^(٥) ،
 وَمَعَ الْحَبْلِ كَمُودُ^(٦) اللَّوْنِ ، وَسُوءُ الْغِذَاءِ ، وَفَسَادُ
 النَّكْهَةِ^(٧) ، وَسُوءُ الْخُلُقِ وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَلَا يَمِيلُ
 إِلَى هَذَا مَنْ لَهُ نَفْسٌ سَوِيَّةٌ^(٨) دَعَا نَفْسَ مَلِكِيٍّ .
 وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْبَهَائِمَ كُلَّهَا ، لَا تَنْظُرُ
 إِلَى ذَوَاتِ الْحَمْلِ مِنْ أَجْنَاسِهَا . وَلَا تَقْرُبُ مِنْهَا

- (١) أسخن : أحمى (٢) السخنة . والسخنة . والسخنة .
 والسخونة . الحر والحمى . والمراد وأحر دمع لعينيه .
 (٣) جبل : طبع (٤) الزهد : الرغبة عن الشيء
 (٥) الاستسقاء : طلب الماء (٦) كمود اللون : تغيره وعدم صفائه
 (٧) فساد النكهة : تغير رائحة اللحم (٨) السوقي : أحد الرعية

حَتَّى تَضَعَ أَحْمَالَهَا . أَوْ تُفَارِقَ فُصْلَانَهَا ^(١) . ثُمَّ لَمْ
يَكْفِهِ أَنْ يَذْكُرَ الْحَبْلَى ، حَتَّى افْتَحَرَ بِالْمُرْضِعِ ،
وَفِيهَا مِنَ التَّلْوِيثِ بِأَوْضَارٍ ^(٢) رَضِيعِهَا . وَمِنْ
اهْتِرَاحِهَا ^(٣) وَاشْتِغَالِهَا ، عَنْ إِحْكَامِ اغْتِسَالِهَا . وَقَدْ
أُخْبِرَ أَنَّ ذَا التَّمَائِمِ الْمُحَوَّلَ ، مُتَعَلِّقٌ بِهَا بِقَوْلِهِ :
فَالْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحَوَّلٍ ، وَأُخْبِرَ أَنَّهَا ظَنُرٌ ^(٤)
وَلَدِهَا ، لَا ظَنُرَ لَهُ وَلَا مُرْضِعَ سِوَاهَا ، فَدَلَّ بِذَلِكَ ،
عَلَى أَنَّهَا حَقِيرَةٌ وَقِيرَةٌ ^(٥) . وَمِثْلُ هَذِهِ لَا يَصْبُو ^(٦)
إِلَيْهَا مَنْ لَهُ هِمَّةٌ ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا ، تَسْتَقْدِرُهَا

(١) الفصلان : جمع فصيل . وهو ولد الناقة

(٢) أَوْضَار : جمع وضر . والوضر : وسخ اللبن (٣) اهتراحها :

ضعفها (٤) الظنر : المرأة المَرْضعة (٥) الوقيرة : المصابة في عظمها

(٦) لَا يَصْبُو : لَا يَحْنُ وَلَا يَمِيلُ

نَفْسُ الصُّعْلُوكِ^(١) وَالْمَمْلُوكِ ، وَقَدْ قَالَ أَيْضًا فِي
 مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ هَذَا الْبَابِ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى :
 سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا
 سُمُوَ حَبَابِ^(٢) الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ
 فَقَالَتْ لِحَاكِ^(٣) اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي
 أَلَسْتَ تَرَى السُّمَارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي
 حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حِلْفَةً^(٤) فَاجِرٍ^(٥)
 لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِي^(٦)
 فَأَخْبَرَ هَهُنَا أَنَّهُ هَيِّنُ الْقَدْرِ عِنْدَ النِّسَاءِ ، وَعِنْدَ

(١) الصُّعْلُوكُ : الفقير . والجمع . صعاليك وصعاك

(٢) حباب الماء : نفاخاته التي تعلوه . والطل (٣) لحاك الله : قبحك

الله ولعنك (٤) الحلفة : واحدة الحلف . والحلف : القسم واليمين

(٥) الفاجر : المنبعث في المعاصي . ويجمع على فجار وفجرة

(٦) صالى : اسم فاعل من صلا بمعنى اصطفى

نَفْسِهِ بِرِضَاهُ ، قَوْلَهَا : حَلَاكَ اللَّهُ ، فَحَصَلَ عَلَى
 حَلَاكَ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ ، وَلَكَ الْوَيْلَاتُ مِنْ تِلْكَ ،
 فَشَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ ، أَنَّهُ مَكْرُوهٌ مَطْرُودٌ ، غَيْرُ مَرْغُوبٍ
 فِي مُوَاصَلَتِهِ ، وَلَا مَحْرُوصٍ عَلَى مُعَاشَرَتِهِ ، وَلَا
 مَرْضِيٍّ بِمُشَاكَلَتِهِ . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ رَضِيَ
 بِالْجَنَّةِ ^(١) وَالْفُجُورِ ^(٢) ، وَهَذِهِ أَخْلَاقٌ لَا خَلَاقَ لَهَا .
 ثُمَّ أَقَرَّ فِي مَكَانٍ آخَرَ مِنْ شِعْرِهِ ، بِمَا يَكْتُمُهُ
 الْأَحْرَارُ . وَلَا يَنِمُّ ^(٣) بِفَتْحِهِ إِلَّا الْأَوْضَاعُ ^(٤)
 الْأَشْرَارُ فَقَالَ :

(١) الجنة : الآثم والذنب . والحلف في اليمين (٢) الفجور :

الانبعاث في المعاصي (٣) ثم الحديث ينم نماً : سعى به ليقوم فتنه أو

وحشة وبين الناس : ورش وأغرى (٤) الأوضاع : المنحطون .

وَلَمَّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُهَا^(١) فَتَوْبًا نَسِيتُ وَتَوْبًا أُجِرْتُ
وَأَيُّ فَخْرٍ فِي الْإِقْرَارِ بِالْفَضِيحَةِ عَلَى نَفْسِهِ ،
وَعَلَى حُبِّهِ ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِ يَعْقُوبَ الْخَزَيْمِيِّ :
وَلَا أَسْأَلُ الْوَلَدَانَ عَنْ وَجْهِ جَارَتِي
بَعِيدًا وَلَا أُرْعَاهُ وَهُوَ قَرِيبُ
وَإِنَّمَا سَهَّلَ عَلَيْهِ كُلَّ هَذَا ، حِرْصُهُ عَلَى مَا كَانَ
مَمْنُوعًا مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُبْغِضًا إِلَى النِّسَاءِ جَدًّا
مَفْرُوكًا^(٢) مِمَّنْ مَلَكَ غَضَبَتَهَا لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ ذِكْرَتْ
وَكُلُّ مَنْ حَرَصَ عَلَى نَيْلِ شَيْءٍ فَمُنِعَ مِنْهُ فِعْلًا .
أَدْعَاهُ قَوْلًا . وَلَهُ أَشْبَاهُ فِيمَا أَتَاهُ . يَدْعُونَ مَا أَدْعَاهُ

(١) تسديتها : أقتها . يقال تسدى الثوب : أقام سداه

(٢) المفروك : المكروه الذي أبغضته النساء فهو مكروه ومغضوب عليه

إِفْكَاً^(١) وَزُوراً^(٢) ، وَكَذِباً وَفُجُوراً . مِنْهُمْ الْفَرَزْدَقُ
وَهُوَ الْقَائِلُ :

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً

كَمَا انْقَضَ بَازُ أَقْتَمِ^(٣) الرِّيشِ كَاسِرُهُ

فَهَذَا أَوَّلُ كِذْبَةٍ ، وَلَوْ قَالَ : مِنْ ثَلَاثِينَ قَامَةً ،

لَكَانَ كَازِباً لِنَقَاصِ الْأَرُشِيَّةِ^(٤) عَنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ

قَرَّعَهُ^(٥) جَرِيرٌ هَذَا فِي قَوْلِهِ :

تَدَلَّيْتُ تَرْنِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً

وَقَصَّرْتَ عَنْ بَاعِ الْعَلَا وَالْمَكَارِمِ

(١) الإِفْكَ والأُفْكَ : الكذب (٢) الزور : الكذب . والباطل .
والشرك بالله . يقال ما له زورٌ ولا صبور : أى لا قوة له ولا مرجع إليه
(٣) أَقْتَم : أسود (٤) الأَرُشِيَّة : جمع رشاء . والرشاء :
حبل الدلو (٥) قَرَّعَهُ : وبخه . فالتفريع : التوبيخ

وَكَانَ مُغْرَمًا بِالزُّنَا مُدْعِيًا فِيهِ ، وَقَدْ مُلِيَ بِمَوَانِعَ
تَصَدُّفُهُ^(١) عَنْهُ . مِنْهَا مَا شُهِرَ بِهِ مِنَ النَّمِيمَةِ^(٢)
بِمَنْ سَاعَدَهُ . وَالْإِدْعَاءِ عَلَى مَنْ بَاعَدَهُ ، وَمِنْهَا دِمَامَتُهُ^(٣)
وَمِنْهَا اشْتِهَارُهُ . وَالْمَشْهُورُ يَصِلُ إِلَى شَهْوَةٍ تَتَّبِعُهَا
رِيْبَةٌ^(٤) فَكَانَ يُكْثِرُ فِي شِعْرِهِ مِنْ ادْعَاءِ الزُّنَا .
وَاسْتِدْعَاءِ النِّسَاءِ وَهُنَّ أَغْلَظُ عَلَيْهِ مِنْ كَيْدِ بَعِيرٍ .
وَأَبْغَضُ فِيهِ وَأَهْجَى^(٥) لَهُ مِنْ جَرِيرٍ . وَخَذُ أَطْرَفٍ
هُوَ لَاءُ الْأَجْنَاسِ . وَهُوَ سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحُسَحَاسِ
أَسْيُودُ^(٦) فِي شَمْلَةٍ^(٧) ، دَنَسَةٍ^(٨) قَلَّةٍ^(٩) لَا يُوَاكِلُهُ

(١) تصدفة : تصرفه (٢) النَمِيمَةُ : السَمَى بَيْنَ النَّاسِ بِالْفُسَادِ
(٣) الدِمَامَةُ : قَبِيحُ الْخَلْقَةِ (٤) الرِيْبَةُ : الشَكُّ (٥) الْهَجَاءُ :
الْوُقُوعُ بِالشَّخْصِ وَتَعْدِيدُ مَعَايِهِ شِعْرًا (٦) يَرِيدُ مَحْقَرِ الْأَسْوَدِ اللَّوْنِ
(٧) الشَّمْلَةُ : كِسَاءٌ دُونَ الْقَطِيفَةِ يَشْتَمِلُ بِهِ (٨) دَنَسَةٌ : وَسْخَةٌ
(٩) الْقَمَلُ : ضَرْبٌ مِنَ الْحَشَرَاتِ يَعِيشُ عَلَى جِسْمِ الْإِنْسَانِ وَيَتَغَذَّى
بِدَمِهِ . وَالْوَاحِدَةُ قَلَّةٌ .

الْغَرَّانُ^(١) ، وَلَا يُصَالِيهِ^(٢) الصَّرْدُ^(٣) الْعُرْيَانُ . وَهُوَ
مَعَ ذَلِكَ يَقُولُ :

وَأَقْبَلَنَ مِنْ أَقْصَى^(٤) الْبُيُوتِ يَعِدُنِي

نَوَاهِدُ^(٥) لَا يَعْرِفُنْ خَلْقًا سِوَائِيَا

يَعُدُّنَ مَرِيضًا هُنَّ هَيَّجْنَ مَا بِهِ

أَلَا إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا

تُوسِدُنِي كَفًّا وَتَحْنُو بِمِعْصَمٍ^(٦)

عَلَى وَتَرْمِي رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا

فَأَنْتَ تَسْمَعُ هَذَا الْأَسْوَدَ الشَّنَّ^(٧) وَادِّعَاءَهُ ،

(١) الغرثان : الجائع . والجمع غرائ . وغرثي . وغرث

(٢) ولا يصاليه : يصطلي منه (٣) الصرد : الضعيف الذي

لا يصبر على البرد (٤) أقصى : أبعد (٥) نواهد : جمع ناهد .

والناهد : المرأة التي تتأثديها وتكعب (٦) المعصم : موضع السوار من

الساعد . والجمع معاصم (٧) الشن . والشنة : القرية الخلق الصغيرة

والجمع شنان . والمراد أن جلده تفضن عند الهرم حتى أصبح يشبه الثوب البالي

وَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَوْ أَخْلَى الْأَرْضَ ، فَلَمْ يُبْقِ رَجُلًا فِي
الطُّولِ وَلَا فِي الْعَرْضِ .

لَمْ يَكُنْ هَذَا الزَّئِمَةُ^(١) الزَّلْمَةُ عِنْدَ إِدْرَاكِ
السُّودَانِ إِلَّا كَبَعْرَةٍ^(٢) بَعِيرٍ^(٣) . فِي مَعْرِ^(٤) عَيْرٍ^(٥) .
وَالْمُنْعُ مِنْ الشَّيْءِ حَرِيصٌ عَلَيْهِ . مُدَّعٍ فِيهِ .
وَالْمُعَدَّ بِمَا يَهْوَاهُ . كَاتِمٌ لَهُ مُسْتَغْنٍ يُبْلُغُ مُنَاهُ .
وَدَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُرْقَشَ^(٦) الْأَكْبَرَ ، كَانَ مِنْ
أَجَلِ الرِّجَالِ ، وَكَانَتْ لِلنِّسَاءِ فِيهِ رَغْبَةٌ وَشِدَّةُ
مَحَبَّةٍ . وَكَانَ كَثِيرَ الْاجْتِمَاعِ بِهِنَّ . وَالْوُصُولِ

(١) الزلّة والذئمة : العبد (٢) البعرة : واحدة البعر وتجمع على
أبعار . والبعر والبعر . ربيع ذوات الخف والظلف (٣) البعير . الجمّل .
وقد يراد به الناقة ويجمع على بعران وأبعرة وجمع الجمع أباعر
(٤) المعر . الأرض رعتها الابل (٥) العير . الابل
(٦) المرقش الاكبر : هو عمرو . وقيل عوف بن سعد بن مالك ولقب
بذلك لقوله « رقش في ظهر الاديم قلم »

إِلَيْهِنَّ . وَلَهُ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ مَرْوِيَّةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ
 فِي أَشْعَارِهِ صِفَةٌ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . فَحَسْبُكَ بِذَلِكَ
 صِحَّةٌ عَلَى مَا قُلْنَا . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّمَا وَصَفْتَ
 عَنْ أَمْرِئِ الْقَيْسِ عُيُوبًا مِنْ خُلُقِهِ لَا فِي شِعْرِهِ .
 قُلْنَا : هَلْ أَرَادَ بِمَا وَصَفَ فِي شِعْرِهِ إِلَّا الْفَخْرَ^(١) .
 فَإِنْ قَالَ : لَمْ يُرِدْ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ إِظْهَارَ عَيْبِهِ ،
 قُلْنَا : فَأَحَقُّ^(٢) النَّاسِ إِذَا هُوَ . وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ .
 وَإِنْ قَالَ : نَعَمْ الْفَخْرُ قُلْنَا : فَقَدْ نَطَقَ شِعْرُهُ
 بِقَدْرِ مَا أَرَادَ ، وَتَرْجَمَ^(٣) وَتَرْجَمَ^(٤) عَنْهُ قَرِيضُهُ^(٥)

(١) الفخر : مصدر غفر . يقال غفر الرجل : تمدح بالخصال ، وبأعي
 بالمكارم ، إما فيه أو في آثائه . والفخر : العظم والكبر والشرف والتمدح
 (٢) الاحق : القليل العقل (٣) زجم زجماً : نبس . يقال : سكت
 فما زجم بحرف : أى ما نطق بحرف (٤) ترجم : فسر
 (٥) القرىض : الشعر

بَأَقْبَحِ الْأَوْصَافِ ، فَأَيُّ خَلٍّ ^(١) مِنْ خَلِّ الشَّعْرِ
 أَشَدُّ مِنْ الْإِنْعِكَاسِ ^(٢) وَالتَّنَاقُضِ ^(٣) . وَكُلُّ
 مَا يُخْزِي مِنَ الشَّعْرِ ، فَهُوَ مِنْ أَشَدِّ عُيُوبِهِ . قَالَ :
 وَمِنْ كَلَامِ امْرِئِ الْقَيْسِ الْمُخْلَخِلِ ^(٤) الْأَرْكَانِ .
 الضَّعِيفِ الْإِسْتِمَكَانِ . الْمُتَزَلُّزِلِ ^(٥) الْبُنْيَانِ . قَوْلُهُ :
 أَمْرُخٌ ^(٦) خِيَامُهُمْ أَمْ عُشْرٌ ^(٧)
 أَمْ الْقَلْبُ فِي إِثْرِهِمْ مُنْحَدِرٌ

(١) خلل : انفراج ما بين الشئين (٢) الانعكاس : الانقلاب
 (٣) التناقض : التخالف والتدافع (٤) المخلخل : المتقلقل والمتزعزع
 (٥) المتزلزل : المضطرب . (٦) المرخ : شجر سريع الوري يقتدح
 به . والمرخ بالكسر : الشجر اللين الرقيق . (٧) العشر : شجر فيه
 حراق لم يقتدح الناس في أجود منه . يخرج من زهره وشعبه سكر
 وفيه مرارة .

وَشَاقِذٌ^(١) يَنْ خَلِيطٍ^(٢) الشَّطْرُ

وَمِمَّنْ أَقَامَ مِنَ الْحَىِّ هِرٌّ^(٣)

وَهَرٌّ^(٤) تَصِيدُ قُلُوبَ الرِّجَالِ

وَأَفْلَتَ مِنْهَا ابْنُ عَمْرٍو حَجَرُ

فَأَنْتَ تَسْمَعُ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي لَا يَتَنَاسَبُ .

وَلَا يَتَوَاصَلُ وَلَا يَتَقَارَبُ ، وَلَا يَحْصُلُ مِنْهُ مَعْنَى

وَلَا فَائِدَةٌ ، سِوَى أَنَّ السَّامِعَ يَذَرِي أَنَّهُ يَذْكُرُ

فُرْقَةً مِنْ أَحْبَابٍ ، لَكِنَّ ذَلِكَ عَنْ تَرْجَمَةٍ مُعْجَمَةٍ .

مُضْطَرِبَةٍ مُنْقَلِبَةٍ . سَأَلَ عَنِ الْخِلَامِ ، أَمْرَخُ هِيَ

(١) الشاقذ : البعيد والنائي (٢) الخليط : الزوج والساكن

والخالط والمعاشر ولين مخلوط مجاوز . وخليط من الناس أوباش مختلطون .

والجمع خلط . وخطاء . ومن قوله تعالى (وان كثيراً من الخطاء)

(٣) الهر : سبيء الخلق . (٤) وهر : أى وامرأة . على التشبيه

بالهرة فى حبها لأولادها . ففى كذلك تعب الرجال وتصيد قلوبهم

أَمْ عَشْرٌ ، وَلَيْسَتْ إِنْخِيَامٌ مَرَحًا وَلَا عُشْرًا ، وَإِنَّمَا
هُمَا عُودَانِ . فَإِنْ أَرَادَ فِي مَكَانٍ هَذَيْنِ إِنْخِيَامٌ ،
فَقَدْ نَقَضَ مُعَمَدَةَ الْكَلَامِ ، لِأَنَّ مَرَحَهُ وَعُشْرَهُ أَتَى
بِهِمَا نِكْرَتَيْنِ ، فَأَشْكَلَ بِذَلِكَ . وَإِنَّمَا يَجُوزُ لَوْ
جَعَلَهُمَا مَعْرِفَةً بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ ، وَالْوِزْنَ لَا يُسَاعِدُهُ
عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ :

أَمْ الْقَلْبُ فِي إِثْرِهِمْ مُنَحْدِرُ

وَلَيْسَ هَذَا السُّؤَالُ مِنَ السُّؤَالِ الْأَوَّلِ فِي شَيْءٍ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ بَعِيدٍ . وَاحْتِيَالٍ شَدِيدٍ وَقَالَ بَعْدَ هَذَا :
وَشَاقِذٍ بَيْنَ الْخَلِيطِ الشَّطْرُ

وَمِنْ أَقَامَ مِنْ الْحَى هِرُ

فَأَتَى بِكَثِيرِ كَلَامٍ لَا يُفِيدُ إِلَّا قَلِيلَ مَعْنَى .

وَذَلِكَ الْقَلِيلُ لَا غَرِيبٌ وَلَا عَجِيبٌ . وَهُوَ كُلُّهُ
 ذِكْرُ فِرَاقٍ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَنَّ هِرَّ مُقِيمَةٌ تَصِيدُ
 قَلْبَهُ وَقَلْبَ غَيْرِهِ ، فَأَبْطَلَ بِإِقَامَتِهَا كُلَّ مَا قَالَ
 مِنْ أَخْبَارِ الْفِرَاقِ وَتَقْضَاهُ ، وَجَعَلَ بُكَاءُ الْمُتَقَدِّمِ
 لِغَيْرِ شَيْءٍ . ثُمَّ قَالَ :

وَأُفْلِتَ مِنْهَا ابْنُ عَمْرِو حُجْرٍ

فَحَسَنَ عِنْدَهُ أَنْ يُخْبِرَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ صَادَتْ
 هِرٌّ قُلُوبَ جَمِيعِهِمْ إِلَّا قَلْبَ حُجْرٍ أَبِيهِ . وَهَذَا
 مِنَ الْأَحَادِيثِ الرَّكِيكَةِ ، وَالْأَخْبَارِ الَّتِي مَا بِأَحَدٍ
 حَاجَةً إِلَيْهَا . وَمَعَ هَذَا ، فَقَدْ أوردَ أَصْحَابُ الْأَخْبَارِ ،
 أَنَّ هِرَّ هَذِهِ كَانَتْ زَوْجَةَ أَبِيهِ حُجْرٍ ، فَانْظُرْ مَا فِي

جُمْلَةً هَذِهِ الْأَيَّاتِ مِنَ الرَّاكَّاتِ^(١) . وَقِيلَةَ
 الْإِفَادَاتِ . فَإِنَّهَا لَا تُفِيدُ قِلَامَةً^(٢) وَلَا تَهْزُ ثُمَامَةً^(٣) .
 وَلَسْنَا نُكِرُ بِهِذِهِ الْعُيُوبِ وَنَزَارَتِهَا^(٤) ، مَا أَقَرَرْنَا
 لَهُ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَنَدَارَتِهَا^(٥) . وَسَتَجِدُ مَنْ
 لَا يُصَدِّقُ مُعَاصِرًا . وَلَا يَصْدُقُ^(٦) عَلَى مُتَقَادِمٍ
 مُتَأَخِّرًا . يَبْنِي عَلَى ضَعْفِ أُسِّهِ^(٧) : وَيَفْدِيهِ مِنْ
 الْجَهْلِ وَالْعَيْبِ بِنَفْسِهِ . فَإِذَا اعْتَزَّضَكَ مِنْ هَذَا

(١) الركاكات : جمع ركاكة . وركاكة مؤنث الركيك . والركيك من
 الكلام : السخيف الألفاظ والمعاني (٢) القلامة بالضم والتخفيف : ما سقط
 من الشيء المقالوم . وهي مثل في الخسيس الحقير
 (٣) ثمامة : واحدة الثمام . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه
 بالخوص ، وربما حشى به وسد به خصاص البيوت ، ولأنه لا يطول ،
 يضرب به المثل لما هو هين المتناول . فيقال : « هولك على طرف الثمام »
 كناية عن شدة القرب (٤) نزارتها : مصدر نزر . والنزر : القليل
 النافه (٥) ندارة : مصدر ندر . يقال ندر الكلام : فصح وجاد وكان
 غريباً (٦) لا يصدق الخ : أى لا ينقل عنه صدقاً (٧) الأس والأساس :
 أصل البناء وقاعدته . وأصل كل شيء . ويجمع على أساس وأسس

النَّمَطُ ^(١) مُتَعَرِّضٌ، فَأَعْرِضْ عَنْهُ وَدَعُهُ عَلَى أَخْلَاقِهِ .
مُسْتَمْتِعًا ^(٢) بِمَخْلَاقِهِ ^(٣) . وَاتَّبِعِ الْمَسْلَكَ الَّذِي
أَوْضَحْتُهُ لَكَ .

قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَفُضِّلَاءُ الشُّعَرَاءِ كَثِيرٌ جِدًّا ،
وَلِكُلِّ سَقَطَاتٍ ^(٤) ، وَسَاقِفُكَ عَلَى بَعْضِهَا ، لِعَظِيمِ
الْمُؤَنَةِ ^(٥) فِي الْإِحَاطَةِ بِهَا ، لَيْسَ إِلَّا لِأَوْضَحَ بِذِكْرِهَا
مَنْهَجًا ^(٦) مِنْ مَنْهَجِ النَّقْدِ ، لَا حِرْصًا عَلَى بُغْضِ
الْفُصَحَاءِ ^(٧) . وَلَا قَصْدًا إِلَى تَهْجِينِ ^(٨) الصُّرَحَاءِ ^(٩) .

(١) النمط : ثوب صوف ، له خمل رقيق ولون واحد يطرح على الهودج .
والطريقة من الشيء . : « يقال هذا من نمط ذاك » . والجماعة الذين أمرهم
واحد . والجمع أنماط ونماط (٢) المستمتع : المتنفع (٣) الخلاق :
النصيب من الخير (٤) سقطات : جمع سقططة . والسقططة : الزلة
(٥) المؤنة : المشقة والتعب (٦) المنهج : الطريق (٧) الفصحاء : جمع
فصيح . والفصيح : البليغ (٨) التهجين : الذم والتفبيح (٩) الصرحاء :
جمع صريح . والصريح : البين الواضح . والخالص من كل شيء

وَأَيَّةُ رَغْبَةٍ لَنَا فِي ذَلِكَ ، وَهُمْ جُرْثُومَةٌ ^(١) فُرُوعَنَا ،
وَبِهِمْ افْتِخَارُ جَمِيعِنَا .

قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ : عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ بِهِ ،
وَوَصَفَهُ غَيْرُنَا مِنْ الْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةِ ، فِي هَذِهِ الصَّنْعَةِ
مِنْ مُذْهَبِهِ ^(٢) الْحِكْمِيَّةِ ^(٣) . وَمُعَلَّقَتِهِ الْعَامِيَّةِ .

رَأَيْتُ الْمُنَايَا ^(٤) خَبَطَ عَشَوَاءَ ^(٥) مَنْ تَصِيبُ

نَمَتُهُ وَمَنْ تَخْطِي يُعَمَّرُ فِيهِمْ
وَقَدْ غَلِطَ فِي وَصْفِهَا بِخَبَطِ الْعَشَوَاءِ ، عَلَى أَنَّ
لَا نَطَالِبُهُ بِحُكْمٍ دِينِنَا . لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى شَرِّعِنَا .

(١) الجرثومة والجرثومة : أصل الشيء (٢) المذاهب : سبعُ
قصائد . تعد في الطبقة الثانية من الشعر (٣) الحكمة نسبة إلى
الحكمة . والحكمة : العلم . وصواب الأمر وسداده . والحلم .
ومعرفة الأشياء بعلاها وأسبابها (٤) المنايا : جمع منية . وهي الموت
(٥) خبط عشواء : تخطي وتصيب

بَلْ نَطْلُبُهُ بِحُكْمِ الْعَقْلِ فَنَقُولُ إِنَّمَا يَصِحُّ قَوْلُهُ :
 لَوْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَمُوتُ ، وَبَعْضُهُمْ يَنْجُو ،
 وَقَدْ عَلِمَ هُوَ وَعَلِمَ الْعَالَمُ . حَتَّى الْبَهَائِمُ . أَنَّ سِيَاهُمْ^(١)
 الْمَنِيَا ، لَا تُخْطِئُ شَيْئًا مِنَ الْحَيَوَانِ ، حَتَّى يَعْمَهَا
 رَشَقُهَا^(٢) ، فَكَيْفَ يُوصَفُ بِحَبْطِ الْعَشَوَاءِ ، رَامٍ
 لَا يَقْصِدُ غَرَضًا مِنَ الْحَيَوَانِ إِلَّا أَقْصَدَهُ^(٣) ، حَتَّى
 يَسْتَكْمِلَ رَمِيَّاتِهِ . فِي جَمِيعِ رَمِيَّاتِهِ^(٤) . وَإِنَّمَا أَدْخَلَ
 الْوَهْمَ عَلَى زُهَيْرٍ ، مَوْتُ قَوْمٍ عَبْطَةٌ^(٥) ، وَمَوْتُ
 قَوْمٍ هِرْمًا ، وَظَنُّوا طُولَ الْعُمُرِ ، إِنَّمَا سَبَبُهُ إِخْطَاءُ

(١) سهام : جمع سهم . والسهم : النبله يرمي بها . والمراد من
 سهام المنايا مقاصدها ومراميها (٢) رشقها : رميها . فالرشق : الرمي
 (٣) أقصده : أصابه (٤) رميات : جمع رمية : وهى الغرض المرمى
 (٥) العبطة : الاعتبار : وهو الموت لغير علة . يقال مات فلان عبطة :
 أى صحيحاً شاباً قال أمية أبى الصلت :
 من لم يمت عبطة يمت هرماً الموت كآس فالمرء ذاتها

الْمَنِيَّةُ ، وَسَبَبُ قِصَرِهِ إِصَابَتُهَا ، وَهَيْهَاتَ الصَّوَابُ
 مِنْ ظَنِّهِ ، لَمْ يُؤَخَّرِ الْهَرِمُ ، إِلَّا أَنَّهَا قَصَدَتْهُ ،
 فَحِينَ قَصَدَتْهُ أَصَابَتْهُ . وَلَوْ أَنَّ الرُّمَّةَ تَهْتَدِي
 كَاهْتِدَائِهَا . لَمَلَّتْ أَيْدِيهَا بِأَقْصَى رَجَائِهَا .

وَقَالَ زُهَيْرٌ أَيْضًا فِي مُذَهَّبِهِ :

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ^(١) عَنْ حَوْضِهِ^(٢) بِسِلَاحِهِ

يُهْدَمُ^(٣) وَمَنْ لَا يُظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمَ

وَقَدْ تَجَاوَزَ هَذَا الْحَقُّ إِلَى الْبَاطِلِ ، وَبَنَى قَوْلًا

يَنْقُضُهُ جَرِيَانُ الْعَادَةِ ، وَشَهَادَةُ الْمُشَاهَدَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ

الظُّلْمَ وَغَرَّةً^(٤) مَرَاكِبُهُ ، مَذْمُومَةٌ عَوَاقِبُهُ ، فِي

(١) يذد : يدفع . من الذود وهو الدفع (٢) حوضه : أى عرضه

وشرفه ونسبه . تشبيهاً بمن يذود عن حوضه (٣) يهدم : يستباح

(٤) وعرة : مؤنث الوعر . والوعر : الصعب

جَاهِلِيَّتِهِ وَإِسْلَامِنَا . فَخَرَضَ فِي شِعْرِهِ عَلَيْهِ ، وَإِنْ
كَانَ ، إِنَّمَا أَشَارَ فِي شِعْرِهِ ، إِلَى أَنَّ الظَّالِمَ يُرْهَبُ ،
فَلَا يَظْلَمُ ، فَهَذَا قِيَاسٌ يَنْفَسِدُ ، وَأَصْلُهُ لَيْسَ يَطْرُدُ ،
لَكِنْ يُرْهَبُهُ مَنْ هُوَ أَوْعَفُّ مِنْهُ ، وَرُبَّمَا انْتَقَمَ مِنْهُ
بِالْحِيلَةِ وَالْمَكِيدَةِ . وَقَدْ يَظْلِمُ الظَّالِمُ مَنْ يَغْلِبُهُ ،
فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ هَلَاكِهِ مَعَ قَبَاحَةِ السَّيِّئَةِ ^(١) بِالظُّلْمِ ،
وَالْمَثَلُ إِنَّمَا يُضْرَبُ بِمَا لَا يَنْخَرِمُ ^(٢) . وَقَدْ كَانَتْ لَهُ
مَنْدُوحَةٌ وَاتِّسَاعٌ ، فِي أَنْ يَقُولَ يَهْدَمُ ، وَمَنْ لَا يَظْلِمُ
النَّاسُ يَظْلِمُ ، فَهَذَا أَصَحُّ وَأَسْلَمُ لِمَنْ لَا يُظْلَمُ وَيَظْلِمُ .
قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَقَالَ زُهَيْرٌ أَيْضًا ، وَهُوَ مِنْ
أَطْيَبِ شِعْرِهِ ، وَأَمْلَحِهِ عِنْدَ الْعَامَّةِ ، وَكَثِيرٍ مِنْ

(١) السمة مصدر : بمعنى العلامة (٢) لا ينخرم : لا ينقص

الْخَاصَّةَ ، فَهِنَّ تَحْفَظُ وَتَأْمَلُ ، وَلَا يَهْلِكُ ذَلِكَ مِنْهُنَّ .
الْحَقُّ أَبْلَجٌ ^(١) . قَالَ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا ^(٢)

كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

مَدَحَ بِهَا شَرِيفًا أَيْ شَرِيفٍ ، فَجَعَلَ سُرُورَهُ
بِقَاصِدِهِ ، كَسُرُورِهِ بِمَنْ يَدْفَعُ شَيْئًا مِنْ عَرْضِ
الدُّنْيَا إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ مِنْ صِفَاتِ النُّفُوسِ الْعَارِفَةِ
السَّامِيَةِ ، وَاهْمَمَ الشَّرِيفَةُ الْعَالِيَةِ ، إِظْهَارُ السُّرُورِ
إِلَى أَنْ تَهَلَّلَ وَجُوهُهُمْ ، وَتُسَرَّ نُفُوسُهُمْ بِبَهَةِ
الْوَاهِبِ ، وَلَا شِدَّةُ الْإِبْتِهَاجِ بِعُطِيَّةِ الْمُعْطَى ،
بَلْ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ سُقُوطُ هِمَّةٍ وَصِغَرُ نَفْسٍ ، وَكَثِيرٌ

(١) أبلج : واضح ظاهر (٢) متهللاً . متلألئ الوجه من الفرح والسرور

مِنْ ذَوَى النُّفُوسِ النَّفِيسَةِ^(١) ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّئِيسَةِ^(٢)
 لَا يُظْهِرُ الشُّرُورَ مَتَى رُزِقَ مَالًا عَفْوًا^(٣) ، بِلَا مِنَّةٍ^(٤)
 مُنِيلٍ^(٥) ، وَلَا يَدٍ مُعْطٍ مُسْتَطِيلٍ^(٦) ، لِأَنَّهُ عِنْدَ
 نَفْسِهِ أَكْبَرُ مِنْهُ ، وَلِأَنَّ قَدَرَ الْمَالِ يَقْصُرُ عَنْهُ ،
 فَكَيْفَ يُمدِّحُ مَلِكٌ كَبِيرٌ كَثِيرُ الْقَدْرِ ، عَظِيمُ
 الْفَخْرِ ، بِأَنَّهُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ وَيَمْتَلِي سُرُورًا قَلْبُهُ ،
 إِذَا أُعْطَاهُ سَائِلُهُ مَالًا ، هَذَا تَقْضِي الْبِنَاءِ ، وَمَحْضُ^(٧)
 الْهَجَاءِ ، وَالْفُضْلَاءُ يَفْخَرُونَ بِضِدِّ هَذَا . قَالَ بَعْضُهُمْ :
 وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّانِي
 وَلَا جَزَعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبُ

(١) النفيسة : عالية القدر (٢) الرئيسة : السامية (٣) العفو :
 الصفح . والتسامح . والمراد هنا . بلا تعب (٤) المنة : الاحسان والانعام
 (٥) منيل : معط . والمراد بلا أعطاء معط (٦) مستطيل :
 متفضل متطاوول (٧) محض الهجاء : خالصه

وَإِنَّمَا غَرَّ زُهَيْرًا ، وَغَرَّ الْمُسْتَحْسِنَ يَتَّهُ هَذَا ،
 مَا جُبِلُوا^(١) عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْعَطَاءِ وَمَا جَرَتْ بِهِ
 عَادَاتُهُمْ ، مِنْ الرَّغْبَةِ فِي الْهِيَاتِ وَالِاسْتِجْدَاءِ^(٢) ،
 وَلَيْسَ كُلُّ الْهَمِّ تَسْتَحْسِنُ ذَلِكَ ، وَلَا كُلُّ الطُّبَاعِ
 تَسْلُكُ هَذِهِ الْمَسَالِكِ . قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَقَالَ زُهَيْرُ
 أَيْضًا : يَمْدَحُ سَادَةً^(٣) مِنَ النَّاسِ ، فَذَمَّهُمْ بِأَنْوَاعِ
 الذَّمِّ ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى اسْتِحْسَانِ مَا قَالَ ، بَلْ
 أَظُنُّ كُلَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُهُ :

عَلَى مُكْتَرِيهِمْ^(٤) حَقٌّ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ^(٥)

وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ^(٦) السَّمَاحَةُ^(٧) وَالْبَذْلُ^(٨)

(١) ما جُبِلُوا : طُبِعُوا (٢) الاستجداء : طالب الأعطاء (٣) السادة :
 الأعطاء (٤) مكتريهم جمع مكتر : والمكتر : ذو المال الكثير (٥) يعتريهم :
 يقصد ناحيتهم (٦) المقلين : جمع مقل . والمقل اسم فاعل : الفقير وفيه
 بقية (٧) السماحة : الجود (٨) البذل : العطاء والكرم

فَأَوَّلُ مَا ذَمَّهُمْ بِهِ ، إِخْبَارُهُ أَنَّ فِيهِمْ مُكْثِرِينَ
وَمُقَلِّينَ ، فَلَوْ كَانَ مُكْثِرُوهُمْ كَرَمَاءَ لَبَذَلُوا لِمُقَلِّبِهِمْ
الْأَمْوَالَ حَتَّى يَسْتَوُوا فِي الْحَالِ ، وَيُشَبَّهُوا فِي
الْكَرَمِ وَالْحَالِ ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ حَسَّانُ :

الْمُلْحِقِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ

وَالْمُسْتَفِقِينَ عَلَى الْيَتِيمِ الْمُرْمِلِ

الْمُرْمِلُ : الْقَلِيلُ الْمَالِ ، وَأُرْمَلَ الرَّجُلُ : إِذَا
قَلَّ زَادُهُ . وَكَأَ قَالَ غَيْرُهُ :

الْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ

حَتَّى يَعُودَ فَقِيرَهُمْ كَالْكَافِي^(١)

وَكَأَ قَالَتْ اخْرِقْ :

(١) الكافي : المستغنى عن سواه

اَخَالِطِينَ لَجِينَهُمْ^(١) بِنُضَارِهِمْ^(٢)

وَذَوَى الْغَنَى مِنْهُمْ بِذَى الْفَقْرِ
فَهَذَا كُلُّهُ - وَأَيُّكَ - غَايَةُ الْمَدْحِ ، التَّقِيُّ مِنَ
الْقَدَحِ ، ثُمَّ اسْتَمِعْ مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ سِوَى هَذَا مِنْ
الْحُلَلِ^(٣) وَالزَّلَلِ^(٤) . قَالَ :

عَلَى مُكْثَرِيهِمْ حَقٌّ مَنْ يَغْتَرِيهِمْ
وَعِنْدَ الْمُثْقَلِينَ السَّامِحَةُ وَالْبَذْلُ
فَفِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ، عُيُوبٌ عَلَى الْمُكْثَرِينَ ، مِنْهَا
أَنَّهُمْ ضَيَعُوا الْقَرِيبَ كَمَا قَدَّمْنَا ، وَرَعَوْا حَقَّ الْغَرِيبِ ،
وَصِلَةُ الرَّحِمِ أَوْلَى مَا بُدِئَ بِهِ ، وَمِنْ مَكَارِمِ الْعَرَبِ ،

(١) اللجين : الفضة (٢) النضارُ : الذهب الخالص

(٣) الحُلل : الفساد والوهن في الأمر (٤) الزلل : النقصان

حَمِيَّتَهَا^(١) لِدَوَى أَنْسَابِهَا ، وَذَبْهَهَا^(٢) عَنْ أَحْسَابِهَا ،
وَالْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَلِلْأَبْعَدِ ،
ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ الْمُكْثَرِينَ لَيَسُؤُوا يَسْمَحُونَ بِأَكْثَرِ مِنْ
الِاسْتِحْقَاقِ فِي قَوْلِهِ :

عَلَى مُكْثَرِيهِمْ حَقٌّ مِنْ يَغْتَرِيهِمْ
وَمَنْ أَعْطَى الْحَقَّ فَإِنَّمَا أَنْصَفَ^(٣) ، وَلَمْ يَتَفَضَّلْ
بِمَا وَرَاءَ الْإِنْصَافِ^(٤) ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْإِنْصَافِ أَمْدَحُ .
ثُمَّ أَخْبَرَ فِي الْبَيْتِ ، أَنَّ الْمُقْلِينَ عَلَى قَدَرِ قُصُورِ
أَيْدِيهِمْ ، أَكْرَمُ طِبَاعًا مِنْ مُكْثَرِيهِمْ عَلَى قَدَرِهِمْ
فِي قَوْلِهِ :

وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ

(١) الحمية : الأئمة . والنخوة . والمروءة . (٢) الذب : الدفع والمنع

(٣) أنصف : عدل (٤) الأنصاف : العدل والمساواة

وَالْبَذْلُ مَعَ الْإِقْلَالِ ، مَدْحٌ عَظِيمٌ وَإِشَارَةٌ ،
وَالسَّمَاحَةُ إِعْطَاءٌ غَيْرُ اللَّازِمِ ، فَدَحَ بِشِعْرِهِ هَذَا
مَنْ لَا يَحْظَى مِنْهُ بِطَائِلٍ ^(١) . وَذَمَّ الَّذِينَ يَرْجُو مِنْهُمْ
جَزِيلَ النَّائِلِ ^(٢) ، وَهَذَا غَايَةُ الْغَلَطِ فِي الْإِخْتِيَارِ ،
وَفِي تَرْتِيبِ الْأَشْعَارِ ، وَلِزُهَيْرٍ غَيْرُ هَذَا مِنْ
السَّقَطَاتِ ، لَوْلَا كُفَّةُ الْإِسْتِقْصَاءِ ^(٣) ، هَذَا عَلَى
اشْتِهَارِهِ بِأَنَّهُ أَمْدَحُ الشُّعْرَاءِ ، وَأَجْزَلُ الْوَافِدِينَ
عَلَى الْأَشْرَافِ وَالْأُمَرَاءِ ، وَسَيَتَعَامَى الْمُتَعَصِّبُ لَهُ
عَنْ وُضُوحِ هَذَا الْبَيَانِ ، وَسَيُنْكَرُ جَمِيعَ هَذَا
الْبُرْهَانِ ، وَيَجْعَلُ التَّفْتِيشَ عَنْ غَوَامِضِ اخْطَاٍ

(١) الطائِل اسم فاعل من الطول . وهو القدرة والسعة . والمراد أنه
لم يظفر منه بطائِل أى بفائدة أو بنفع (٢) النائل اسم فاعل : وهو
العطاء والجلود (٣) الاستقصاء : التبع . والاستقراء

وَالصَّوَابِ ، اسْتِقْصَاءٌ وَظُلْمًا ، وَمُطَابَلَةٌ وَهَضْمًا ،
 وَزَعَمَ أَنَّ جَمِيعَ الشُّعْرِ ، لَوْ طُلِبَ هَذِهِ الْمُطَابَلَةُ ،
 لَبَطَلَ صَحِيحُهُ ، وَانْعَجَمَ فَصِيحُهُ ، وَالْبَاطِلُ الَّذِي زَعَمَ ،
 وَالْمُحَالُ الَّذِي بِهِ تَكَلَّمَ ، فَالسَّلِيمُ سَلِيمٌ ، وَالْكَلِيمُ^(١)
 كَلِيمٌ ، وَإِنَّمَا سَمِعَ الْمُسْكِينُ أَنَّ أَمْلَحَ الشُّعْرِ
 مَا قَلَتْ عِبَارَاتُهُ . وَفُهِمَتْ إِشَارَاتُهُ ، وَلُمِحَتْ^(٢)
 لُمَحُهُ^(٣) ، وَمَلَحَتْ^(٤) مُلَحُهُ^(٥) ، وَرُقِقَتْ^(٦) حَقَائِقُهُ^(٧) ،
 وَحُقِّقَتْ^(٨) رَقَائِقُهُ^(٩) ، وَاسْتُغْنِيَ بِلُمَحِهِ الدَّالَّةُ ،
 عَنِ الدَّلَائِلِ الْمُتَطَاوِلَةِ ، وَأَمْثَالِ هَذَا الْكَلَامِ ،

(١) الكليم : صفة مشبهة بمعنى المكلوم . والكلم : الطعن والجرح

(٢) لُحِت : أَبْصُرَتْ بِعَجَلَةٍ (٣) لُحِي : أَشَارَاتُهُ (٤) مَلَحَتْ :

بَهَجَتْ وَحَسَنَ مَنْظَرَهَا (٥) مُلَحَهُ : مَحَاسِنُهُ . جَمْعُ مُلَحَةٍ . وَهِيَ مَا حَسَنَ
 مِنَ الْحَدِيثِ وَاسْتَمْلَحَ (اسْتَظَرَفَ) (٦) رُقِقَتْ : مُحْسِنَتْ

(٧) حَقَائِقُهُ : جَمْعُ حَقِيقَةٍ . وَالْمُرَادُ ضِدَّ الْحِجَازِ (٨) حَقَّقَتْ : تَحَقَّقَتْ

وَتَيَقَّنَتْ (٩) رَقَائِقُهُ : جَمْعُ رَقِيقَةٍ : وَهِيَ السَّهْلَةُ اللَّطِيفَةُ

فِي اسْتِعْمَالِ النَّظَامِ ، فَتَوَهَّمُ أَنَّ خَلَلَ الشَّعْرِ وَزَلَلَهُ ،
وَضَعْفَ أَرْكَانِهِ ، وَتَنَاقُضَ بُنْيَانِهِ ، وَانْقِلَابَ لَفْظِهِ
لَعَوًى ، وَأَنعِكَاسَ مَدْحِهِ هَجَوْ ، دَاخِلٌ فِيمَا قَدَّمْنَا
مِنَ الْأَوْصَافِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، مِنْ لُجَجِ إِشَارَاتِهِ ، وَمُلَحِ
عِبَارَاتِهِ . فَعَامِلٌ هَذَا الصَّنْفَ بِعَطْفِكَ عَنْهُمْ لِلْعَطْفِ ،
وَرَفْعِكَ عَلَيْهِمُ الْأَنْفَ . وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ بِالْفِكْرِ
وَالذِّكْرِ كِبَرًا ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِبَرِ .
وَفِيمَا أَطْلَعْتُكَ عَلَيْهِ مِنْ شِعْرِ هَذَيْنِ الْفَحْلَيْنِ ^(١) ،
وَالْمُتَقَدِّمَيْنِ ^(٢) الْقَدِيمَيْنِ ^(٣) ، مَا يُغْنِي عَنِ التَّفْتِيشِ عَلَى
سَقَطَاتِ سِوَاهُمَا ، فَقَسْ عَلَى مَا لَمْ تَرَهُ بِمَا تَرَى ،

(١) خول الشعراء : الغالبون المفضلون منهم (٢) المتقدمين :

السابقين (٣) القديمين : السديين

وَأَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ^(١) فِي جَنْبِ^(٢) الْفَرَا^(٣) .
 قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَمِنْ عُيُوبِ الشَّعْرِ اللَّحْنُ الَّذِي
 لَا تَسْمَعُهُ فُسْحَةٌ^(٤) الْعَرِيَّةِ ، كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :
 وَعَضَّ^(٥) زَمَانُ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ

مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا^(٦) أَوْ مُجْلَفًا^(٧)

فَرَفَعَ مُجْلَفًا وَحَقَّهُ النَّصَبُ ، وَقَدْ تَحَيَّلَ لَهُ بَعْضُ
 النَّحْوِيِّينَ ، بِكَلَامٍ كَالضَّرِيعِ^(٨) ، لَا يُسْمَنُ وَلَا يُغْنَى
 مِنْ جُوعٍ ، وَكَقَوْلِ جَرِيرٍ الْخَطَفَى :

(١) الصيد : المراد به المصيد (٢) صحته في جوف الفرا كما في مجمع
 الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني وهو حديث
 (٣) قال ابن السكيت : الفرا : الحمار الوحشي . وجمعه فراء . وهو مثل
 يضرب لمن يفوق أقرانه (٤) الفسحة : السعة (٥) وعض زمان : أي
 اشتداد الفقر (٦) مسحتاً : خبيثاً قليلاً لا بركة فيه (٧) المجلف :
 المال الذي تبقى منه بقية (٨) الضريع : نبات سيئ المرعى

وَلَوْ وَلَدْتُ فَقِيرَةً جَرَوْ^(١) كَلْبَ
لَسُبَّ بِذَلِكَ الْجَرَوِ الْكِلَابَا
فَنَصَبَ الْكِلَابَا بغيرِ نَاصِبٍ ، وَقَدْ تَحَيَّلَ أَيْضًا
بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ عَلَى وَجْهِ . الْإِقْفَاءِ أَحْسَنُ مِنْهُ ،
فَاحْذَرْ هَذَا وَمِثْلَهُ ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ بِفَسِيحٍ
مِنَ الْعُذْرِ ، فَكَيْفَ بِضَيْقِ صَنْكِ . قَالَ :
وَمِمَّا يُعَابُ بِهِ الشَّعْرُ ، وَيَسْتَهْجَنُ النَّقْدُ ، خُسُونَةُ
حُرُوفِ الْكَلِمَةِ ، كَقَوْلِ جَرِيرٍ :
وَتَقُولُ بَوَزَعٍ قَدْ دَيْتَ^(٢) عَلَى الْعَصَا
هَلَّا هَزَنْتِ بغيرِ نَا يَا بَوَزَعٍ
وَهَذَا الْيَتُّ فِي قَصِيدَةٍ مِنْ أَحْلَى قَصَائِدِ جَرِيرٍ

(١) الجرؤ : ولد الكلب (٢) ديت : مشيت

وَأَمْلَحَهَا ، وَأَجْزَلَهَا وَأَفْصَحَهَا . فَثَقُلْتَ الْقَصِيدَةُ
 كُلُّهَا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ . وَلِلْفَرَزْدَقِ أَيْضًا لَفْظَاتٌ خَشِنَةٌ
 الْحُرُوفِ كَهَذِهِ تَجِدُهَا فِي شِعْرِهِ . قَالَ : وَيَكْرَهُ
 النُّقَادُ تَعْقِيدَ الْكَلَامِ فِي الشَّعْرِ ، وَتَقْدِيمَ آخِرِهِ
 وَتَأْخِيرَ أَوَّلِهِ ، كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :
 وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا
 أَبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبُوهُ يُنَاسِبُهُ^(١)

يَمْدَحُ بِهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامٍ الْمُخْزُومِيَّ ، وَهُوَ خَالَ
 هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَمَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ ، أَنَّ
 إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامٍ ، مَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَتَّى إِلَّا مُمْلَكٌ ،
 يَعْنِي هِشَامًا ، أَبُو أُمِّهِ أَيْ جَدُّ هِشَامٍ لِأُمِّهِ أَبُو إِبْرَاهِيمَ ،

(١) في مجمع الأمثال للامام النيسابوري وغيره « يقاربه »

هَذَا الْمَمْدُوحُ ، فَهُوَ خَالُهُ أَخُو أُمِّهِ ، فَهُوَ يُشَبِّهُهُ
 فِي النَّاسِ لَا غَيْرُ ، وَهَذَا غَايَةُ التَّعْقِيدِ^(١) وَالتَّنْكِيدِ^(٢) ،
 وَلَيْسَ تَحْتَهُ شَيْءٌ سِوَى أَنَّهُ شَرِيفٌ ، كَابْنِ أُخْتِهِ
 الشَّرِيفِ .

قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَمِنْ شَرِّ عُيُوبِ الشَّعْرِ كُلِّهَا
 الْكَسْرُ^(٣) ، لِأَنَّهُ يُخْرِجُهُ عَنْ نَعْتِهِ شِعْرًا ، وَلَيْسَ مِمَّا
 يَقَعُ لِمَنْ نَعِتَ بِشَاعِرٍ . فَأَمَّا الْإِقْوَاءُ^(٤) . وَالْإِيطَاءُ^(٥) .
 وَالسَّنَادُ^(٦) . وَالْإِكْفَاءُ^(٧) . وَالزَّحَافُ^(٨) . وَصَرَفُ^(٩)

(١) التعقيد : جعل الكلام غير ظاهر الدلالة (٢) التنكيد : الم

(٣) الكسر في الشعر : مخالفة البيت أو جزء منه لأجزاء البحر

(٤) الإقواء في الشعر اختلاف حركات الروي (٥) الإيطاء في

الشعر : تكرير القافية لفظاً ومعنى (٦) السناد في العروض كل عيب في

القافية قبل الروي (٧) الإكفاء في الشعر : اختلاف الروي بحروف

متقاربة الخارج (٨) الزحاف في العروض : تغيير يلحق ثانی الأسباب

(٩) الصرف : التنوين

مَا لَا يَنْصَرِفُ، فَكُلُّ ذَلِكَ يُسْتَعْمَلُ، إِلَّا أَزَّ السَّالِمِ
 مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ أَجْمَلُ وَأَفْضَلُ. قَالَ: وَمِنْ عُيُوبِهِ
 الْمَذْمُومَةِ، مُجَاوِرَةُ الْكَلِمَةِ مَا لَا يَنْاسِبُهَا، وَلَا يُقَارِبُهَا.
 مِثْلُ قَوْلِ الْكُفَيْتِ:

حَتَّى تَكْمَلَ فِيهَا الدَّلُّ^(١) وَالشَّنْبُ^(٢)

وَكَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي رِثَاءٍ:

فَإِنَّكَ غُيِّبْتَ فِي حُفْرَةٍ^(٣)

تَرَاكُمُ^(٤) فِيهَا نَعِيمٌ وَحُورٌ

وَإِنْ كَانَ النَّعِيمُ وَالْحُورُ مِنْ مَوَاهِبِ أَهْلِ الْجَنَّةِ،

(١) الدَّلُّ: التيه والعجب (٢) الشنب: صفاء الأسنان وبريقها

أو جدها حين تطلع (٣) الحفرة: القبر. (٤) تراكم الشيء:

اجتمع بعضه فوق بعض

فَلَيْسَ يَنْتَهَمَا فِي النَّفُوسِ تَقَارُبٌ . وَلَا لَفْظَةٌ تَرَآكُم
مِمَّا يُجْمَعُ بَيْنَ الْحُورِ وَلَا النَّعِيمِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنُ يُقَالَ تَغَيَّرَا

وَصَبَا^(١) وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي^(٢) أَجْدَرًا^(٣)

لَأَعَادَ تَفَاحَ^(٤) اخْدُودٍ بِنَفْسِجًا^(٥)

لَثْمِي^(٦) وَكَافُورَ^(٧) التَّرَائِبِ^(٨) عَنَبَرًا

فَالْتَفَاحُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْبِنَفْسِجِ ، لِأَنَّ التَّفَاحَ
ثَمَرَةٌ وَالْبِنَفْسِجُ زَهْرَةٌ . وَقَدْ أَجَادَ فِي جَمْعِهِ بَيْنَ

(١) صبا : حن ومال (٢) التصابي : الميل — وجهلة الفتوة

(٣) الأجدر : الخلق والأحق (٤) المراد لون الحدود

(٥) البنفسج زهرة ذو رائحة طيبة : والمراد أنه بعد التقييل أصبح

مشوباً بزرقة بعد أن كان أحمر (٦) اللثم : التقييل (٧) الكافور :

شجر معروف طيب الرائحة (٨) الترائب : جمع تريبة . وهي العظمة من

عظام الصدر .

الْكَافُورِ وَالْعُنْبَرِ لِأَنَّهُمَا مِنْ قَبِيلٍ وَاحِدٍ . وَلَوْ قَالَ :
لَأَعَادَ وَرَدَ الْوَجْنَتَيْنِ بِنَفْسِجًا
لَشِمَى وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عُنْبَرًا

لَأَجَادَ الْوَصْفَ . وَأَحْسَنَ الرَّصْفَ ^(١) . لِيَكُونَ
الْوَرْدُ مِنْ قَبِيلِ الْبَنْفَسِجِ ، فَهَذَا النُّوعُ فَافْتَقِدَ .
وَهَذَا الشَّرْعَ ^(٢) فَاعْتَمَدَ .

قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَلِفُضْلَاءِ الْمُؤَلِّدِينَ ، سَقَطَاتٌ
مُخْتَلِفَاتٌ فِي أَشْعَارِهِمْ ، أَذَاكَرُكَ مِنْهَا فِي أَشْيَاءَ ،
لِتَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى أَغْرَاضِكَ ، لَا لِطَلَبِ الزَّلَّاتِ .
وَلَا لِاقْتِفَاءِ ^(٣) الْعَثَرَاتِ ^(٤) . كَانَ بَشَارُ تَبَّانٍ طَبَقَاتٌ

(١) الرصف : أحكام الكلام واتقائه (٢) الشرع : الطريق

(٣) الاقتفاء : التبع (٤) العثرات : جمع غثرة . وهي الزلة والخطيئة

شِعْرِهِ ، فَيَصْعَدُ كَثِيرُهَا . وَيَهْبِطُ ^(١) قَلِيلُهَا .
 وَكَذَلِكَ كَانَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِي ، فَإِذَا سَمِعْتَ
 جِدَّهُمَا كَذَبْتَ أَنَّ رَدِيَّهُمَا لَهُمَا ، وَإِذَا صَحَّ عِنْدَكَ
 أَنَّ ذَلِكَ الرَدِيَّ لَهُمَا ، أَقْسَمْتَ أَنَّ جِدَّهُمَا لِغَيْرِهِمَا .
 قَالَ : وَمِمَّا يُعَابُ مِنَ الشَّعْرِ الْإِفْتِاحَاتُ الثَّقِيلَةُ ،
 مِثْلُ قَوْلِ حَبِيبٍ أَوَّلَ قَصِيدَةٍ :

لَهْنٌ عَوَادِي ^(٢) يُوسُفُ وَصَوَاحِبُهُ

فَعَزَمًا ^(٣) فَقَدَمًا ^(٤) أَدْرَكَ الشَّأَوُ ^(٥) طَالِبُهُ ^(٦)

وَمِثْلُ قَوْلِ دِيكَ الْجَنَّ أَوَّلَ قَصِيدَةٍ :

(١) يهبط : ينحط (٢) عوادي : جمع عادية : والعادي والعادية
 العدو . أى عدوات يوسف (٣) العزم : الثبات والصبر (٤) القدم
 اسم من القدم : جعل ظرف زمان . يقال كان ذلك قَدَمًا : أى في قديم الزمان
 (٥) الشأو : الغاية والأمد (٦) طالبه : قاصده

كَأَنَّهَا يَا كَأَنَّهُ خَلُّ الْخُلُوفِ

لَمَّةٌ (١) وَقَفُّ الْهَلُوكِ (٢) إِذْ بَغَمًا (٣)

فَابْتَدَأَ هُوَ وَحَبِيبٌ بِمُضْمَرَاتٍ عَلَى غَيْرِ مُظْهَرَاتٍ
قَبْلَهَا وَهُوَ رَدِيٌّ قَالَ : وَيُعَابُ أَيْضًا ، الْإِفْتِاحَاتُ
الْمُتَطَيِّرُ (٤) بِهَا ، وَالْكَلَامُ الْمُضَادُّ لِلْغَرَضِ ، كَابْتِدَاءِ
قَصِيدَةِ أَبِي نُوَاسٍ الَّتِي أَنْشَدَهَا الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى
ابْنَ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيُّ ، يُهْنِيهِ بَيْنِيَانِهِ الدَّارَ الْجَدِيدَةَ ،
فَدَخَلَ إِلَيْهِ عِنْدَ كَمَالِهَا ، وَقَدْ جَلَسَ لِلْهَنَاءِ وَالذُّعَاءِ ،
وَعِنْدَهُ وَجُوهُ النَّاسِ فَأَنْشَدَهُ .

أَرْبَعُ الْبَلَى إِنَّ الْخُشُوعَ لِبَادِي

عَلَيْكَ وَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ وَدَادِي

(١) الخلة : الصداقة (٢) الهلوك : الحسنة التبعيل لزوجها

(٣) البغام : صوت الظبية (٤) المتطير بها : المتشاءم منها

فَتَطَيَّرَ الْفَضْلُ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَكَسَ ^(١) رَأْسَهُ ،
وَتَنَظَّرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ تَمَادَى ^(٢)
فَخَتَمَ الشَّعْرَ بِقَوْلِهِ :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا فَقِدْتُمْ

بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَاحِلِينَ ^(٣) وَغَادِي ^(٤)

فَكَمَلَ جَهْلُهُ ، وَتَمَّ خَطْوُهُ ، وَزَادَ الْقُلُوبَ
الْمُتَوَقِّعَةَ لِلْخُطُوبِ سُرْعَةً تَوْقِعَ . وَأَضَافَ لِلنُّفُوسِ
الْمُتَوَجِّعَةِ بِذِكْرِ الْمَوْتِ شِدَّةَ تَوَجُّعٍ . وَأَرَادَ أَنْ
يَمْدَحَ فَهَجًا . وَدَخَلَ لَيْسَرَ فَشَجَا ^(٥) ، قَالَ : وَقَرِيبُ
مِنْ هَذَا مَا وَقَعَ لِلْمُسْتَنْبِي فِي أَوَّلِ شِعْرِ أَنْشَدَهُ كَافُورًا

(١) نكس : طأطأ (٢) تمادى : استرسل واستطال

(٣) الرائع : العائد آخر النهار (٤) الغادى : الذاهب أول النهار

(٥) فشجا : أحزن

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا
 وَحَسْبُ الْمَنِيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
 فَهَذَا خِطَابُ بِالْكَافِ بِفَتْحٍ وَلَا سِيَّماً فِي أَوَّلِ
 لُقِيَةٍ . وَفِي ابْتِدَاءِ وَاسْتِعْطَافٍ وَرُقِيَةٍ . وَفِي هَذَا
 الْبَيْتِ غَيْرُ هَذَا مِنَ الْعُيُوبِ سَنَذْكُرُهُ بَعْدُ
 وَوَقَعَ مِثْلُ هَذَا مِنْ قُبْحِ الْإِسْتِفْتَاكِ فِي
 عَصْرِنَا ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ ، أَنْشَدَ بَعْضَ
 الْأُمَرَاءِ فِي يَوْمِ الْمِهْرَجَانِ فَقَالَ :
 لَا تَقُلْ^(١) بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرِيَانِ
 وَجْهُ مَنْ أَهْوَى وَوَجْهُ الْمِهْرَجَانِ

(١) فائل البيت أبو مقاتل . أنشده الداعية . فأوجعه الداعي ضرباً ثم

قال : هلا قلت : إن تقل بشري فعندي بشريان

فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ ، وَاسْتَطَارَ^(١) بِافْتِتَاحِهِ ، وَحَرَمَهُ
 إِحْسَانَهُ : قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَلَوْ كَانَ هَذَا الشَّاعِرُ
 حَازِقًا ، لَكَانَ إِصْلَاحُ هَذَا الْفَسَادِ أَيْسَرَ الْأَشْيَاءِ
 عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْكِسَ الْبَيْتَ فَيَقُولُ :
 وَجْهُ مَنْ أَهْوَى وَوَجْهُ الْمِهْرَجَانِ

أَيُّ بُشْرَى هِيَ لَا بَلْ بُشْرِيَانُ
 قَالَ : وَيَقْبُحُ جِدًّا ، الْإِثْنَانُ بِكَلِمَةِ الْقَافِيَةِ
 مُعْجَمَةً لَا تَرْتَبِطُ بِمَا قَبْلَهَا مِنَ الْكَلَامِ ، وَإِنَّمَا
 هِيَ مُفْرَدَةٌ لِحَشْوِ الْقَافِيَةِ . كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :

فَبَلَغْتَ الْمُنَى بِرَغْمِ أَعَادِيكَ
 وَأَبْقَاكَ سَالِمًا رَبُّ هُوْدِ

(١) استطار : تطير وتشاءم

فَأَنْتَ تَرَى غَثَاثَةً^(١) هَذِهِ الْقَافِيَةَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
رَبُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَكُلِّ شَيْءٍ ، فَخَصَّ هُودًا عَلَيْهِ
السَّلَامَ وَحْدَهُ ، لِضَعْفِ نَقْدِهِ ، وَعَجْزِهِ عَنِ الْإِتْيَانِ
بِقَافِيَةٍ تَلِيْقُ وَتَحْسُنُ .

قَالَ : وَيَقْبَحُ أَيْضًا الْجَفَاءُ فِي النَّسِيبِ عَلَى
الْحَبِيبِ ، وَالتَّضَجُّرُ بِبُعْدِهِ وَغِلْظَةُ الْعِتَابِ عَلَى
صَدِّهِ^(٢) . كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :
أَجَارَةَ يَتَتِينَا أَبُوكَ غَيُّورُ

وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرُ
فَإِنْ كُنْتَ لَا خِلَاءً وَلَا أَنْتَ زَوْجَةٌ
فَلَا بَرَحَتْ مِنَّا عَلَيْكَ سُبُورُ

(١) الفث من الكلام : الردى ، (٢) صده : هجره

وَجَاوَرَتْ قَوْمًا لَا تَزَاوَرُ يَنَّهُمْ
وَلَا قُرْبَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نُشُورٌ
فَلَمْ أَسْمَعْ بِأَوْحَشَ مِنْ هَذَا النَّسِيبِ . وَلَا
أَخْشَنَ مِنْ هَذَا التَّشْبِيبِ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ : إِنْ لَمْ
تَكُونِي لِي زَوْجَةً وَلَا صَدِيقَةً فَلَا بَرِحَتْ مِنَّا
سُورٌ لِلثَّرَابِ عَلَيْكَ ، وَلَا كَانَ جَارِكَ مَا عِشْنَا
نَحْنُ إِلَّا الْمَوْتَى الَّذِينَ لَا يَتَزَاوَرُونَ ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ
إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ ^(١) ، عَلَى أَنْ كَلَامَهُ يَشْهَدُ عَلَيْهِ
بِأَنَّهُ شَاكٍ ، وَإِنَّمَا الْمَعْرُوفُ فِي أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالظَّرْفِ
وَالْمَعْنُودِ مِنْ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالْعَطْفِ . أَنْ يَفْذُوا
أَحْبَابَهُمْ بِالنَّفُوسِ . مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَبُوسٍ .

(١) النشور : قيام الناس من قبورهم يوم القيامة للحشر

فَأَيْنَ ذَهَبَتْ وَلَادَتُهُ الْبَصْرِيَّةُ . وَآدَابُهُ الْبَغْدَادِيَّةُ .
 حَتَّى اخْتَارَ الْغَدْرَ عَلَى الْوَفَاءِ . وَبَلَغَتْ بِهِ طِبَاعُهُ
 إِلَى إِجْفَاءٍ^(١) الْجَفَاءِ . فَاعْلَمْ هَذَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهِ .
 قَالَ : وَمِنْ عُيُوبِ الشَّعْرِ السَّرْقُ ، وَهُوَ كَثِيرُ
 الْأَجْنَاسِ فِي شَعْرِ النَّاسِ . فَمِنْهَا سَرَقَةُ الْفَاطِ .
 وَمِنْهَا سَرَقَةُ مَعَانٍ . وَسَرَقَةُ الْمَعَانِي أَكْثَرُ ، لِأَنَّهَا
 أَخْفَى مِنَ الْأَلْفَافِ . وَمِنْهَا سَرَقَةُ الْمَعْنَى كُلِّهِ .
 وَمِنْهَا سَرَقَةُ الْبَعْضِ . وَمِنْهَا مَسْرُوقٌ بِاخْتِصَارٍ فِي
 اللَّفْظِ وَزِيَادَةٍ فِي الْمَعْنَى ، وَهُوَ أَحْسَنُ الْمَسْرُوقَاتِ .
 وَمِنْهَا مَسْرُوقٌ بِزِيَادَةِ الْفَاطِ وَقُصُورٍ عَنِ الْمَعْنَى ،
 وَهُوَ أَقْبَحُهَا ، وَمِنْهَا سَرَقَةُ مُحَضَّةٌ ، بِإِلَازِيَادَةٍ وَلَا تَقْصِصِ

(١) إلى إجفاء الجفاء : أى إلى أشد الجفاء

وَالْفَضْلُ فِي ذَلِكَ لِمَسْرُوقٍ مِنْهُ ، وَلَا شَيْءٌ لِلِسَّارِقِ
كَسْرِقَةِ أَبِي نُوَّاسٍ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا
مَعْنَى أَبِي الشَّيْصِ بِكَمَالِهِ . قَالَ أَبُو الشَّيْصِ :

وَقَفَ الْهُوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي
مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ

فَسَرَقَهُ الْحَسَنُ بِكَمَالِهِ فَقَالَ :

فَمَا جَازَهُ ^(١) جُودٌ ^(٢) وَلَا حَلَّ دُونَهُ

وَلَكِنْ يَصِيرُ ^(٣) الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

فَهَذَا هَذَا ، عَلَى أَنْ يَبْتَأَ أَبِي الشَّيْصِ ، أَخْلَى
وَأَطْبَعُ ، وَمَعَ حَلَاوَتِهِ جَزَالَةً ^(٤) . وَقَدْ ذَكَرَ عَنِ

(١) جازه : تعده (٢) جود : كرم (٣) وفي نسخة خطية من ديوان أبي نواس ولكن يسير المجد حيث يسير (٤) جزالة : فصاحة ومثانة
التذييل (٢١)

الْحَسَنُ أَنَّهُ قَالَ : مَا زِلْتُ أَحْسُدُ أَبَا الشَّيْصِ عَلَى
 هَذَا الْبَيْتِ ، حَتَّى أَخَذْتُهُ مِنْهُ ، وَسَرِقَةُ الْمُعَاصِرِ ،
 سُقُوطُ هِمَّةٍ ، وَبِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ يُنَاضِلُ أَصْحَابُ الْحَسَنِ
 عَنْهُ ، وَيُخَاصِمُونَ خُصَمَاءَهُ ، مُقَرِّينَ بِأَنْ لَيْسَ لَهُ
 أَفْضَلُ مِنْهَا . وَلَا لَهُمْ إِلَى سِوَى هَذِهِ الْقَصِيدَةِ
 مَعْدَلٌ ^(١) عَنْهَا . فَقَسَّ بِفَهْمِكَ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَكَ عَلَى
 مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ أَبْوَابِ السَّرِقِ ، مَا وَجَدْتَهُ فِي أَشْعَارِ
 لَمْ أَذْكُرْهَا ، يَظْهَرُ لَكَ جَمِيعُ مَا وَصَفْنَاهُ . وَيَبْدُو لَكَ
 جَمِيعُ مَا رَسَمْنَاهُ . قَالَ : وَمِمَّا يَقَعُ فِي عُيُوبِ الشُّعْرِ ،
 وَيَعْفُلُ الشَّاعِرُ عَنْهُ وَيَجُوزُهُ الْأَمْرُ فِيهِ ، لِصِغَرِ
 جِرْمِ الْعَيْبِ ، وَسَلَامَةِ اللَّفْظِ الَّذِي احْتَبَى ^(٢) فِيهِ ،

(١) مصدر ميمي بمعنى العدول (٢) مِنْ : حبا : بمعنى درج

ثُمَّ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ غَفْلَةِ النُّقَادِ أَيْضًا عَنْهُ ، مِثْلُ
قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا

فَضَعَ هَذَا الْكَلَامَ ، عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا شَكَ دَاءَهُ ،
وَوَصَفَهُ بِالْعِظَمِ فَعَادَ شَاكِيًا نَفْسَهُ ، وَجَعَلَهَا أَعْظَمَ
الدَّاءِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ كَفَى بِدَائِكَ دَاءٌ ، فَعَلِطَ وَقَالَ :
كَفَى بِكَ دَاءٌ ، فَصَارَ كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءٌ ،
فَالسَّلَامَةُ هِيَ الدَّاءُ ، يُرِيدُ طُولُ الْبَقَاءِ سَبَبُ الْفَنَاءِ .
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ . فَاللَّهُ هُوَ
أَعْظَمُ شَهِيدٍ ، فَجَعَلَ الْمُتَنَبِّي نَفْسَهُ أَعْظَمَ الدَّاءِ ،
وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا اسْتِعْظَامَ دَائِهِ . وَإِصْلَاحُ هَذَا الْفَسَادِ .
وَبُلُوغُهُ إِلَى الْمُرَادِ . أَنْ يَقُولَ :

كَفَى بِالْمَنِيَا أَنْ تَكُنَّ أَمَانِيَا

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا

فَيَعُودُ الدَّاءُ الْمُسْتَعْظَمُ كَمَا أَرَادَ ، وَتَزُولُ خُشُونَةُ
ابْتِدَائِهِ . وَشِدَّةُ جَفَائِهِ . إِذْ خَاطَبَ الْمَمْدُوحَ
بِالْكَافِ ، فَجَعَلَهُ دَاءً عَظِيمًا فِي أَوَّلِ كَلِمَةٍ سَمِعَهَا مِنْهُ .
وَقَدْ تَأَدَّبَ خَوَاصُّ النَّاسِ وَكَثِيرٌ مِنْ عَوَامِهِمْ ،
فِي مِثَالِ هَذَا الْمَكَانِ ، فَهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَ مُخَاطَبَاتِ
بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، بِمَا يَخْشَنُ ذِكْرُهُ ، قُلْتُ لِلْأَبْعَدِ ،
كَذَا ، أَوْ كَذَا لِلْأَبْعَدِ .

وَمِنْ غُيُوبِ هَذَا الْقِسْمِ أَيْضًا ، أَنَّ قَائِلَهُ قَصَدَ إِلَى
سُلْطَانٍ جَدِيدٍ ، وَإِلَى مَكَانٍ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى التَّعْظِيمِ .

والتفخيم ، وَقَدْ صَدَرَ^(١) عَنْ مَلِكٍ نَوَّهَ بِهِ ، أَعْنَى
سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَأَغْنَاهُ بَعْدَ فَقْرِهِ ، وَشَرَّفَهُ وَرَفَعَهُ .
وَأَذْنَى^(٢) مَوْضِعُهُ . فَوَرَدَ عَلَى كَافُورٍ هَذَا ، فِي مَرْتَبَةِ
شَرِيفَةٍ ، وَخُطَّةٍ مُنِيفَةٍ^(٣) ، جَعَلَ بِجَهْلِهِ يَصِفُهُ ،
فِي أَوَّلِ يَتِّ لَقِيَهُ بِهِ ، أَنَّهُ فِي حَالَةٍ لَا يَرَى مِنْهَا
الْمُنِيَّةَ . أَوْ يَرَى الْمُنِيَّةَ ، أَغْظَمَ أُمْنِيَّةً . وَعَلِمَ كَافُورٌ
بِذِكَايِهِ ، وَوُضُولِ أَخْبَارِ النَّاسِ إِلَيْهِ أَنَّهُ فِي حَالَةٍ
خِلَافِ مَا قَالِ ، وَأَنَّهُ كَفَرَ^(٤) النِّعْمَةَ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ ،
وَأَرَادَ أَنْ جَمِيعَ مَا عَامَلَهُ بِهِ مِنْ الْجَاهِ الْوَاسِعِ ، وَالْغِنَى
الْقَاطِعِ حَقِيرٌ لَدَيْهِ ، صَغِيرٌ فِي عَيْنَيْهِ . فَعَلِمَ كَافُورٌ

(١) صدر عن ملك : أى جاء من عنده (٢) أذنى موضعه : قرب

منزلته (٣) منيفة : عالية (٤) كفر النعمة : جحدتها

فِي هَذَا الْوَقْتِ أَنَّهُ مُمَّنٌ لَا تَرْكُو^(١) لَدَيْهِ الصَّنِيعَةُ^(٢)
وَأِنْ عَظُمَتْ . وَلَا تَكْبُرُ فِي عَيْنِهِ الْمَوَاهِبُ^(٣)
وَأِنْ جَسُمَتْ^(٤) . وَلَمْ يَكُنْ فِي خُلُقٍ كَافُورٍ مِنَ الصَّبْرِ
عَلَى اتِّسَاعِ الْبَذْلِ . وَلَا مِنْ الرَّغْبَةِ فِي أَهْلِ الْأَدَابِ
وَالْفَضْلِ ، مَا عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مِنْ ذَلِكَ ، فَزَهْدٌ
فِيهِ بَعْدَ رَغْبَةٍ ، وَعِلَلُهُ^(٥) بِالْقَلِيلِ ، وَشَاوَقُهُ^(٦)
بِالْجَزِيلِ . وَرَأَى الْمُتَنَبِّيَّ أَنَّ الْأَسْوَدَ لَيْسَ لَهُ فِي قَلْبِهِ
مِنْ الْحُبِّ وَالْقُرْبِ ، مَا لَهُ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ،
فَلَمْ يَدِلَّ عَلَيْهِ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ التَّعْتَبِ^(٧) وَالْعِتَابِ^(٨)
مَا يُعْطِفُهُ عَلَيْهِ ، فَأَضَاعَ وَضَاعَ^(٩) ، وَكَانَ يَتَوَقَّعُ^(١٠)

(١) لا تتركوا : لا تنمو (٢) الصنعة : الاحسان (٣) المواهب
جمع موهبة وهي العطية (٤) جسمت : عظمت (٥) علله : شغله ولهاه
(٦) شاوقه : أطمعه (٧) التعتب : العيب . من قولهم فلان
لا يتعتب عليه في شيء أي لا يعاب (٨) العتاب : اللوم
(٩) فأضاع وضاع : أي أهلك وهلك (١٠) يتوقع : ينتظر

الْإِيْقَاعَ^(١) . وَلِكُفْرَانِ النِّعَمِ نَقَمٌ^(٢) . ثُمَّ نَجَّاهُ رُكُوبُ
 ظَهَرِ الْهَرَبِ ، وَأَقْبَلَ يَعْتَرِفُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ بِالذُّنُوبِ .
 وَكَانَ لِحَنِهِ^(٣) وَشِعْرُهُ شَرِيفَيْنِ . وَعَقْلُهُ وَدِينُهُ ضَعِيفَيْنِ .
 وَمَعَ ذَلِكَ فَسَقَطَاتُهُ كَثِيرَةٌ ، إِلَّا أَنَّ مُحَاسِنَهُ أَكْثَرُ
 وَأَوْفَرُ ، وَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا مُحَالَاةَ . وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى تَعْقِيدِ
 الْكَلَامِ ، وَيَعْتَمِدُ عَلَى عِلْمِهِ بِقُبْحِهِ ، فَيَقُولُ مِنْ ذَلِكَ
 مَا يَصِفُ بِهِ نَاقَتَهُ :

فَتَبَّيْتُ تُسَيِّدُ مُسَيِّدًا فِي نَيْهَا

إِسَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءِ^(٤)

(١) الإيقاع : غيبة الناس (٢) نقم : جمع نقمة . والنقمة :
 المكافأة : بالعقوبة (٣) لحنه : أى ميله عن جهة الفصد
 (٤) الاسآد : السير السريع ، والني : شحم الناقة ، والمهمة : المفازة
 والانضاء : الاجهاد — والمعنى : تبئت هذه الناقة تسرع فى السير ،
 والاجهاد يسرع فى إذابة شحمها كاسراعها فى قطع المفازة

وَيَقُولُ فِي الْمَدْح :

أَنِّي يَكُونُ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمُ ؟

وَأَبُوكَ وَالشَّقْلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ

وَيَقُولُ فِي يَتِّ آخَرَ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى يَمْدَحُ بِهَا ،

وَالْبَيْتُ لَا يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ مِمَّا قَبْلَهُ فِيمَا يَظْهَرُ ،

وَلَا فِيمَا بَعْدَهُ بِشَيْءٍ :

كَأَنَّكَ مَا جَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ

عَلَيْكَ وَلَا قَاوَمْتَ مَنْ لَمْ تُقَاوِمِ

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ ، وَهَذِهِ الْأَجْنَاسُ مِنْ أَيْنَاتٍ .

وَإِنْ ظَهَرَتْ مَعَانِيهَا بَعْدَ اسْتِعْصَاءٍ . وَأَطَاعَتْ

غَوَامِضُهَا بَعْدَ اسْتِعْصَاءٍ^(١) . فَهِيَ مَذْمُومَةٌ السَّلَكِ^(٢) ،

(١) استعصاء : صعوبة (٢) السلك : النظم والتركيب

وَإِنْ أَطْلَعْتَ مِنْهَا عَلَى أَجْزَلِ الْإِفَادَةِ ، فَكَيْفَ
 إِذَا حَصَلَتْ مِنْهَا عَلَى السَّلَامَةِ بِلاَ زِيَادَةٍ ؟ وَكَانَ
 أَيْضًا يَغْفُلُ عَنْ إِصْلَاحِ أَشْيَاءَ مِنْ كَلَامِهِ ، عَلَى
 قُرْبِ ذَلِكَ الْإِصْلَاحِ مِنَ الْفَهْمِ . مِثْلُ قَوْلِهِ يَرِثُنِي
 أُخْتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

يَا أُخْتُ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ

كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

فَجَعَلَ يَا أُخْتُ خَيْرِ ، وَبِنْتَ خَيْرِ ، كِنَايَةً
 عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ ، وَالْكِنَايَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا
 لِعِلَلٍ تَتَّسِعُ فِيهَا التَّهْمُ ، لِأَنَّ الْكِنَايَةَ سَتْرٌ
 وَتَعْمِيَةٌ ، فَمَا بَالُ شَرَفِ النَّسَبِ يُورَى ^(١) عَنْهُ

(١) يورى : يخفى ويستر

تَوْرِيَّةٌ^(٢) الْمَعَايِبِ . وَيُكْنَى عَنْهُ ، وَالتَّصْرِيحُ بِهِ
 مِنَ الْمَفَاخِرِ وَالْمُنَاقِبِ . وَقَدْ غَفَلَ عَنْ إِصْلَاحِ هَذَا
 بِلَفْظٍ فَصِيحٍ . وَمَعْنَى صَحِيحٍ . قَدْ كَادَ يَبْرُزُ مِنَ
 الْجَنَانِ^(٣) إِلَى طَرَفِ اللِّسَانِ . وَهُوَ لَوْ فَطِنَ إِلَيْهِ :
 يَا أُخْتَ خَيْرٍ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرٍ أَبٍ

غَنَى بِهَذَا وَذَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ
 قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الَّتِي أَثْبَتْتُ لَكَ
 فِيهَا مَا دَخَلَ عَلَى الشُّعْرَاءِ الْمُجِيدِينَ ، مِنَ التَّقْصِيرِ
 وَالْغَفْلَةِ وَالْعَلَطِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، كَافِيَةٌ وَمُعْنِيَةٌ عَنْ إِرَادِ
 سِوَى ذَلِكَ ، وَإِنْ لَقِيتَهَا بِجَوْدَةٍ بَحْثٍ وَصَحَّةِ قِيَاسٍ

(٢) التورية : الستر والاختفاء . وفي البديع — الاتيان بلفظ له
 معنات ، قريب وبعيد . فيراد البعيد منهما . ويورى عنه بالقرب
 (٣) الجنان : القلب

لَمْ تَحْتَجِ إِلَى كَشْفِ عُيُوبِ أَشْعَارِ النَّاسِ . وَلَعَلَّ
 قَائِلًا يَقُولُ : مَا عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَرَكَ سِوَاهُمْ لِمِثْلِهِ
 عَلَى مَنْ بَكَتْ ^(١) . وَلِتَفْضِيلِهِ مَنْ عَنْهُ سَكَتَ .
 فَقُلْ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ ، الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا ظَنَنْتَ ،
 لَمْ أَذْكَرْ إِلَّا الْأَفْضَلَ فَالْأَفْضَلَ . وَالْأَشْهَرَ
 فَالْأَشْهَرَ . إِذْ كَانَتْ أَشْعَارُهُمْ هِيَ الْمَرْوِيَّةُ . فَالْحُجَّةُ
 بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ هِيَ الْقَوِيَّةُ . فَقَدْ نَقَلْتُهُ عَلَى مَنْ مِثْلِي
 عَلَيْهِمْ . إِلَى مِثْلِي بِالْحَقِّ إِلَيْهِمْ . قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ :
 فَأَمَّا تَقْدُّ الْمُسْتَحْسَنِ : فَمِثْلُهُ لَكَ يَعْظُمُ وَيَتَّسِعُ
 لِكَثْرَتِهِ ، فَلَا يَسْعُنَا إِيرَادُهُ ، وَلَكِنْ مَا سَلِمَ مِنْ
 جَمِيعِ مَا أُوْرَدَنَاهُ فَهُوَ فِي حِيزِ السَّالِمِ . ثُمَّ تَتَّسِعُ

(١) بكّت : استقبله بما يكره . وغلبه بالحجة .

طَبَقَاتُ الْجُودَةِ فِيهِ . وَأَحْسَنُ مِنْهُ مَا اعْتَدَلَ مَبْنَاهُ .
 وَأَغْرَبَ مَعْنَاهُ . وَزَادَ فِي مَحْمُودَاتِ الشَّعْرِ عَلَى
 سِوَاهُ . ثُمَّ يُمدِّحُ الْأَدَوْنَ فَلَاذَوْنَ بِمِقْدَارِ انْحِطَاطِهِ
 إِلَى حَيْزِ السَّلَامَةِ . ثُمَّ لَا مَدْحَ وَلَا كَرَامَةَ .
 قَالَ مُحَمَّدٌ فَقُلْتُ : لِلَّهِ دَرُكُ يَا أَبَا الرِّيَّانِ ،
 فَمَا أَلَيْنَ جَانِبَكَ . وَمَا أَقْرَبَ غَائِبِكَ . وَمَا أَلْحَحَ
 طَالِبَكَ . وَمَا أَسْعَدَ صَاحِبَكَ . فَقَالَ : أُنْجَحَ اللَّهُ
 مَطَالِبَكَ . وَقَضَى مَا رُبَكَ . وَصَفَى مِنَ الْقَذَى
 مَشَارِبَكَ . وَبَثَّ فِي الْخَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي مَنَاقِبَكَ
 تَمَّتِ الْمَقَامَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِمَسَائِلِ الْإِنْتِقَادِ
 بِلُطْفِ الْفَهْمِ وَالِاِقْتِصَادِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا وَصَلَاتُهُ عَلَى نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا
 مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ

وَقَدْ آتَيْنَاكَ أَنْ تَنْتَقِلَ بِكَ إِلَى تِلْكَ الدَّوْحَةِ
 الْفَارِعَةِ الْفَيْنَانَةِ ، وَتِلْكَ الرَّوْضَةِ الْأَنْفِ^(١) الْحَسَّانَةِ
 فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، نَعْنِي بِهَا مُخْتَارَاتِ شَيْخِنَا فِي بَابِ
 الْخُطْبِ الْعَرَبِيِّ ، لِمَصَاقِعِ^(٢) بُلَغَائِهَا ، وَمُفْتَرَعِي^(٣) عُذْرَةِ
 بَيَانِهَا وَحَامِلِي أَلْوِيَةِ فُنُونِهَا ، وَمَالِكِي أَعْنَةِ زِمَامِهَا .
 قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

*
* *

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ
 عَلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
 أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا
 مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ

(١) الأنف : الفيحاء ، لم تسم (٢) جمع مصقع : وهو البلغ
 (٣) افتراع العذرة : فض البكارة ، والمراد ، أوائل البلغاء ومقدموهم

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَوَجَدْتُ
 فِي بَعْضِهَا : « أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ
 وَأَحْشُكُمْ^(١) عَلَى طَاعَتِهِ » . وَوَجَدْتُ فِي خُطْبَةٍ لَهُ
 بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالشَّائِءِ عَلَيْهِ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ
 لَكُمْ مَعَالِمَ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ
 نِهَآيَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَآيَتِكُمْ ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ :
 أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَذَرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِهِ ، وَأَجَلٍ
 قَدْ بَقِيَ لَا يَذَرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ ، فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ
 لِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ، وَمِنْ
 الشَّيْبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ ، وَمِنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ ؛
 وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ،

وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ » وَوَجَدْتُ
كُلَّ خُطْبَةٍ مِفْتَاحَهَا الْحَمْدُ إِلَّا خُطْبَةَ الْعِيدِ ، فَإِنَّ
مِفْتَاحَهَا التَّكْبِيرُ . وَتَكْبِيرُ الْإِمَامِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ
عَنِ الْمِنْبَرِ أَرْبَعُ عَشْرَةَ تَكْبِيرَةً .

*
* *

وَمِنْهَا خُطْبَةُ قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي :
وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رَأَيْتُهُ بِسُوقٍ عُكَاظَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ وَهُوَ يَقُولُ .
أَيُّهَا النَّاسُ : اسْمَعُوا وَعُودُوا ، مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ
مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :
فِي هَذِهِ آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ ، مَطَرٌ وَنَبَاتٌ ، وَآبَاءٌ
وَأُمَّهَاتٌ ، وَذَاهِبٌ وَآتٍ ، ضَوْءٌ وَظِلَامٌ ، وَبَرٌّ

وَأَنَامَ ، لِبَاسٌ وَمَرْكَبٌ ، وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ ،
وَنُجُومٌ تَنُورُ ، وَبُحُورٌ لَا تَغُورُ . وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ،
وَمِهَادٌ مَوْضُوعٌ ، وَلَيْلٌ دَاجٌ ^(١) ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ^(٢)
مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرْضُوا
بِالْمُقَامِ فَأَقَامُوا ، أَمْ حُبِسُوا فَتَنَامُوا . وَهُوَ الْقَائِلُ :
يَا مَعْشَرَ إِيَادٍ ، أَيْنَ تَمُودُ وَعَادُ ، وَأَيْنَ آلَ بَاةَ
وَالْأَجْدَادُ . أَيْنَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي لَمْ يُشْكَرْ ، وَالظُّلْمُ
الَّذِي لَمْ يُنْكَرْ . أَقْسَمَ ^(٣) قُسٌّ بِاللَّهِ . إِنَّ لِلَّهِ لَدَيْنَا
هُوَ أَرْضَى مِنْ دِينِكُمْ هَذَا .

(١) داج : مظلم (٢) أبراج السماء اثنا عشر برجاً وهي الحمل
والثور والجوزاء السرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس
والجدى والدلو والحوت (٣) يدل هذا على أن قسّاً كان من هؤلاء
الموحدين في الجاهلية . ومثله كان زهير بن أبي سلمى على ما يفهم من معلقته



وَمِنْهَا خُطْبَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ
الْوَدَاعِ حَيْثُ قَالَ :

خطبة
النبي صلى
الله عليه
وسلم :
في حجة
الوداع .

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ . وَنَسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ ،
وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ،
مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ
اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْسُكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَسْتَفْتِحُ
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، أَمَّا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ . اِسْمَعُوا
مِنِّي أَيْنَ لَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي ، لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ

بَعْدَ عَامِي هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ
 دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، إِلَى أَنْ تَلْقَوْا
 رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ،
 فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ ،
 فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ ، فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى الَّذِي ائْتَمَنَهُ
 عَلَيْهَا ، وَإِنَّ رَبَّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَإِنَّ أَوَّلَ
 رَبٍّ أَبَدُ بِهِ ، رَبَّاءِ عَمِّي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ،
 وَإِنَّ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ . وَأَوَّلُ دِمٍّ أَبَدُ بِهِ ،
 دِمُّ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ،
 وَإِنَّ مَآثِرَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، غَيْرَ السَّدَانَةِ ^(١)
 وَالسَّقَايَةِ ^(٢) . وَالْعَمْدُ قَوْدٌ ، وَشِبْهُ الْعَمْدِ مَا قُتِلَ بِالْعَصَا

(٢) السقاية : سقى الحبيج

(١) السدانة : خدمة الكعبة

وَالْحَجَرِ، وَفِيهِ مِائَةٌ بَعِيرٍ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ
الْجَاهِلِيَّةِ. أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَّبِعُ
أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ
يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ.
أَيُّهَا النَّاسُ: « إِنَّمَا النَّسِيُّ^(١) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ،
يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُحِلُّونَهُ عَامًّا، وَيُحَرِّمُونَهُ
عَامًّا، لِيُؤَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ». وَإِنْ
الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ، كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ
اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ « ثَلَاثَةٌ

(١) النسْي: التأخير والتأجيل

مُتَوَالِيَاتٌ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ ، ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ،
وَالْمَحْرَمُ ، وَرَجَبُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ،
أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ . أَيُّهَا النَّاسُ :
إِنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ،
لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطَّنَ فَرَشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا
يُدْخِلَنَّ أَحَدًا تَكْرَهُوهُ بِيُوتِكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ،
وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ
لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ ،
فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النَّسَاءُ
عِنْدَكُمْ عَوَارٍ^(٢) لَا يَمْلِكَنَّ لِنَفْسِهِنَّ شَيْئًا ،

أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ
بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ
خَيْرًا ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، أَيُّهَا النَّاسُ :
« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مُسْلِمٍ
مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسِهِ عَنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ،
اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ
بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ
مَا إِنِ اخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ كِتَابَ اللَّهِ ،
أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، أَيُّهَا النَّاسُ :
إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ
لِأَدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ
اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ

إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، قَالَ :
 فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ ^(١) الْغَائِبَ . أَيُّهَا النَّاسُ :
 إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ ،
 فَلَا يَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا تَجُوزُ وَصِيَّتُهُ فِي
 أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحُجْرُ .
 مَنْ دُعِيَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ،
 فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ
 مِنْهُمْ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ
 اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .



(١) في البيان والتبيين نفس كلمة منكم

وَمِنْهَا مَا رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . ^{خطبة}
 قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ قَالَ حَدَّثَنِي الطَّنَافِيسِيُّ عَنْ ^{أبي بكر}
 مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُكَيْمٍ قَالَ :
 خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَدَهُ ، وَأَنْ
 تَتَّقُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَتَخْلِطُوا الرَّغْبَةَ ^(١) بِالرَّهْبَةِ ^(٢) ،
 وَالْإِلْخَافَ ^(٣) بِالْمَسْأَلَةِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى زَكْرِيَّا
 وَأَهْلَ بَيْتِهِ فَقَالَ : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
 وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهْبًا) ثُمَّ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدِ ارْتَهَنَ ^(٤)

(١) الرغبة : المحبة (٢) الرهبة : الخوف (٣) الإلخاف : الإلحاح
 وكثرة السؤال (٤) ارتهن الشيء منه : أخذه رهنا

بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاقِفَكُمْ ^(١) ،
 وَاشْتَرَى مِنْكُمْ الْقَلِيلَ ^(٢) الْفَاقِي بِالْكَثِيرِ ^(٣) الْبَاقِي .
 هَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ ، وَلَا يُطْفَأُ
 نُورُهُ ، فَصَدِّقُوهُ وَانْتَصِحُوهُ ^(٤) وَاسْتَضِيئُوا مِنْهُ لِيَوْمِ
 الظُّلُمَةِ . ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ تَعْدُونَ وَتَرُوحُونَ ^(٥) فِي
 أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عِلْمُهُ عَنْكُمْ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ إِلَّا يَنْقُضِ
 إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ لِلَّهِ فَافْعَلُوا ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ
 إِلَّا بِاللَّهِ . فَسَابِقُوا فِي مَهَلٍ ^(٦) ؛ فَإِنَّ قَوْمًا جَعَلُوا
 أَجَالَهُمْ لِغَيْرِهِمْ وَنَسُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَأَنهَاكُمْ أَنْ تَكُونُوا

(١) المواثيق : العهد (٢) يريد متاع الدنيا : لقوله تعالى « قل
 متاع الدنيا قليل » (٣) يريد نعيم الجنة . فإنه كثير دائم . « ما عندكم ينفد
 وما عند الله باق » (٤) انتصحوه : أقبلوا نصحه
 (٥) العدو : أول النهار . الرواح : آخر النهار . (٦) المهل : التؤدة

أَمْثَلَهُمْ ، وَالْوَحَا^(١) ، وَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ ! فَإِنَّ مِنْ
وَرَائِكُمْ طَالِبًا حَيْثَا^(٢) مَرُّهُ ، سَرِيعًا سَيْرُهُ .

وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ : أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ
إِخْوَانِكُمْ ! قَدْ انْتَهَتْ عَنْهُمْ الْأَعْمَالُ ، وَوَرَدُوا عَلَى
مَا قَدَّمُوا ، وَحَلُّوا عَلَيْهِمُ بِالشَّقْوَةِ^(٣) وَالسَّعَادَةِ .
أَيْنَ الْجَبَّارُونَ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا
بِالْحَوَائِطِ ! قَدْ صَارُوا تَحْتَ الصَّخْرِ وَالْأَكَامِ^(٤) .



وَلَهُ أَيْضًا فِي رِوَايَةٍ . رَوَاهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ
مِنْ وَلَدِ أَبِي زَيْدٍ الْقَارِي .

(١) الوحا الوحا : البدار . البدار (٢) حَيْثَا : سَرِيعًا
(٣) الشقوة : ضد السعد (٤) الْأَكَام : جمع آكمة وهي التل

حَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ :

إِنَّ أَشَقَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمُلُوكُ . فَرَفَعَ
النَّاسُ رُؤُوسَهُمْ ؛ فَقَالَ : مَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ النَّاسِ !
إِنَّكُمْ لَطَعَّانُونَ ^(١) عَجِلُونَ ، إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا مَلَكَ
زَهَّدَهُ اللَّهُ فِيمَا فِي يَدِهِ ، وَرَغَّبَهُ فِيمَا فِي يَدَيْ غَيْرِهِ ،
وَأَتَقَصَّهُ شَطْرَ ^(٢) أَجَلِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِسْفَاقَ ،
فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، وَيَتَسَخَطُ ^(٣) الْكَثِيرَ ،
وَيَسَامُ الرِّخَاءَ ^(٤) ، وَتَنْقَطِعُ عَنْهُ لَذَّةُ الْبَقَاءِ ، لَا يَسْتَعْمِلُ
الْعِبْرَةَ ^(٥) وَلَا يَسْكُنُ إِلَى الثَّقَةِ ، فَهُوَ كَالدَّرْهِمِ الْقَسِيِّ ^(٦)

(١) الطعانون : سريعو الاعتراض (٢) شطر الشيء : نصفه

(٣) يتسخط : لا يرضى (٤) يسام بيطر (٥) العبرة : الاعتبار

(٦) القسي من الدراهم : الزائف

وَالسَّرَابِ^(١) الْخَادِعِ، جَذِلُ^(٢) الظَّاهِرِ، حَزِينُ الْبَاطِنِ،
 فَإِذَا وَجِبَتْ^(٣) نَفْسُهُ، وَلَنْضَبِ^(٤) عُمُرُهُ، وَضَحَى^(٥)
 ظِلُّهُ، حَاسِبُهُ اللَّهُ فَأَشَدَّ حِسَابَهُ، وَأَقْلَّ عَفْوَهُ،
 إِلَّا إِنَّ الْفُقَرَاءَ هُمْ الْمَرْحُومُونَ. وَخَيْرُ الْمُلُوكِ مَنْ
 آمَنَ بِاللَّهِ، وَحَكَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسَنَّ نَبِيَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ عَلَى خِلَافَةٍ نُبُوءَةٍ، وَمَفْرَقٍ مَحَجَّةٍ^(٦)،
 وَسَتْرُونَ بَعْدِي مُلْكًا عَضُوضًا^(٧)، وَأُمَّةً شَعَاعًا^(٨)،
 وَدَمًا مُفَاحًا^(٩)، فَإِنْ كَانَتْ لِلْبَاطِلِ نَزْوَةٌ^(١٠)، وَلِأَهْلِ

(١) السراب الخادع : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء

(٢) الجذل : الفرج (٣) وجب : سقط ومات (٤) نضب

عمره : انقضى (٥) ضحى ظله : هلك (٦) المحجة : جادة الطريق

أى وسطه (٧) ملك عضوض : فيه استبداد وعسف (٨) شعاعاً :

متفرقة (٩) الدم المفاح : المراق (١٠) النزوة : الوثبة

الْحَقُّ جَوْلَةٌ ، يَعْفُو لَهَا الْأَثَرُ ، وَتَمُوتُ الشَّنُّ ،
 فَالْزَمُوا الْمَسَاجِدَ ، وَاسْتَشِيرُوا الْقُرْآنَ ، وَالزَّمُوا
 الْجَمَاعَةَ . وَلَيْكُنِ الْإِبْرَامُ ^(١) بَعْدَ التَّشَاوُرِ ، وَالصَّفَقَةُ ^(٢)
 بَعْدَ طُولِ التَّنَاطُرِ ، أَيْ بِلَادِ لَكُمْ خُرُسَةٌ فَإِنَّ
 اللَّهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَقْصَاهَا كَمَا فَتَحَ أَذْنَاهَا .



وَلَهُ أَيْضًا :

أَرَادَ عُمَرُ الْكَلَامَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رِسْلِكَ ^(٣) .
 نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا
 وَأَكْرَمُهُمْ أَحْسَابًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وُجُوهاً ، وَأَكْثَرُ

(١) أبرم الأمر : أحكمه . (٢) الصَّفَقَةُ : يريدنا تمام الأمر على

جميع الأقطار والغم منها (٣) على رسلك : أى على مهلك

النَّاسِ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ ، وَأَمْسُهُمْ^(١) رَحِمًا بِرَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ ، وَقَدَّمْنَا
 فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ،
 وَشُرَكَائُنَا فِي الْفِيءِ^(٢) ، وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، أَوْيْتُمْ
 وَوَأَسَيْتُمْ ، فَجَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا ؛ نَحْنُ الْأُمَرَاءُ ،
 وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ؛ لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ
 مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَنْتُمْ مُحَقَّقُونَ إِلَّا تَنْفَسُوا^(٣) عَلَى
 إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَا سَاقَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ .

✱ ✱

وَلَهُ أَيْضًا :

الْهَيْتَمُ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ

(١) الأمس : الأقرب (٢) الفيء : الغنيمة (٣) نفس عليه :
 حسده وضمن عليه

الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَنَزَلَ مِرْقَاةً^(١)
 مِنْ مَقْعَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَمِدَ
 اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ .

إِنِّي وَلَيْتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، وَلَكِنَّهُ
 نَزَلَ الْقُرْآنُ وَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 إِغْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ أَكَيْسَ الْكَيْسِ^(٢) الثَّقَى ، وَأَنْ
 أَحْمَقَ الْحَقِيقِ^(٣) الْفُجُورِ^(٤) ، وَأَنْ أَقْوَاكُمْ عِنْدِي
 الضَّعِيفُ ، حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَأَضْعَفَكُمْ عِنْدِي
 الْقَوِيُّ حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ ، إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ
 بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي^(٥) ، وَإِنْ زُغْتُمْ^(٦)

(١) مرقاة : درجة (٢) الكيس : العقل (٣) الحق : فساد
 الرأي (٤) الفجور : ارتكاب المعاصي بلا مبالاة (٥) أعينوني :
 ساعدوني (٦) زغت : تحولت

فَقَوِّمُونِي ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ
لِي وَلَكُمْ .



وَمِنْهَا خُطْبَةٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
قَالَ : وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَقَالَ :

خطبة
عمر
رضي الله
عنه

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَرَانِي أَرَى نَفْسِي أَهْلًا لِمَجْلِسِ
أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْ مَجْلِسِهِ مِرْقَاةً ، فَحَمِدَ اللَّهَ
وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِقْرَءُوا الْقُرْآنَ تَعْرِفُوا بِهِ ،
وَأَعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ . إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ حَقَّ
ذِي حَقٍّ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . إِلَّا وَإِنِّي
أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ وَالِي الْيَتِيمِ :

إِنْ اسْتَغْنَيْتُ عَفَفْتُ^(١) ، وَإِنْ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ
بِالْمَعْرُوفِ ، تَقَرَّمُ^(٢) الْبَهْمَةُ الْأَعْرَابِيَّةُ ، الْقَضْمُ^(٣) ،
لَا الْخَضْمُ^(٤) .

*
* *

وَمِنْهَا لِعُمَّانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ : وَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ :

رَحِمَهُمَا اللَّهُ ، لَوْ جَلَسَا هَذَا الْمَجْلِسَ ، مَا كَانَ

بِذَلِكَ مِنْ بَأْسٍ^(٥) ، فَجَلَسَ عَلَى ذِرْوَةِ^(٦) الْمِنْبَرِ

فَرَمَاهُ^(٧) النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَرَكَبٍ^(٨)

خطبة
لعثمان
بن عفان
رضي الله
عنه

(١) عفف : امتنع وترفع (٢) تقرر الصبي والبهيم : أكل أكلًا ضعيفًا

(٣) القضم : الأكل بأطراف الأسنان (٤) الخضم : بأقصى

الأضراس والمراد الأكل الخفيف الذي تدفع إليه الحاجة (٥) البأس :

الخوف ، الشحاحة والمراد هنا : مانع (٦) ذروة الشيء : أعلاه

(٧) رماه الناس : نظروا إليه شئنا (٨) المركب : ما يركب برًا وبحرًا

صَعْبٌ ، وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ أَيَّامًا ، وَمَا كُنَّا خُطَبَاءَ ،
وَإِنْ نَعِشْ لَكُمْ تَأْتِيكُمْ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وَمِنْهَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ
اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ :

خطبة
لعلي بن
أبي
طالب
رضي
الله عنه

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرْتُ ، وَأَذَنْتُ^(١) ،
بِوَادَاعٍ ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلْتُ فَأَشْرَفْتُ^(٢)
بِاطْلَاعٍ ، وَإِنَّ الْمِضْمَارَ^(٣) الْيَوْمَ ، وَغَدًا السَّبَاقُ ، أَلَا
وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ^(٤) ، فَمَنْ

(١) أذنت : أعلمت (٢) أعرف على الشيء : اطلع عليه
(٣) المِضْمَار : مسافة الفرس في السباق (٤) الأجل غاية الوقت :
والمراد وقت الموت

قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ ، فَقَدْ خَسِرَ
 عَمَلَهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا لِلَّهِ فِي الرَّغْبَةِ ، كَمَا تَعْمَلُونَ لَهُ
 فِي الرَّهْبَةِ ، أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَاكِتَةً نَامَ طَالِبُهَا ،
 وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَنْفَعُهُ
 الْحَقُّ ضَرَّهُ الْبَاطِلُ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمَّ بِهِ الْهُدَى
 جَارَ بِهِ الضَّلَالُ ، أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّنِّ^(١) ،
 وَذُلِّتُمْ عَلَى الزَّادِ ؛ وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .



وَلَهُ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ .
 أَيُّهَا النَّاسُ : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ، لَا يَدْعِي

مُدَّعٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ . شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ ،
 سَاعَ نَجَا ، وَطَالِبٌ يَرْجُو ، وَمُقَصَّرٌ فِي النَّارِ :
 ثَلَاثَةٌ ؛ وَاثْنَانِ : مَلَكٌ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ ، وَنَبِيٌّ أَخَذَ
 اللَّهُ يَدَيْهِ ، لَا سَادِسَ . هَلَكَ مَنْ اقْتَحَمَ ^(١) ،
 وَرَدِيَ ^(٢) مَنْ هَوَى . الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَةٌ ،
 وَالْوُسْطَى الْجَادَّةُ ^(٣) : مَنَهِجٌ ^(٤) : عَلَيْهِ بَاقِيَ الْكِتَابِ
 وَآثَارُ الثَّبُوءِ . إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِأَدَبَيْنِ :
 السَّوْطِ ^(٥) وَالسَّيْفِ ، فَلَا هَوَادَةَ ^(٦) فِيهِمَا عِنْدَ
 الْإِمَامِ ، فَاسْتَتَرُوا بِئُوتِكُمْ ، وَأَصْلَحُوا ^(٧) ذَاتَ

(١) اقتحم الأمر : رمى نفسه فيه بشدة ومشقة

(٢) ردى : هلك (٣) الجادة : معظم الطريق ، أو وسطه

(٤) المنهج : الطريق الواضح (٥) السوط : آلة الضرب

(٦) الهوادة : اللين والرفق (٧) أصلحوا ذات بينكم : أحلوا

يَنِّكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وِرَائِكُمْ ، مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ^(١)
 لِلْحَقِّ هَلَكَ ، قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مِثْلُكُمْ عَلَى فِيهَا
 مِثْلَةٌ لَمْ تَكُونُوا عِنْدِي مُحْمُودِينَ وَلَا مُصِيبِينَ .
 وَاللَّهِ أَنْ لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ . عَفَا اللَّهُ عَمَّا
 سَلَفَ . انْظُرُوا . فَإِنْ أَنْكَرْتُمْ فَأَنْكِرُوا ، وَإِنْ
 عَرَفْتُمْ فَارْزُقُوا ، حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ ،
 وَاللَّهِ لَتَنْ أُمْرٌ^(٢) الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَ ، وَلَتَنْ أُمْرٌ
 الْحَقُّ لَرُبَّ وَلَعَلَّ . مَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ ...



(١) أبدى صفحته : أعرض عن الحق (٢) أمر : سألط

وَلَهُ أَيْضًا .

خَطَبَ عَلِيٌّ حِينَئِذَا قُتِلَ عَامِلُهُ بِالْأَنْبَارِ ، فَقَالَ
فِي خُطْبَتِهِ :

يَا عَجَبًا مِنْ جِدٍّ ^(١) هُوَ لَا فِي بَاطِلِهِمْ ، وَفَسَلِكُمْ ^(٢)
عَنْ حَقِّكُمْ ، فَقُبْحًا لَكُمْ ، وَتَرَحًّا ^(٣) حِينَ صِرْتُمْ
غَرَضًا ^(٤) يُرْمَى ، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ وَتُغْرُونَ
وَلَا تُغْرُونَ ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ ، إِنْ أَمَرْتُكُمْ
بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ فِي الْحَرِّ ، قُلْتُمْ : سَمَارَةٌ ^(٥) الْقَيْظِ
أَمِهْلَنَا ، يَنْسَلِخُ ^(٦) الْحَرُّ ، وَإِنْ أَمَرْتُكُمْ بِالْمَسِيرِ
إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ ، قُلْتُمْ : أَمِهْلَنَا ، يَنْسَلِخُ الشِّتَاءُ .

(١) الجِدُّ : الاجتهاد والعجلة (٢) الفشل : التراخي والجبن عند
الشدة (٣) الترح : الحزن (٤) الغرض : الهدف والقصد (٥) سمارة
القيظ : شدته (٦) ينسلخ : يمضي

هَذَا أَوَانُ قُرٍّ^(١) ، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنْ الْحَرِّ
وَالْقُرِّ ، فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفْرُ ، يَا أَشْبَاهَ
الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ ! أَحْلَامُ^(٢) الْأَطْفَالِ ، وَعُقُولُ
رَبَّاتِ الْحِجَالِ^(٣) ، أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي^(٤) بِالْعِصْيَانِ
وَالْخِذْلَانِ^(٥) حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشُ : ابْنُ أَبِي طَالِبٍ
شُجَاعٌ « وَلَكِنْ » لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ ، لِلَّهِ
أَبُوهُمْ ؟ هَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا^(٦) وَأَطْوَلُ
تَجْرِبَةً مِنِّي ؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ،
فَهَآنَا الْآنَ ، قَدْ نَيْفْتُ^(٧) عَلَى السَّتِينِ ، وَلَكِنْ
لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ . يَقُولُهَا ثَلَاثًا .

(١) القر : البرد الشديد

(٢) أحلام : عقول (٣) الحجال : جمع حجل وهو الخلخال

(٤) الرأي : الاعتقاد والاصابة في التدبير (٥) الخذلان : ترك

النصرة والاعانة (٦) المراس : الشدة والقوة (٧) نيف : زاد



وَلِمُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ :

خطبة
لمعاوية

بَلَّغَنِي عَنْ شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ قَالَ : خَطَبَ مُعَاوِيَةُ
فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ،
وَزَمَنٍ شَدِيدٍ ، يُعَدُّ الْمُحْسِنُ فِيهِ مُسِيئًا ، وَيَزْدَادُ
الظَّالِمُ فِيهِ عُنُودًا ^(١) ، لَا تَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ
عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً ^(٢) حَتَّى تُحِلَّ بِنَا .
فَالنَّاسُ أَرْبَعَةٌ أَصْنَافٌ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ ، وَكَلَالُ حَدِّهِ ،
وَلَنْضِيضٌ ^(٣) وَفَرِهِ ^(٤) ؛ وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ ^(٥) لِسَيْفِهِ ،

(١) العنود : الاستكبار ومجاوزة الحد

(٢) القارعة : النكبة المهلكة (٣) نضيض وفره : قلة ماله

(٤) أصلت السيف : جرده من غمده

وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ ، قَدْ أَشْرَطَ^(١)
نَفْسَهُ ، وَأُوبِقَ^(٢) دِينَهُ ، لِحِطَامٍ يَنْتَهِرُهُ ، أَوْ مِقْنَبٍ^(٣)
يَقُودُهُ ، أَوْ مِنْبَرٍ يَقْرَعُهُ^(٤) ، وَلِبِئْسَ الْمَتَجَرَّانِ ،
تَرَاهُمَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ، وَمِمَّا عِنْدَ اللَّهِ عِوَضًا ؛ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا يَطْلُبُ
الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ^(٥) مِنْ شَخْصِهِ ،
وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَخَرَفَ
نَفْسَهُ لِلْإِمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً^(٦) إِلَى الْمَعْصِيَةِ ؛
وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤْوَةٌ^(٧) فِي نَفْسِهِ ،
وَانْقِطَاعٌ مِنْ سَبَبِهِ ، فَقَصَّرَ بِهِ الْحَالُ عَنْ أَمَلِهِ ،

(١) أشرط نفسه لكنا: أعدها وقدمها (٢) أوبق دينه: أهلكه

(٣) المِقْنَب: جماعة الخيل (٤) يقرعه: يعلوه (٥) طامن من

شخصه: خفص (٦) الذريعة: الوسيلة (٧) الضؤولة: الصغر والضعف

فَتَحَلَّى^(١) بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ الزَّهَادِ ، وَلَيْسَ
 مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاكِحَ وَلَا مَغْدَى . وَبَقِيَ رِجَالُ غَضٍّ^(٢)
 أَبْصَارُهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ، وَأَرَاقُ^(٣) دُمُوعِهِمْ خَوْفُ
 الْمَحْشَرِ ، فَهُمْ يَبْتَغُونَ شَرِيدَ نَادٍ^(٤) ، وَخَائِفٌ مُنْقِمِعٍ^(٥) ،
 وَسَاكِتٍ مَكْمُومٍ^(٦) ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ ، وَمُوجِعٍ تُكْلَانِ^(٧) ،
 قَدْ أَخْلَتَهُمُ التَّقِيَّةُ ، وَشَمِلَتْهُمُ الذَّلَّةُ . فَهُمْ فِي بَحْرِ
 أَجَاجٍ^(٨) ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ^(٩) ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ^(١٠) ،
 قَدْ وَعِظُوا حَتَّى مَلُّوا^(١١) ، وَقَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا
 حَتَّى قَلُّوا . فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ

(١) تحلى : تزين (٢) غرض : خفض (٣) أراق : اسكب
 (٤) الناد : النافر الذاهب على وجهه (٥) منقمع : مستغف
 ومستتر (٦) معكوم : معقول عن الكلام (٧) التكلان : الذي
 فقد ولده (٨) الأجاج : الملح (٩) الضامر : الضعيف المهزول
 (١٠) قرحة : مجروحة (١١) ملوا : سئموا

حُثَالَةَ الْقَرْظِ^(١) ، وَقُرَاضَةَ الْجَلْمِ^(٢) . وَاتَّعِظُوا بِمَنْ
كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ،
وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ
أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ .



خطبة
ليزید بن
معاوية
بعد
موت
أبيه

وَلِيزِيدِ ابْنِ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ .
خَطَبَ فَقَالَ : إِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ حَبَلًا مِنْ
حِبَالِ اللَّهِ ، مَدَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَمُدَّهُ ، ثُمَّ قَطَعَهُ حِينَ
شَاءَ أَنْ يَقْطَعَهُ ؛ وَكَانَ دُونَ مَنْ قَبْلَهُ ، وَهُوَ خَيْرُ
مِمَّنْ بَعْدَهُ ، وَلَا أَزْكِيهِ^(٣) عِنْدَ رَبِّهِ ، وَقَدْ صَارَ إِلَيْهِ .

(١) حُثَالَةُ الْقَرْظِ : ما يسقط من ورق السلم
(٢) قُرَاضَةُ الْجَلْمِ :
(٣) أَزْكِيهِ : أمدحه

فَإِنْ يَعْفُ عَنْهُ فَبِرَحْمَتِهِ ، وَإِنْ يُعَاقِبُهُ فَبِذَنْبِهِ ،
وَقَدْ وَلِيْتُ الْأَمْرَ بَعْدَهُ ، وَلَسْتُ أَعْتَذِرُ مِنْ جَهْلٍ ،
وَلَا آسَى عَلَى عِلْمٍ . وَعَلَى رِسَالِكُمْ ! إِذَا كَرِهَ اللَّهُ
أَمْرًا غَيْرَهُ .

*
* *

خطبة
لمعتبة
ابن أبي
سفيان

وَلِمُعْتَبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ .
أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالَ :
اِخْتَبَسَتْ كُتُبُ مُعَاوِيَةَ حَتَّى أَرْجَفَ ^(١) أَهْلُ
مِصْرَ بِمَوْتِهِ ، ثُمَّ وَرَدَ كِتَابُهُ بِسَلَامَتِهِ ، فَصَعِدَ
عُتْبَةُ الْمُنْبَرِ وَالْكِتَابُ فِي يَدِهِ فَقَالَ .
يَا أَهْلَ مِصْرَ ! قَدْ طَالَتْ مُعَاتَبَتُنَا إِيَّاكُمْ

(١) أَرْجَفَ : خَاضَ فِي الْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ

بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَظَبَاتِ^(١) السُّيُوفِ ، حَتَّى صِرْنَا
 شَجَبَى^(٢) فِي لَهَوَاتِكُمْ ، مَا تُسَيِّغُنَا^(٣) خُلُوقَكُمْ ،
 وَأَقْدَاءَ^(٤) فِي أَعْيُنِكُمْ ، مَا تَطْرُفُ عَلَيْهَا جُفُونُكُمْ .
 فَحِينَ اشْتَدَّتْ عُرَا الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا ، وَاسْتَرَخَتْ
 عُقْدُ الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلًّا ، أَرْجَفْتُمْ بِالْخَلِيفَةِ ، وَأَرَدْتُمْ
 تَوْهِينَ^(٥) السُّلْطَانِ ، وَخُضْتُمْ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ ،
 وَأَقْدَمْتُمْ عَهْدَكُمْ بِهِ حَدِيثٌ . فَأَرْجَحُوا أَنْفُسَكُمْ إِذْ
 خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ ، فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَبَرِ
 السَّارِّ عَنْهُ ، وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ ، وَعَالَمُوا أَنَّ سُلْطَانَنَا
 عَلَى أَعْدَائِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ ، فَاصْلِحُوا لَنَا مَا ظَهَرَ ،

(١) الظبة : حد السيف أو السنان (٢) الشجى : ما اعترض في
 الحلق من عظم ونحوه (٣) الشراب السائق : الهوى (٤) الفذى : الجسم
 الغريب الذى يقع فى العين أو الغمس (٥) توهين : من الوهن وهو الضعف

نَكَلِكُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا بَطَنَ ، وَأَظْهَرُوا خَيْرًا وَإِنْ
 أَسْرَرْتُمْ شَرًّا ، فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارِعُونَ ،
 وَعَلَى اللَّهِ تَتَوَكَّلُ وَبِهِ نَسْتَعِينُ .



وَلَهُ أَيْضًا :

وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ أَنَّ عُتْبَةَ خَطَبَ أَهْلَ مِصْرَ
 حِينَ هَاجُوا ^(١) فَقَالَ :

يَا أَهْلَ مِصْرَ خَفَّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ مَدْحُ الْحَقِّ
 وَلَا تَفْعَلُونَهُ ، وَذَمُّ الْبَاطِلِ وَأَنْتُمْ تَأْتُونَهُ ، كَالْحِمَارِ
 يَحْمِلُ أَسْفَارًا ^(٢) أَثْقَلَهُ حَمْلُهَا وَلَمْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهَا .
 وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَدَاوِي أَدْوَاءَكُمْ بِالسَّيْفِ مَا اكْتَفَيْتُمْ

(١) هاجوا : اضطربوا (٢) الاسفار : الكتب الكبيرة

بِالسَّوْطِ ، وَلَا أَبْلُغُ السَّوْطَ مَا كَفَتْنِي الدَّرَّةُ^(١) ،
وَلَا أَبْطِيءُ عَنِ الْأُولَى إِنْ لَمْ تَصْلُحُوا عَلَى
الْأُخْرَى ، نَاجِزًا بِنَاجِزٍ ، وَمَنْ حَذَرَ كَمَنْ بَشَّرَ ،
فَدَعُوا قَالَ وَيَقُولُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقَالَ فَعَلَ
وَيَفْعَلُ ؛ فَإِنَّ هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ عِقَابٌ ،
وَلَا بَعْدَهُ عِتَابٌ .

*
* *

وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ :

خطبة
لعبد الله
ابن الزبير

خَطَبَ حِينَ قُتِلَ أَخُوهُ مُصْعَبٌ فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ .

إِنَّهُ لَنْ يَذِلَّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ فَرْدًا ،

(١) الدرة : السوط الذي يضرب به

وَلَنْ يَعِزَّ مَنْ كَانَ أَوْلِيَاءَ^(١) الشَّيْطَانِ حِزْبَهُ ، وَإِنْ
كَانَ مَعَهُ الْأَنَامُ ، أَتَانَا خَبْرٌ مِنْ قِبَلِ الْعِرَاقِ
أَجْزَعَنَا^(٢) وَأَفْرَحَنَا : قَتْلُ مُصْعَبِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَأَمَّا
الَّذِي أَحْزَنَنَا مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَذَعَةً^(٣)
يَجِدُهَا حَمِيمُهُ^(٤) عِنْدَ الْمُصِيبَةِ بِهِ ، ثُمَّ يَرْغَوِي بَعْدَهَا
ذُو الرَّأْيِ إِلَى جَمِيلِ الصَّبْرِ ، وَكَرِيمِ الْعَزَاءِ ، وَأَمَّا
الَّذِي أَفْرَحَنَا مِنْ ذَلِكَ ، فَعِلْمُنَا أَنَّ قَتْلَهُ شَهَادَةٌ ،
وَأَنَّ ذَلِكَ لَنَا وَلَهُ الْخَيْرَةُ . أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ
أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، بَاغُوهُ بِأَقْلٍ ثَمَنٍ كَانُوا
يَأْخُذُونَهُ بِهِ . إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَمُوتُ حَبَجًا^(٥) وَلَا

(١) أولياء : مناصرون ومعاونون (٢) أجزعنا : أحزنتنا

(٣) لذعة : حرقه (٤) الحميم : المخلص

(٥) الحبج : أن يأكل البعير لحاء العرفج فيرم بطنه سمناً وربما قتله ذلك

تَمُوتُ إِلَّا قَتْلًا ، قَعَصًا ^(١) بِالرِّمَاحِ ، وَقَصْفًا تَحْتَ
 ظِلَالِ السُّيُوفِ ، لَيْسَ كَمَا تَمُوتُ بَنُو مَرْوَانَ ؛
 وَاللَّهِ إِنْ ^(٢) قُتِلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ .
 أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَارِيَّةٌ ^(٣) مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى (الَّذِي
 لَا يَبِيدُ ذِكْرُهُ ، وَلَا يَذِلُّ سُلْطَانُهُ) فَإِنْ تَقَبَّلَ عَلَيَّ
 لَا أَخْذَهَا أَخْذَ الْبَطْرِ الْأَشْرِ ^(٤) وَإِنْ تُدْبِرْ عَنِّي
 لَا أَبْكُ عَلَيْهَا بُكَاءَ الْخَرْفِ الْمُهْتَرِ ^(٥) ثُمَّ نَزَلَ .



وَلِزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ :

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ

خطبة
لزياد بن
أبيه

(١) قعصه : قتله مكانه (٢) إن : نافية بمعنى ما (٣) العارية :
 ما تملك منفعته بغير عوض والمقصود الوديعة (٤) البطر الأشتر : الطاغى
 في النعمة (٥) الخرف : الذي فسد عقله بسبب الكبر . المهتر : من
 ذهب عقله بسبب مرض أو كبر أو حزن

ابن أبي عاصم يَبْعُضُهَا . وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنِ الْهَيْثَمِ
 ابْنِ عَدِيٍّ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ زِيَادُ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ
 نَظَرَ إِلَى أَيْيَاتِهَا ، قَالَ : رَبِّ فَرِحَ بِأَمَارَتِي لَنْ تَنْفَعَهُ
 (و) كَارِهِ لَهَا لَنْ تَضُرَّهُ ، فَدَخَلَ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ^(١) أُيْبَضُ ،
 وَرِدَائِهِ صَغِيرٌ ، وَصَعِدَ الْمُنْبَرَ ، خَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً
 بَثْرَاءَ : لَمْ يُصَلِّ فِيهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَطَبَهَا ، ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ قَالَ مُعَاوِيَةُ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَشَهِدَتْ
 الشُّهُودُ بِمَا قَدْ سَمِعْتُمْ . وَإِنَّمَا كُنْتُ أَمْرًا حَفِظَ اللَّهُ
 مِنْهُ مَا ضَيَّعَ النَّاسُ ، وَوَصَلَ مَا قَطَعُوا ، أَلَا وَإِنَّا قَدْ
 وَلَيْنَا وَوَلَيْنَا الْوَالُونَ^(٢) ، وَنُسْنَا وَسَاسَنَا السَّائِسُونَ^(٣) ،

(١) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب (٢) والون : جمع وال
 وهو الحاكم (٣) السائسون : جمع سائس وهو القائم بالأمر

وَإِنَّا وَجَدْنَا هَذَا الْأَمْرَ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا شِدَّةٌ فِي غَيْرِ
 عُنفٍ^(١) ، وَلَيْنُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ . وَإِيْمُ اللَّهِ مَا مِنْ
 كَذِبَةٍ أَكْبَرَ شَاهِدًا مِنْ كَذِبَةِ إِمَامٍ عَلَى مِنْبَرٍ ؛
 فَإِذَا سَمِعْتُمُوهَا مِنِّي فَانْتَمِزُوهَا^(٢) فِي ، وَاعْلَمُوا أَنَّ
 عِنْدِي أَمْثَلَهَا ، وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَمْرُ فِيكُمْ بِالْأَمْرِ
 فَانْفِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ^(٣) . وَإِيْمُ اللَّهِ إِنَّ لِي فِيكُمْ
 لَصَرْعَى^(٤) كَثِيرَةً ، فَلْيَحْذَرْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَنْ
 يَكُونَ مِنْ صَرْعَايَ . وَإِيْمُ اللَّهِ لَا أَخْذَنَ الْبَرِيءَ
 بِالسَّقِيمِ ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ ،
 حَتَّى تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ ، وَحَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ :

(١) العنف : الفسادة (٢) اغتمزه : طعن عليه (٣) أذلاله :

طرقه ووجوهه (٤) صرعى : جمع صريع بمعنى مصروع وهو المطروح
 على الأرض .

« أَنْجِ سَعْدُ فَقَدْ قُتِلَ سَعِيدٌ ^(١) » فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ الْأَهِمِّ التَّمِيمِيُّ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ
أَوْتَيْتَ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابِ ؛ فَقَالَ لَهُ : كَذَبْتَ ،
ذَاكَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدَ . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ الْأَخْنَفُ ، فَقَالَ :
إِنَّمَا الْمَرْءُ يَجِدُهُ ، وَالسَّيْفُ يَجِدُهُ ، وَالْجَوَادُ بِشَدِّهِ ؛
وَقَدْ بَلَغَكَ جِدُّكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا نَرَى ؛ وَإِنَّمَا الْحَمْدُ
بَعْدَ الْبَلَاءِ ^(٢) ، وَالشَّاءُ بَعْدَ الْعَطَاءِ ، وَإِنَّا لَا نُثْنِي
حَتَّى نَبْتَلِيَ . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ مِرْدَاسُ بْنُ أُدِيَّةَ ، فَقَالَ :
قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَإِنَّ خَلِيلَ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَدَّى عَنِ اللَّهِ غَيْرَ الَّذِي أَدَّيْتَهُ .

(١) هذا مثل يضرب عند الشدائد في الاستخبار عن الأمرين أيهما وقع

الخير . أم الشر (٢) البلاء : الاختبار

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (أَلَا تَرَوْ زِرَةً وَزِرَةً أُخْرَى) .
وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَأْخُذُ الْبَرِيَّ بِالسَّقِيمِ ، وَالْمُطِيعَ
بِالْعَاصِي ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُذْبِرِ ؛ فَقَالَ لَهُ : اسْكُتْ ،
فَوَاللَّهِ مَا أَجِدُ إِلَى مَا أُرِيدُ سَبِيلًا ، إِلَّا أَنْ أَخُوضَ
إِلَيْهِ الْبَاطِلَ خَوْضًا . ثُمَّ نَزَلَ .

وَقَالَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ أُخْرَى .

حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أُسَوِّهَا بِالْأَرْضِ
هَدْمًا وَإِحْرَاقًا . إِيَّايَ وَدَلَجَ^(٢) اللَّيْلِ ، فَإِنِّي لَا أُوتَى
بِمُدْلَجٍ^(٣) إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَإِيَّايَ وَدَعْوَى
الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ

(١) لا ترز وزرة وذر أخرى : أى لا تحمل نفس آثمة ثم غيرها

(٢) دلج الليل : الساعة المتأخرة منه (٣) المدلج : السائر في آخر الليل

لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحَدْتُمْ^(١) أَحَدَانَا^(٢) ، وَأَحَدْنَا
لِكُلِّ ذَنْبٍ عُقُوبَةً ؛ فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْتُهُ ،
وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْتُهُ ، وَمَنْ نَقَبَ يَتًّا نَقَبْتُ
عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنْتُهُ فِيهِ حَيًّا ، فَكُفُوا
أَيْدِيَكُمْ وَالسِّنِّتَكُمْ أَكْفَ عَنْكُمْ . وَقَدْ كَانَتْ
يَنِينِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ مِنْكُمْ أَشْيَاءٌ قَدْ جَعَلْتُهَا دَبْرًا أَدْنِي
وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ ، وَمَنْ كَانَ
مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ . إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ
قَتَلَهُ السُّلُّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا^(٣)
وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ،

(١) أَحَدْتُمْ : أوجدتم (٢) أَحَدَانَا : جمع حدث . والحدث :

الأمر الحادث . والأمر المنكر الذي ليس بمعتاد (٣) القناع : ما يستتر به الوجه

فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنَاظِرْهُ^(١) ؛ فَأَعَيْنُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
وَاسْتَأْنِفُوا^(٢) أَمْرَكُمْ .

*
* *

دَخَلَ وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفًا مُتَكَبِّبٌ^(٣) قَوْسًا عَرِيَّةً ،
فَعَلَا الْمُنْبَرَ فَقَالَ :

خطبة
للحجاج
حين
دخل
البصرة

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَّلَاغِ الثَّنَايَا^(٤)

مَتَى أَضْعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ^(٥) عِيدَانَهُ يَبْنِي يَدِيهِ ،

فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عُودًا وَأَصْلَبَهَا مَكْسِرًا^(٦) ، فَوَجَّهَنِي

(١) أَنَاظِرْهُ : أَمْهَلْهُ (٢) اسْتَأْنَفُوا : اخَذَفُوا : أَخَذَفِيهِ وَابْتَدَأَ

(٣) تَكَبَّبَ الْقَوْسُ الْقَاوَاهَا عَلَى مَنْكِبِهِ (٤) الثَّنَايَا : نِهَايَةُ الْجَبَلِ وَالْمُرَادُ

أَنَّهُ لَا يَبَالِي بِالشَّدَائِدِ (٥) نَثَرَ : طَرَحَ (٦) أَيْ أَقْوَاهَا وَأَشَدَّهَا .

إِلَيْكُمْ . أَلَا فَوَاللَّهِ لَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبَ ^(١) السَّامَةِ ،
وَلَأُلْحُونَكُمْ لَحْوَ ^(٢) الْعُودِ ، وَلَأُضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ
غَرَائِبِ الْإِبِلِ ^(٣) ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ ،
وَحَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ : « أَنْجُ سَعْدٌ فَقَدْ قُتِلَ سَعِيدٌ » .
أَلَا وَإِيَّايَ وَهَذِهِ السُّفْعَاءُ وَالزَّرَافَاتِ ، فَإِنِّي لَا أُوتَى
بِأَحَدٍ مِنَ الْجَالِسِينَ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ .



أَرْجَفَ النَّاسُ بِمَوْتِ الْحَجَّاجِ خَطَبَ فَقَالَ :
إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، أَهْلَ الشَّقَاقِ
خطبة
للحجاج
أيضا

(١) عصبه : قطعه — السامة : شجرة السنط (٢) لحا العود :
قشره (٣) مثل يضرب للتهديد والانذار . لأن الإبل الغربية تضرب
لاضطرابها

وَالنِّفَاقِ ، نَزَعُ^(١) الشَّيْطَانُ يَنْتَهُمُ ، فَقَالُوا : مَاتَ
 الْحَجَّاجُ وَمَاتَ الْحَجَّاجُ ! فَهَـ^(٢) ! وَهَلْ يَرْجُو
 الْحَجَّاجُ الْخَيْرَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ! وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي
 إِلَّا أَمُوتَ ، وَإِنَّ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ! وَمَا رَأَيْتُ
 اللَّهَ رَضِيَ بِالتَّخْلِيدِ إِلَّا لِأَهْوَنِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ إِبْلِيسَ .
 وَلَقَدْ دَعَا اللَّهَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ^(٣) فَقَالَ (رَبِّ اغْفِرْ
 لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ،
 فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ إِلَّا الْبَقَاءَ . فَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ أَيُّهَا
 الرَّجُلُ ! وَكُلُّكُمْ ذَلِكَ الرَّجُلُ ! . كَأَنِّي وَاللَّهِ
 بِكُلِّ حَيٍّ مِنْكُمْ مَيِّتًا . وَبِكُلِّ رَطْبٍ^(٤) يَابَسًا^(٥)

(١) نزاع : أغرى (٢) مه مه اكفف (٣) يعني به داود
 عليه السلام (٤) الرطب : الندى (٥) اليابس : الجاف

وَتُقِلَّ فِي ثِيَابٍ أَكْفَانِهِ إِلَى ثَلَاثِ أَذْرُعٍ طُولًا فِي
 ذِرَاعِ عَرْضًا ، وَأَكَلَتِ الْأَرْضُ لَحْمَهُ وَمَصَّتْ
 صَدِيدَهُ^(١) ، وَأَنْصَرَفَ الْحَبِيبُ مِنْ وَلَدِهِ يَقْسِمُ
 الْخَلِيبَ مِنْ مَالِهِ ؛ إِنَّ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ يَعْلَمُونَ
 مَا أَقُولُ ، ثُمَّ نَزَلَ .



خَطَبَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ ،
 وَقَدْ اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ ابْنِي هَذَا ، وَأَوْصَيْتُهُ بِخِلَافِ
 مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وَسَلَّم)
 فِي الْأَنْصَارِ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْصَى أَنْ يُقْبَلَ مِنْ

خطبة
أخرى
للحجاج
حين
أراد
الحج

(١) الصديد : الفيج المختلط بالدم

مُحْسِنِهِمْ ، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؛ وَإِنِّي أَمَرْتُه
 أَلَّا يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ وَلَا يَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ .
 أَلَا وَإِنَّكُمْ سَتَقُولُونَ بَعْدِي مَقَالَةً لَا يَمْنَعُكُمْ
 مِنْ إِظْهَارِهَا إِلَّا مَخَافَتِي ، سَتَقُولُونَ بَعْدِي :
 لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الصَّحَابَةَ ! أَلَا وَإِنِّي مُعَجِّلٌ
 لَكُمْ الْجَوَابَ : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ الْخِلَافَةَ ،
 ثُمَّ نَزَلَ .



خَطَبَ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : سَوِّطِي سَيْفِي ،
 فَنَجَّادُهُ^(١) فِي عُنُقِي ، وَقَائِمُهُ فِي يَدِي ، وَذَبَابُهُ^(٢)

خطبة
للحجاج
أيضا في
إظهار
الجبروت

(١) النجاد : حمالة السيف (٢) ذبابه : طرفه الذي يضرب به

فِلَادَةٌ^(١) لِمَنْ اغْتَرَّ بِي ! فَقَالَ الْحَسَنُ : بُؤْسًا^(٢)
لِهَذَا ! مَا أَغَرَّهُ بِاللَّهِ ! .

وَحَلَفَ رَجُلٌ بِالطَّلَاقِ أَنَّ الْحَجَّاجَ فِي النَّارِ ، ثُمَّ
أَتَى امْرَأَتَهُ فَمَنَعَتْهُ نَفْسَهَا ؛ فَأَتَى ابْنَ سِيرِينَ يَسْتَفْتِيهِ ؛
فَقَالَ : يَا بْنَ أَخِي ، إِمِضْ فَكُنْ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّ
الْحَجَّاجَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي النَّارِ لَمْ يَضُرَّكَ أَنْ تَرِنِي .



حَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ
خُطْبَةِ
لَعْمَرِ بْنِ
عَبْدِ
الْعَزِيزِ بْنِ
رَحْمَةِ اللَّهِ
عَلَيْهِ
شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ،
قَالَ :

(١) الفلادة : ما يجعل حول العنق (٢) البؤس : الشدة والفقر

كَانَ آخِرُ خُطْبَةٍ خَطَبَ بِهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
 رَحِمَهُ اللَّهُ ، أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
 أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَا^(١) ، وَلَنْ تُتْرَكُوا
 سُدَى ، وَإِنَّ لَكُمْ مَعَادًا يَنْزِلُ اللَّهُ فِيهِ لِلْحُكْمِ
 فِيكُمْ وَالْفَصْلِ بَيْنَكُمْ ، فَحَابَّ وَخَسِرَ مَنْ خَرَجَ
 مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَحَرِمَ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ .
 أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ غَدًا إِلَّا مَنْ حَذَرَ الْيَوْمَ
 وَخَافَ ، وَبَاعَ نَافِدًا بِبَاقٍ ، وَقَلِيلًا بِكَثِيرٍ ، وَخَوْفًا
 بِأَمَانٍ ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أَسْلَابٍ^(٢) الْهَالِكِينَ ،
 وَسَتَكُونُ مِنْ بَعْدِكُمْ لِلْبَاقِينَ كَذَلِكَ ، حَتَّى تُرَدَّ

(١) العبث : العمل الذي لا يرجى منه غاية (٢) الأسلاب : ثياب

المتآتم . والمراد بها تراث الموتي

إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ ! ثُمَّ إِنَّكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُشِيعُونَ
 غَادِيًا وَرَاحِيًا إِلَى اللَّهِ قَدْ قَضَىٰ نَجْبَهُ ^(١) ، حَتَّى
 تُغَيِّبُوهُ فِي صَدْعٍ ^(٢) مِنَ الْأَرْضِ فِي بَطْنِ صَدْعٍ غَيْرِ
 مُوسَدٍ وَلَا مُمَهَّدٍ ^(٣) ، قَدْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ وَبَاشَرَ
 التُّرَابَ وَوَجَّهَ الْحِسَابَ ، فَهُوَ مُرْتَمِنٌ بِعَمَلِهِ ، غَنِيٌ
 عَمَّا تَرَكَ ، فَقِيرٌ إِلَىٰ مَا قَدَّمَ فَاتَّقُوا اللَّهَ قَبْلَ انْقِضَاءِ
 مَوَاقِيتِهِ وَنُزُولِ الْمَوْتِ بِكُمْ ! أَمَّا إِنِّي أَقُولُ
 هَذَا وَمَا أَعْلَمُ أَنَّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا
 عِنْدِي ، فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ . ثُمَّ رَفَعَ طَرَفَ
 رِدَائِهِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ .

(١) قضى نجبه : مات (٢) الصدع : الشق

(٣) موسد : له وسادة (مخدة) لامهد : لا مهاد له : غير مفروش



خَطَبَ فَذَكَرَ اللَّهَ وَجَلَّالَهُ ثُمَّ قَالَ : كُنْتَ
كَذَلِكَ مَا شِئْتَ أَنْ تَكُونِ ، لَا يَعْلَمُ كَيْفَ أَنْتَ
إِلَّا أَنْتَ ، ثُمَّ ارْتَأَيْتَ أَنْ تَخْلُقَ الْخَلْقَ فَمَاذَا جِئْتَ
بِهِ مِنْ مَعْجَائِبِ صُنْعِكَ ، الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ مِنْ
خَلْقِكَ ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ مِنْ ذَرِّكَ ^(١) : مِنْ صُنُوفِ
أَفْوَاجِهِ ^(٢) وَأَفْرَادِهِ وَأَزْوَاجِهِ ، كَيْفَ أَدْمَجْتَ قَوَائِمَ
الذَّرَّةِ وَالْبَعُوضَةِ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ
الْأَشْبَاحِ الَّتِي امْتَزَجَتْ بِالْأَرْوَاحِ !

خطبة
الحالد بن
عبد الله
يوم عيد



وَخَطَبَ يَوْمًا فَسَقَطَتْ جَرَادَةٌ عَلَى ثَوْبِهِ فَقَالَ :

خطبة
له أيضا

(١) الذرة : النملة الصغيرة (٢) الأفواج : الجماعات

سُبْحَانَ مَنْ الْجَرَادَةُ مِنْ خَلْقِهِ ، أَدْمَجَ قَوَائِمَهَا ،
وَطَوَّقَهَا جَنَاحَهَا ، وَوَشَّى^(١) جِلْدَهَا ، وَسَلَّطَهَا عَلَى
مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا .



أَيُّهَا النَّاسُ ، إِحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَخَذُوا ^{خطبة}
الْأَنْفُسَ بِضَمِيرِهَا ، فَإِنَّهَا أَسْوَأُ^(٢) شَيْءٍ إِذَا أُعْطِيَتْ
وَأَعْصَى شَيْءٌ إِذَا سُئِلَتْ . وَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ^(٣)
عَنْ مُحَارِمٍ^(٤) اللَّهُ أَيْسَرَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ .

(١) وشى جلدها : حسنه ونقشه (٢) وفي بعض النسخ أسوك :
من سالك الرجل اذا مشى مشياً ضعيفاً وهو غامض المعنى والأظهر ما قلناه
لك . ويؤيده (ان الانسان ليظني ان رآه استغنى) (٣) الصبر : البعد
والكف (٤) محارم : جمع محرم . والمراد كل ما حرمه الله



خطبة
سليمان
ابن عبد
الملك

إِنَّ الدَّارَ دَارُ غُرُورٍ وَمَنْزِلُ بَاطِلٍ ، تَضْحِكُ بِأَكْيَا
وَتُبْكِي صَاحِبَهَا ، وَتُخِيفُ آمِنًا وَتُؤَمِّنُ خَائِفًا ، وَتُفْقِرُ
مُثْرِيًا وَتُثْرِي مُقْتَرًا^(١) ، مِثَالَةُ غَرَّارَةِ لَعَابَةٍ بِأَهْلِهَا !
عِبَادَ اللَّهِ ! اتَّخِذُوا كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا ، وَارْتَضُوا بِهِ
حَكَمًا ، وَاجْعَلُوهُ لَكُمْ قَائِدًا ، فَإِنَّهُ نَاسِخٌ لِمَا كَانَ
قَبْلَهُ وَلَمْ يَنْسَخْهُ كِتَابٌ بَعْدَهُ . إِعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ !
أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَحْلُو^(٢) كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَمَا يَحْلُو
ضَوْؤُهُ الصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ^(٣) ، ظِلَامَ اللَّيْلِ إِذَا عَسَعَسَ^(٤) .

(١) مقتراً من أقر الرجل : أى افترق (٢) يحلو : يسحق ويبيد

(٣) تنفس الصبح : طلع النهار وظهر (٤) عسعس : جن وأظلم



خُطْبَةُ
يزيد
ابن
الوليد
بعد
قتله
الوليد

حَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ،
وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ أَشْرًا وَلَا بَطَرًا وَلَا حِرْصًا عَلَى
الدُّنْيَا وَلَا رَغْبَةً فِي الْمُلْكِ ، وَمَا بِي إِطْرَاءٌ ^(١) نَفْسِي ،
وَإِنِّي لَظَلُومٌ لَهَا إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي اللَّهُ ، وَلَكِنْ
خَرَجْتُ غَضَبًا لِلَّهِ وَدِينِهِ ، دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى سُنَّةِ
نَبِيِّهِ ، لَمَّا هُدِمَتْ مَعَالِمُ الْهُدَى ، وَأُطْفِئَ نُورُ
أَهْلِ التَّقْوَى ، وَظَهَرَ الْجَبَارُ ^(٢) الْعَنِيدُ ، الْمُسْتَحِلُّ
لِكُلِّ حُرْمَةٍ ، وَالرَّاكِبُ لِكُلِّ بِدْعَةٍ ، الْكَافِرُ
بِيَوْمِ الْحِسَابِ ، وَإِنَّهُ لَا بَنُ عَمِّي فِي النَّسَبِ وَكَفَيْتِي ^(٣)
فِي الْحَسَبِ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ اسْتَخَرْتُ اللَّهَ فِي

(١) الاطراء : المدح (٢) الجبار : العاتى (٣) كفي : نظيرى

أَمْرِهِ ، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَكْلَنِي إِلَى نَفْسِي ، وَدَعَوْتُ
إِلَى ذَلِكَ مَنْ أَجَابَنِي مِنْ أَهْلِ وَلَايَتِي ، حَتَّى
أَرَّاحَ اللَّهُ مِنْهُ الْعِبَادَ ، وَطَهَّرَ مِنْهُ الْبِلَادَ ، بِحَوْلِهِ
وَقُوَّتِهِ ، لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لَكُمْ عَلَى أَلَا أُضْعَ حَجَرًا
عَلَى حَجَرٍ ، وَلَا لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ ، وَلَا أُكْرِى^(١)
نَهْرًا ، وَلَا أَكْنِزَ مَالًا ، وَلَا أُعْطِيَهُ زَوْجًا وَلَا وَلَدًا ،
وَلَا أُنْقِلُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ حَتَّى أُسَدَّ ثَغْرُ^(٢) ذَلِكَ
الْبَلَدِ وَخَصَاصَةُ^(٣) أَهْلِهِ ، فَإِنْ فَضَلَ فَضْلُ تَقْلَتُهُ

(١) أكرى : أحفر
(٢) الثغر : البلد على حدود العدو تقوم
عليه حراسة الجند . يريد تقوية الدفاع عن الدين وأهله وفي بعض النسخ
فقر : بدل ثغر وهو كما لا يخفى غير ظاهر (٣) الخصاصة : الفقر

إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي يَلِيهِ . وَلَا أُجَرِّكُمْ^(١) فِي بُعُوثِكُمْ
فَأَفْتِنَكُمْ وَأَفْتِنَ أَهْلِيكُمْ ، وَلَا أَغْلِقَ بَابِي دُونَكُمْ
فِيَأْكُلَ قَوِيَّتُكُمْ ضَعِيفَكُمْ ، وَلَا أَثْمِلَ عَلَى أَهْلِ
جَزَيْتِكُمْ مَا أَجْلِيهِمْ بِهِ عَنْ بِلَادِهِمْ ، وَأَقْطَعُ بِهِ
نَسْلَهُمْ . وَلَكُمْ عَلَى إِذْرَارِ الْعَطَاءِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ،
وَالرِّزْقِ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، حَتَّى يَسْتَوِيَ بِكُمْ الْحَالُ ،
فَيَكُونَ أَفْضَلُكُمْ كَأَدْنَاكُمْ . فَإِنْ أَنَا وَفَيْتُ لَكُمْ ،
فَعَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَحُسْنُ الْمُوَاظَرَةِ
وَالْمَكَاتِفَةِ^(٢) ، وَإِنْ لَمْ أَفِ لَكُمْ ، فَلَكُمْ
أَنْ تَخْلَعُونِي ، إِلَّا أَنْ تَسْتَيْبُونِي^(٣) ، فَإِنْ أَنَا ثَبْتُ

(١) تجير العساكر : حبسهم في بلاد العدو ولم يقفلهم . وفي الحديث
« لا تجبروا الجيش فثقتوهم » . وفي البيان : ثعوركم (٢) المكاتفة :
المعاونة (٣) تستيبوني : تطالبوني بالتوبة

قِيلَتْ مِنْنِي ، وَإِنْ عَرَفْتُمْ أَحَدًا يَقُومُ مَقَامِي مِمَّنْ
يُعْرِفُ بِالصَّلَاحِ يُعْطِيكُمْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلَ الَّذِي
أَعْطَيْتُكُمْ ، فَأَرَدْتُمْ أَنْ تُبَايَعُوهُ ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ
بَايَعَهُ ، وَدَخَلَ فِي طَاعَتِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِخَلْقٍ فِي مَعْصِيَةِ
الْخَالِقِ . وَأَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ
لِي وَلَكُمْ .

فَلَمَّا بُويعَ مَرْوَانُ نَبَشَهُ وَصَلَبَهُ . وَكَانُوا
يَقْرَأُونَ فِي الْكُتُبِ : يَا مُبَذَّرَ الْكُنُوزِ ،
وَيَا سَجَّادًا^(١) بِالْأَسْحَارِ^(٢) ، كَانَتْ وَلَايَتُكَ لَهُمْ
رَحْمَةً ، وَعَلَيْهِمْ حُجَّةٌ ، أَخَذُوكَ فَصَلَبُوكَ .

(١) السجود : كثير السجود

(٢) الأسحار : جمع سحر .

والسحر : آخر الليل



خطبَ أَبُو حَمْزَةَ الْخَارِجِيُّ بِمَكَّةَ فَذَكَرَ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَا هُمُ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَوَلِي
 عُثْمَانُ فَسَارَ سِتِّ سِنِينَ بِسِيرَةِ صَاحِبِيهِ وَكَانَ دُونَهُمَا ،
 ثُمَّ سَارَ فِي السَّتِّ الْأَوَاخِرِ بِمَا أَحْبَطَ^(١) بِهِ
 الْأَوَائِلَ ، ثُمَّ مَضَى لِسَبِيلِهِ . وَوَلِي عَلِيٌّ فَلَمْ يَبْلُغْ
 مِنَ الْحَقِّ قَصْداً ، وَلَمْ يَرْفَعْ لَهُ مَنَاراً ، ثُمَّ مَضَى
 لِسَبِيلِهِ . ثُمَّ وَلِيَ مُعَاوِيَةُ لَعِينُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ
 لَعِينِهِ ، اتَّخَذَ عِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً^(٢) ، وَمَالَ اللَّهِ دُوْلاً^(٣) ،

(١) أَحْبَطَ : أَبْطَلَ (٢) خَوْلَا : عِبْدًا وَإِمَاءَ (٣) دُوْلا :
 جَمْعُ دُوْلَةٍ : وَالِدُوْلَةٍ : مَا يَتَدَاوَلُهُ الْأَغْنِيَاءُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَيَخْصُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ .
 وَلَا يُعْطَوْنَ مِنْهُ إِلَى الْفُقَرَاءِ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (كَيْ لَا يَكُونَ دُوْلَةٌ
 بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ)

وَدِينَهُ دَغَلًا^(١) ثُمَّ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، فَأَلْعَنُوهُ لَعْنَةُ اللَّهِ .
 ثُمَّ وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، يَزِيدُ الْخُمُورِ ، وَيَزِيدُ
 الْقُرُودِ ، وَيَزِيدُ الْفُهُودِ ، الْفَاسِقُ فِي بَطْنِهِ ،
 وَالْمَأْبُونُ^(٢) فِي فَرْجِهِ ، ثُمَّ اقْتَصَمَهُمْ^(٣) خَلِيفَةً خَلِيفَةً ،
 فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، أَعْرَضَ عَنْ
 ذِكْرِهِ . ثُمَّ ذَكَرَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ :
 يَا أَكْلُ الْحَرَامِ ، وَيَلْبَسُ الْحُلَّةَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، قَدْ
 ضُرِبَتْ فِيهَا^(٤) الْأَبْشَارُ ، وَهَتَكَتِ^(٥) الْأَسْتَارُ ، حَبَابَةٌ
 عَنْ يَمِينِهِ^(٦) ، وَسَلَامَةٌ عَنْ يَسَارِهِ تُغْنِيَانِهِ ، إِذَا حَتَّى

(١) دغلا : غشا (٢) المأبون : المتهم (٣) اقتصمهم : عابهم

(٤) البشرة : الجلد . أى ضرب في سبيل جمع ثمنها الناس .

(٥) هتكت : فضحت (٦) حبابة وسلامة فيفتان مغنيتان .

أَخَذَ الشَّرَابُ فِيهِ كُلَّ مَاخِذٍ ، قَدْ^(١) ثَوَّبَهُ ،
ثُمَّ التَفَتَ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَ : أَلَا أَطِيرُ ! نَعَمْ !
طَرُّ إِلَى النَّارِ . ثُمَّ ذَكَرَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : شَبَابُ
وَاللَّهِ مُكْتَهَلُونَ^(٢) فِي شَبَابِهِمْ ، غَضِيضَةٌ^(٣) عَنِ الشَّرِّ
أَعْيُنُهُمْ ، ثَقِيلَةٌ عَنِ الْبَاطِلِ أَرْجُلُهُمْ^(٤) ، أَنْصَاءُ^(٥) عِبَادَةٍ ،
وَأَطْلَاحُ^(٦) سَهَرٍ ، يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ،
مُنْحَنِيَةً أَصْلَابُهُمْ^(٧) عَلَى أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ ، قَدْ أَكَلَتْ
الْأَرْضُ رُكَبَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَجِبَاهَهُمْ ، وَاسْتَقَلُّوا ذَلِكَ
فِي جَنْبِ^(٨) اللَّهِ ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا السَّهَامَ قَدْ فُوقَتْ^(٩) ،

(١) قد : شق (٢) اكتهل : صار كهلا (٣) غض الطرف :

أغمضه كناية عن التباعده عن الشر (٤) كتابة عن التقاعد عنه

(٥) انصاء : جمع نضو وهو المهزول (٦) أطلاح : جمع طلح وهو

المهزول (٧) أصلابهم : ظهورهم (٨) جنب الله : حق الله

(٩) فوقت : سددت

وَالرَّمَا حَ قَدْ أَشْرَعَتْ^(١) ، وَالسُّيُوفَ قَدْ أَنْتَضَيْتِ^(٢) ،
وَأَرْعَدَتْ الْكَتِيبَةَ^(٣) بِصَوَاعِقِ الْمَوْتِ ، مَضَى
الشَّابُّ مِنْهُمْ قُدُمًا^(٤) ، حَتَّى اخْتَلَفَتْ رِجْلَاهُ عَلَى
عُنُقِ فَرَسِهِ ، وَتَخَضَّبَتْ مُحَاسِنُ وَجْهِهِ بِالدِّمَاءِ .
فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ سِبَاعُ الْأَرْضِ ، وَانْحَطَّتْ إِلَيْهِ طَيْرُ
السَّمَاءِ ، فَكَمُ مِنْ عَيْنٍ فِي مِنْقَارٍ طَائِرٍ ، طَالَمَا بَكَى
صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ ، وَكَمُ مِنْ
كَفٍّ زَايِلَتْ^(٥) مِعْصَمَهَا ، طَالَمَا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا
فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بِالسُّجُودِ لِلَّهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَوْهَ أَوْهَ^(٦) ،
وَبَكَى ثُمَّ نَزَلَ .

(١) أشرعت : رفعت (٢) انتضيت : أخرجت من أنحاديها

(٣) الكتيبة : القطعة من الجيش . وجماعة الفرسان (٤) قداما :

مقداما لا يتراجع (٥) زايلت : فارقت (٦) أوه : كلمة معناها التحزن



خطبة
قطري
الخارجي

ذَكَرَ فِيهَا الَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ، فَقَالَ :
 هُمُلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأَنْزِلُوا
 فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيْفَانًا ، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَجْنَانًا^(١)
 وَمِنَ الثَّرَابِ أَكْفَانًا ، وَمِنَ الرُّفَاتِ^(٢) جِيرَانًا ،
 فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ،
 إِنْ أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا ، أَوْ أَفْحَطُوا^(٣) لَمْ يَقْنَطُوا
 جَمِيعٌ أَوْحَادٌ ، وَجِيرَةٌ أَبْعَادٌ ، لَا يَزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ ،
 فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ ، وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ ،
 وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ^(٤) .

(١) أجنان : جمع جنن وهو القبر (٢) الرفات : الأجساد البالية

(٣) أفحطو : نزل بهم الفحط (٤) أى تمسكوا بدينه .

*
* *

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، فَكَمْ مِنْ مُؤْمِلٍ أَمَلًا من خطبة ليوسف ابن عمر
 لَا يَبْلُغُهُ ، وَجَامِعٍ مَالًا لَا يَأْكُلُهُ ، وَمَانِعٍ
 مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ، وَمِنْ
 حَقٍّ مَنَعَهُ ، أَصَابَهُ حَرَامًا ، وَوَرَّثَهُ عَدُوًّا ، اِحْتَمَلَ
 إِصْرَهُ^(١) ، وَبَاءَ^(٢) بِبُوزَرِهِ ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ آسِفًا
 لَاهِفًا ، « قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ
 الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » .

*
* *

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : سَمِعْتُهُ عَلَى الْمُنْبَرِ يَقُولُ : وفي خطبة للحجاج
 امْرَأً زَوَرَ^(٣) عَمَلَهُ ، امْرَأً حَاسَبَ نَفْسَهُ ، امْرَأً

(١) إصْرُهُ : إثمُهُ . (٢) بَاءَ بِبُوزَرِهِ : رَجَعَ بِإِثْمِهِ وَعِقَابِهِ

(٣) زَوَرَ عَمَلَهُ : حَسَنَهُ وَمِنْهُ تَرْوِيرُ الْكَذِبِ : أَيْ تَحْسِينُهُ . وَامْرَأً

مَفْعُولٌ لِفَعْلٍ مَحْذُوفٍ كَأَنَّهُ رَحِمَ وَمَا فِي مَعْنَاهُ

فَكَرَّ فِيمَا يَقْرَؤُهُ فِي صَحِيفَتِهِ ، وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ ،
 أُمْرًا كَانَ عِنْدَ هَوَاهُ زَاجِرًا ^(١) ، وَعِنْدَ هَمِّهِ ^(٢) أَمْرًا ،
 أَخَذَ بَعِنَانِ قَلْبِهِ ، كَمَا يَأْخُذُ بِخِطَامِ ^(٣) جَمَلِهِ ، فَإِنْ
 قَادَهُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبِعَهُ ، وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ
 اللَّهِ كَفَّهُ ^(٤) .

*
* *

خطبة المنصور بمكة فقال : أَيُّهَا النَّاسُ .
 إِنَّمَا أَنَا سُلْطَانُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، أَسْوَئُكُمْ بِتَوَفِيقِهِ
 وَتَسْدِيدِهِ ، وَتَأْيِيدِهِ وَتَبْصِيرِهِ . وَخَازِنُهُ عَلَى فَيْئِهِ ^(٥)
 أَعْمَلُ فِيهِ بِمَشِئَتِهِ ، وَأَقْسَمُهُ بِإِرَادَتِهِ ، وَأَعْطِيهِ
 بِإِذْنِهِ ، قَدْ جَعَلَنِي عَلَيْهِ قُفْلًا ، إِذَا شَاءَ أَنْ يَفْتَحَنِي

(١) أى لنفسه . (٢) أى عزمه (٣) الخِطَام : حبل يجعل
 فى عنق البعير (٤) كفه : منعه (٥) التى : الغنيمة . والمراد المال .

لَا عِطَائِكُمْ ، وَقَسَمَ أَرْزَاقِكُمْ ، فَتَحَنِي ، وَإِذَا شَاءَ
 أَنْ يُقْفِلَنِي عَلَيْهَا أَقْفَلَنِي . فَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْأَلُوهُ
 فِي هَذَا الْيَوْمِ الشَّرِيفِ ، الَّذِي وَهَبَ لَكُمْ فِيهِ مِنْ
 فَضْلِهِ مَا أَعْلَمَكُمْ فِي كِتَابِهِ إِذْ يَقُولُ : « الْيَوْمَ
 أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ،
 وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » ^(١) يُوفِّقُنِي لِلصَّوَابِ
 وَالرَّشَادِ ، وَيُلْهِمَنِي الرَّأْفَةَ بِكُمْ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ ،
 وَيَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ وَقَسَمَ أَرْزَاقِكُمْ بِالْعَدْلِ عَلَيْكُمْ .

*
* *

خَطَبَ فَقَالَ : أَحْرَزَ ^(٢) لِسَانَ رَأْسَهُ ، اتَّعَظَ امْرُؤٌ
 بغيرِهِ ، اعتَبَرَ عَاقِلٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَأَمْسَكَ

خطبة
لداود
ابن علي

(١) معمول لفعل أسأله (٢) أحرز : صان

الْفَضْلُ^(١) مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ مِنْ عَمَلِهِ . ثُمَّ
أَخَذَ بِقَائِمِ سَيْفِهِ فَقَالَ : إِنَّ بَكُمْ دَاءً هَذَا دَوَاؤُهُ ،
وَأَنَا زَعِيمٌ^(٢) لَكُمْ بِشِفَائِهِ ، وَمَا بَعْدَ الْوَعِيدِ^(٣)
إِلَّا الْإِيقَاعُ^(٤) .



لَمَّا قَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ ، قَامَ
بِوَجْهِ كَوْرَقَةِ الْمُصْحَفِ ، فَاسْتَحْيَا فَلَمْ يَتَكَلَّمْ : فَهَضَّ
دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرُ ؛ فَقَالَ الْمَنْصُورُ : فَقُلْتُ :
شَيْخُنَا^(٥) وَكَبِيرُنَا ، وَيَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ ، فَلَا يَخْتَلِفُ
عَلَيْهِ اشْتَانِ ، فَانْتَضَيْتُ سَيْفِي ، وَغَطَّيْتُهِ بِثَوْبِي ، وَقُلْتُ :

(١) الفضل : الزيادة يقال « سكت عن قدرة ، ونطق عن حكمة »

(٢) زعيم : كفيل وضمين (٣) الوعيد : التهديد (٤) الإيقاع :

الأهلاك (٥) فقلت الخ . من مظنون المنصور

إِنْ فَعَلَ نَاجَزْتُهُ^(١)؛ فَلَمَّا رَقِيَ عَتَبًا^(٢)، اسْتَقْبَلَ النَّاسَ
 بِوَجْهِهِ دُونَ أَبِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ،
 إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَكْرَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ قَوْلُهُ فِعْلُهُ،
 وَلَا تُرُ الْفَعَالِ عَلَيْكُمْ أَجْدَى مِنْ تَشْقِيقِ^(٣) الْمَقَالِ،
 وَحَسْبُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ مُمْتَثَلًا فِيكُمْ، وَابْنِ عَمِّ
 رَسُولِ اللَّهِ خَلِيفَةً عَلَيْكُمْ، وَاللَّهِ قَسَمًا بَرًّا لَا أُرِيدُ
 إِلَّا اللَّهَ بِهِ، مَا قَامَ هَذَا الْمَقَامَ أَحَدٌ، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
 أَحَقُّ بِهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا،
 فَلْيُظَنَّ ظَانُكُمْ، وَلْيَهْمِسْ هَامِسُكُمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ نَزَلَ وَشِمْتُ^(٤) سِنْفِي.

(١) ناجزه: بارزه وقاته (٢) عتبا: درج المنبر (٣) تشقيق

المقال: تديججه وتحسينه (٤) شام سيفه: أئتمده

*
* *

أَمَّا بَعْدُ^(١) . فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ ، وَالْآخِرَةُ دَارُ
 بَقَاءٍ ، تُخَذُّوا أَيُّهَا النَّاسُ لِمَقَرِّكُمْ مِنْ مَمَرِّكُمْ ، وَلَا
 تَهْتَكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ ،
 فِي الدُّنْيَا أُحْيَيْتُمْ ، وَلِنَعْرِهَا خُلِقْتُمْ ، أَقُولُ قَوْلِي
 هَذَا ، وَالْمُسْتَغْفِرُ اللَّهُ ، وَالْمَدْعُوُّ لَهُ الْخَلِيفَةُ ، ثُمَّ
 الْأَمِيرُ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ .

*
* *

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُسْتَخْلَصِ الْحَمْدِ لِنَفْسِهِ ، وَمُسْتَوْجِبِهِ
 عَلَى خَلْقِهِ ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ
 عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
 لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ

(١) وردت هذه الخطبة في الآمال لأبي على الغالي جزء أول ص ٢٥٤

بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحُدُهِ ، وَالْعَمَلِ
لِمَا عِنْدَهُ ، وَالتَّجَرُّزِ لَوَعْدِهِ ، وَالْخَوْفِ لَوَعِيدِهِ ،
فَإِنَّهُ لَا يَسْلَمُ إِلَّا مَنْ اتَّقَاهُ وَرَجَاهُ ، وَعَمِلَ لَهُ
وَأَرْضَاهُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ
بِأَعْمَالِكُمْ ، وَابْتَاعُوا^(١) مَا يَبْقَى بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ ،
وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ
أَظْلَمَكُمْ ، وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا ، وَعَلِمُوا
أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا . فَإِنَّ اللَّهَ
لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً ؛ وَمَا يَبْنِ

(١) ابتاعوا : اشتروا

أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ ،
وَأِنْ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ الْوَاحِدَةُ ،
جَدِيرَةٌ^(١) بِقِصْرِ الْمُدَّةِ ، وَإِنْ غَائِبًا يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، حَرِيٌّ^(٢) بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ^(٣) ، وَإِنْ قَادِمًا
يَحُلُّ بِالْفَوْزِ أَوْ بِالشَّقْوَةِ^(٤) ، لَمْسَحِ لِفَضْلِ الْمُدَّةِ ،
فَاتَّقِ عَبْدُ رَبِّهِ ، وَلَصَحَ نَفْسُهُ ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ،
وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ ، وَأَمَلَهُ
خَادِعٌ لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ : يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ
لِيَرْكَبَهَا ، وَيُغْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا ، حَتَّى تَهْجُمَ عَلَيْهِ
مَنِيَّتُهُ ، أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَيَا لَهَا حَسْرَةً

(١) جديرة : كفيلا (٢) حري : أحمق وأجدر (٣) الأوبة :

الرجعة (٤) الشقوة : الشقاء ضد السعادة

عَلَى ذِي غَفْلَةٍ : أَنْ يَكُونَ عُمرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ ، أَوْ
تَوَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ !

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ
نِعْمَةٌ ، وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَتِهِ غَفْلَةٌ ، وَلَا تَحُلُّ
بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَرْعَةً^(١) إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ، وَبِيَدِهِ
الْخَيْرُ ، وَإِنَّهُ لَفَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ .

*
* *

إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ أَبَانَ اللَّهُ فَضْلَهُ ، وَأَوْجَبَ
تَشْرِيفَهُ ، وَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ ، وَوَفَّقَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ صَفْوَتَهُ ،
وَابْتَلَى فِيهِ خَلِيلَهُ ، وَفَدَى فِيهِ مِنَ الذَّبْحِ نَبِيَّهُ ، وَجَعَلَهُ
خَاتَمَ الْأَيَّامِ الْمَعْلُومَاتِ مِنَ الْعَشْرِ ، وَمَتَقَدَّمَ الْأَيَّامِ

في خطبة
للمؤمن

يوم
الأضحى

بعد
التكبير
الأول

الْمَعْدُودَاتِ مِنَ النَّفْرِ^(١)، يَوْمٌ حَرَامٌ مِنْ أَيَّامٍ عِظَامٍ فِي
 شَهْرِ حَرَامٍ، يَوْمُ الْحُجِّ الْأَكْبَرِ، يَوْمٌ دَعَا اللَّهُ إِلَى
 مَشْهَدِهِ^(٢) وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِتَعْظِيمِهِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ:
 «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحُجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا^(٣)» الْآيَاتِ
 فَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِذَبَائِحِكُمْ، وَعَظَّمُوا
 شَعَائِرَ اللَّهِ، وَاجْعَلُوهَا مِنْ طَيِّبِ أَمْوَالِكُمْ، وَبِصِحَّةِ
 التَّقْوَى مِنْ قُلُوبِكُمْ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: «لَنْ يَنَالَ
 اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا، وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى
 مِنْكُمْ» ثُمَّ التَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ
 ذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَظُمَ قَدْرُ الدَّارَيْنِ، وَارْتَفَعَ

(١) أى تفرق الحجيج بعد الوقوف بعرفة (٢) أى إلى شهوده
 وحضوره (٣) رجالاً: مترجلين أى سيراً على أقدامهم

جَزَاءِ الْعَمَلَيْنِ^(١) ، وَطَالَتْ مُدَّةُ الْفَرِيقَيْنِ ، اللَّهُ اللَّهُ !
 فَوَاللَّهِ إِنَّهُ إِجْدُ لَا اللَّعِبُ ، وَإِنَّهُ الْحَقُّ لَا الْكَذِبُ ،
 وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ وَالْبَعْثُ ، وَالْمِيزَانُ وَالْحِسَابُ ،
 وَالْقِصَاصُ وَالصِّرَاطُ ، ثُمَّ الْعِقَابُ وَالثَّوَابُ ، فَمَنْ نَجَا
 يَوْمَئِذٍ فَقَدْ فَازَ ، وَمَنْ هَوَى يَوْمَئِذٍ فَقَدْ خَابَ ،
 الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ فِي النَّارِ .



إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ وَسُنَّةٍ وَابْتِهَالٍ وَرَغْبَةٍ ،
 يَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَافْتَتَحَ بِهِ
 حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، جَعَلَهُ خَاتِمَةَ الشَّهْرِ ، وَأَوَّلَ أَيَّامِ
 شُهُورِ الْحَجِّ ، وَجَعَلَهُ مُعَقَّبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ ،

خطبة
له يوم
الفطر
بعد
التكبير
الأول

(١) المراد بالعملين : عمل الخير ، وعمل الشر . وفي بعض النسخ

العاملين بدل « العملين »

وَمُتَنَفِّلٍ قِيَامِكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ ، وَحَرَّمَ
 فِيهِ الصَّيَّامَ عَلَيْكُمْ ، فَاطْلُبُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ ،
 وَاسْتَغْفِرُوهُ لِتَفْرِيطِكُمْ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لَا كَبِيرَ مَعَ
 اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِضْرَارٍ . ثُمَّ التَّكْبِيرُ
 وَالتَّحْمِيدُ ، وَذَكَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَالْوَصِيَّةَ
 بِالتَّقْوَى ، ثُمَّ قَالَ : فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا
 الْأَمْرَ الَّذِي اعْتَدَلَ فِيهِ يَقِينُكُمْ ، وَلَمْ يَحْتَضِرْ^(١)
 الشَّكُّ فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ
 عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا تُسْتَقَالُ بَعْدَهُ عَثْرَةٌ ، وَلَا تُحْظَرُ^(٢)
 قَبْلَهُ تَوْبَةٌ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ إِلَّا دُونُهُ ،
 وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ . وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ

(١) احتضر : مثل حضر (٢) تحظر : تمنع

وَعَلَزِهِ ^(١) وَكَرْبِهِ ، وَلَا يُعِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ ، وَصَنِيقِهِ
وَوَحْشَتِهِ ، وَهَوُولِ مَطْلَعِهِ ، وَمَسْأَلَةِ ^(٢) مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا
الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، فَتَنَ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ
قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نَدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِيقَالَتُهُ ، وَدَعَا
مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَدَلَ مِنَ الْفِدْيَةِ
مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ! وَكُونُوا قَوْمًا
سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا ، إِذْ مُنِعَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ،
فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتِمُّ الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا
الْمَهْلُ ^(٣) الْمَبْسُوطَ لَكُمْ . وَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمْ
اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ
لَوْضِعِ مَوَازِينِكُمْ ، وَنَشْرِ صُحُفِكُمْ الْحَافِظَةِ

(١) العلز : ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب

(٢) أى سؤالها له (٣) المهل : الأجل .

لِأَعْمَالِكُمْ ، فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا
يُثْقَلُ بِهِ ، وَمَا يُمِيلُ^(١) فِي صَحِيفَتِهِ ، الْحَافِظَةُ لِمَا
عَلَيْهِ وَلَهُ ، فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ ، مَا قَالَ الْمُفَرِّطُونَ
عِنْدَهَا ، إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : « وَوَضَعَ
الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ^(٢) مِمَّا فِيهِ »
الْآيَةَ ، وَقَالَ : « وَلَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ » وَلَسْتُ أَنَهَا كُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمَ مِمَّا
نَهَتْكُمْ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَإِنَّهُ كُلُّ مَا لَهَا يَنْهَى
عَنْهَا ، وَكُلُّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا ، وَأَعْظَمُ
مِمَّا رَأَتْهُ أَعْيُنُكُمْ مِنْ عَجَائِبِهَا ، ذِمُّ كِتَابِ اللَّهِ لَهَا ،
وَنَهْيُ اللَّهِ عَنْهَا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : « فَلَا تَغْرَنَّكُمْ الْحَيَاةُ

(١) يميل : يُمِيلُ (٢) المشفقون : الخائفون

الدُّنْيَا، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ^(١)» وَقَالَ : « إِنَّمَا
 الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ » الْآيَةُ، فَاتَّقِعُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ
 بِهَا، وَبِإِخْبَارِ اللَّهِ عَنْهَا، وَاعْلَمُوا أَنَّ قَوْمًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
 أَدْرَكَتْهُمْ عِصْمَةٌ^(٢)ُ اللَّهِ، فَخَذِرُوا مَصَارِعَهَا، وَجَانِبُوا
 خَدَائِعَهَا، وَآثَرُوا طَاعَةَ اللَّهِ فِيهَا، فَأَدْرَكُوا الْجَنَّةَ بِمَا
 تَرَكَوا مِنْهَا .

وَالآنَ : يَقِفُ بِنَا الْيَرَاعُ لِنُضَيِّ مَعَكَ الْقَوْلَ
 فِي كِتَابِ التَّعْلِيْقِ عَلَى الْمُقَدِّمَةِ، حَيْثُ نَطَالِعُكَ فِيهِ
 بِأَثَرِ أَحَادِيثِ شَيْخِنَا مِنْ نَفْسِنَا، ثُمَّ نَعْرِجُ بَعْدَئِذٍ
 عَلَى أَسَاتِذَتِنَا، مِنْ رِجَالِ « دَارِ الْعُلُومِ » فَالْصَّدِيقِ
 « طَهَ حُسَيْنٍ » فَأُسْتَاذِي الْمَرْحُومِ « ثُرُوتَ بَاشَا »

(١) الغرور: الشيطان (٢) العصمة: الحفظ من الوقوع في المعاصي

فَنُفِمْ سَوِيًّا إِمَامَةً مُوجَزَةً عَنْ بَسَائِطِ الْأَدَبِ
 الْعَصْرِيِّ ، - وَآثَرِ التَّارِيخِ وَالْبُطُولَةِ فِيهِ -
 مُرْجَيْنِ الْبَسْطَةِ فِي الْقَوْلِ إِلَى مَوَاضِعِهَا مِنْ كُتُبِنَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ
 أُرْسِلَ بِالْحَقِّ مُنْذِرًا وَمُبَشِّرًا

﴿ نَمِ الْكِتَاب ﴾

فهرست

كتاب التذيل على المقدمة

الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
التذيل	٥	١٠
المقدمة	١٠	١٢
حرص الكاتب على الحكمة	١٢	١٤
ثقافته	١٤	١٥
تضمينه للشعر والأمثال	١٥	١٧
صفات الكاتب	١٧	١٨
أزياء الكتاب	١٨	١٩
طبقات الكلام	١٩	٢٠
بقية الطبقات	٢٠	٢١
سائر المخاطبين	٢١	٢٣
تخير الألفاظ	٢٣	٢٧
صدور كتب السلف	٢٧	٢٨

الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
العبارات المنتقدة	٢٨	٣٣
رعاية الألفاظ والمعاني	٣٣	٣٤
محاكاة القرآن	٣٤	٣٥
ما يسوغ شعراً لا كتابة	٣٥	٤١
فوائح الرسائل وخواتيمها	٤١	٤٣
شأن الدواة في الكتابة	٤٣	٤٤
الأقلام والقراطيس	٤٤	٤٧
النقط والشكل	٤٧	٤٨
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم	٤٨	٤٩
إتراب الكتب	٤٩	٤٩
التاريخ	٤٩	٥٠
إسحاء الكتب وختمها	٥٠	٥١
إصاق القراطيس	٥١	٥٢
قراءة الكتب المختومة	٥٢	٥٤
تخير الألفاظ	٥٤	٥٥

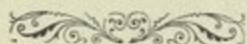
الموضوع	الصحيفة	
	الى	من
أوقات الكتابة	٥٧	٥٥
آراء مختلفة في الكتابة	٦٠	٥٧
المعاني والألفاظ	٦٢	٦٠
بين أبي العتاهية وابن منذر	٦٣	٦٢
عرض الكتابة على العلماء	٦٦	٦٣
تعرف أقدار الخطاطين	٦٧	٦٦
أبلغ الكلام	٦٩	٦٧
تقدير المعاني	٧٠	٦٩
الرقعة والجزالة	٧٢	٧٠
تنطع الكتاب	٧٥	٧٢
المعاني والألفاظ	٧٨	٧٥
الدال على المعنى	٧٩	٧٨
قدر اللسان	٨١	٧٩
فضيلة الخط والكتابة	٨٢	٨١
» » والقلم	٨٣	٨٢

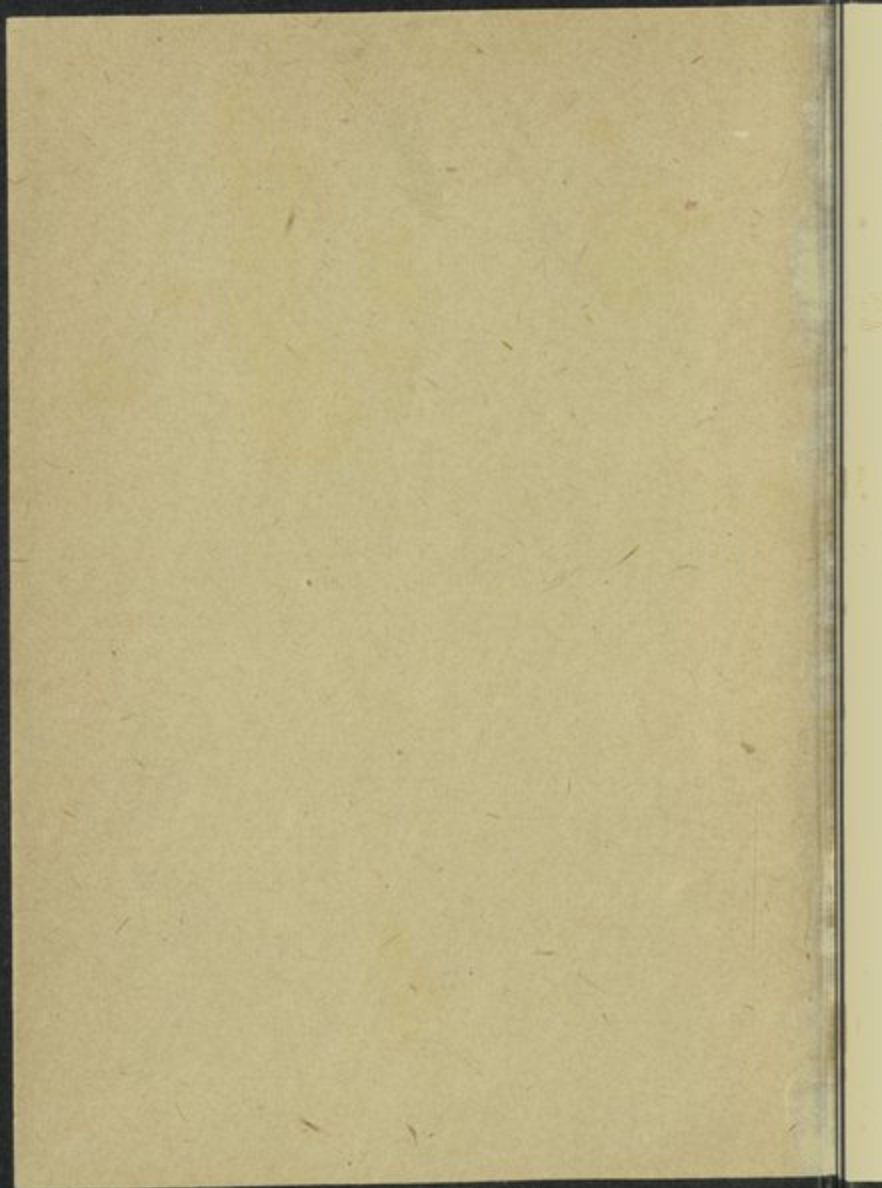
الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
فضيلة البلاغة	٨٣	٨٥
ابن الزيات	٨٥	٨٨
البلاغة	٨٨	٩٦
ختم الرسالة	٩٦	٩٧
الخاتمة	٩٧	١٠٠
البيان	١٠٠	١٢٨
الاستدلال بالعين والاشارة والنسبة	١٢٨	١٣٠
الشعر	١٣٠	١٣٨
حسن التشبيه في الشعر	١٣٨	١٤٨
الآيات التي لا مثل لها	١٤٨	١٦٣
ألفاظ تقع في كتب اليهود	١٦٣	١٦٩
أصحاب السلطان	١٦٩	١٧٢
كتاب العيد	١٧٢	١٧٣
كتاب بيعه	١٧٣	١٧٣
مقروءاتنا على الشيخ	١٧٣	١٧٤

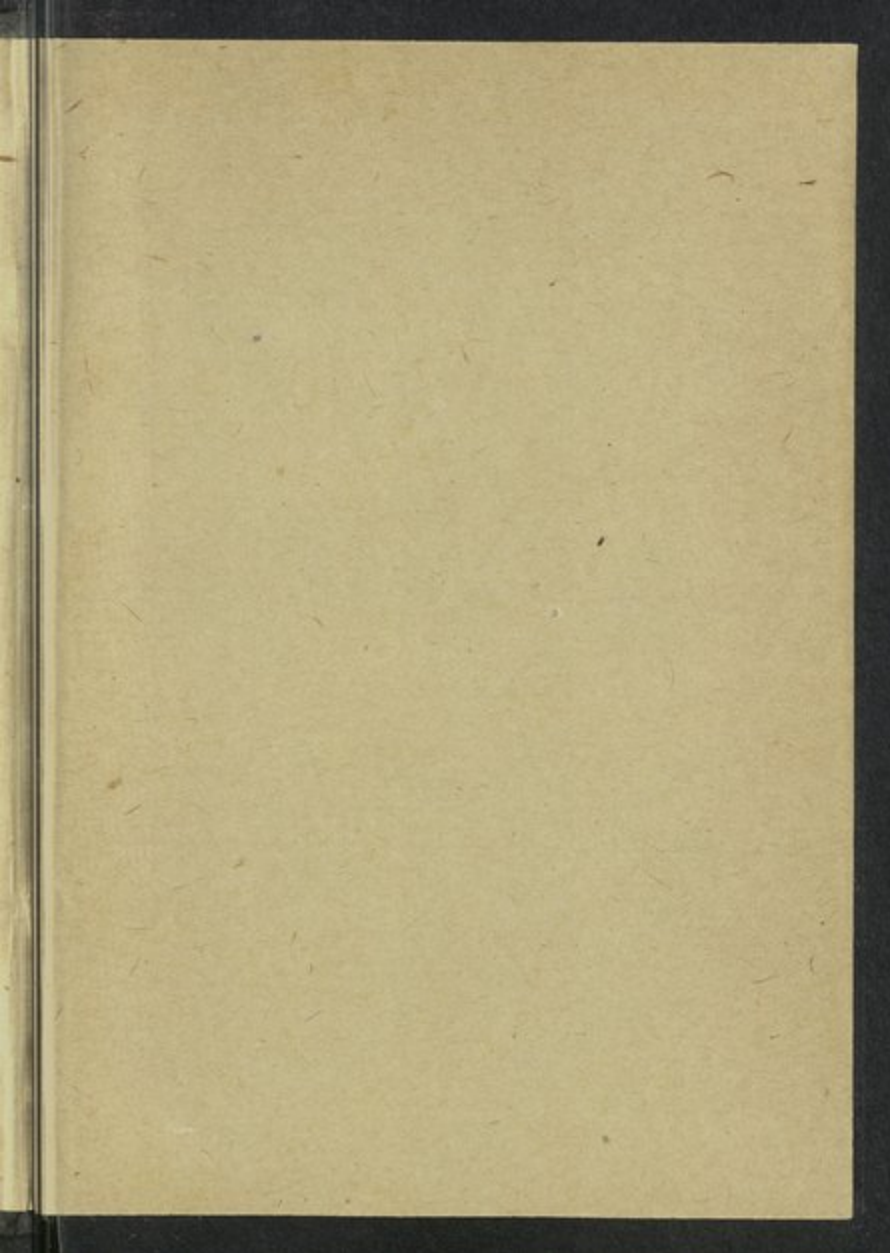
الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
الحث على الأدب	١٧٤	١٧٧
تتمة كلام الشيخ	١٧٧	١٨١
أصول فن الأدب	١٨١	١٨٢
فضل الأدب	١٨٢	٢٢١
فصول كتابية	٢٢١	٣٣٧
خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع	٣٣٧	٣٤٣
خطبة أبي بكر رضى الله عنه	٣٤٣	٣٥١
خطبة عمر » » »	٣٥١	٣٥٢
خطبة عثمان » » »	٣٥٢	٣٥٣
خطب على بن أبي طالب رضى الله عنه	٣٥٣	٣٥٩
خطبة لمعاوية	٣٥٩	٣٦٢
خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت أبيه	٣٦٢	٣٦٣
خطبتان لعتبة بن أبي سفيان	٣٦٣	٣٦٦
خطبة لعبد الله بن الزبير	٣٦٦	٣٦٨
خطبتان لزياد بن أبيه	٣٦٨	٣٧٤

الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
خطبة للحجاج حين دخل البصرة	٣٧٤	٣٧٥
» » أيضاً	٣٧٥	٣٧٧
» » حين أراد الحج	٣٧٧	٣٧٨
» » في إظهار الجبروت	٣٧٨	٣٧٩
» » لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه	٣٧٩	٣٨٢
» » لخالد بن عبد الله	٣٨٢	٣٨٣
» » للحجاج أيضاً	٣٨٣	٣٨٤
خطبة سليمان بن عبد الملك	٣٨٤	٣٨٥
خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد	٣٨٥	٣٨٩
خطبة أبي حمزة الخارجي	٣٨٩	٣٩٣
خطبة لقطرى بن الفجاءة الخارجي	٣٩٣	٣٩٤
من خطبة ليوسف بن عمر	٣٩٤	٣٩٤
من خطبة للحجاج	٣٩٤	٣٩٥
خطبة المنصور العباسي	٣٩٥	٣٩٦
خطبتان لداود بن علي	٣٩٦	٣٩٩

الموضوع	الصحيفة	
	الى	من
خطبة لأعرابي	٣٩٩	٣٩٩
خطبة المأمون يوم الجمعة	٤٠٢	٣٩٩
خطبة المأمون يوم عيد الأضحى بعد التكبير الأول	٤٠٤	٤٠٢
» » » الفطر » » »	٤٠٨	٤٠٤
الخاتمة	٤٠٩	٤٠٨







892.708:R56mA:v.3:c.1

رفاعي، احمد فريد

مكتبة القراءة والثقافة الادبية للجيب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01032584

American University of Beirut



892.708

R56mA

V.3

General Library

